

أوراق علميّة

حول معركة طوفان الأقصى

والعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة



باحث رئيس: وليد عبد الحي

مشاركون

إبراهيم عبد الكريم أشرف بدر عباس إسماعيل

فاطمة عيتاني هاني طالب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أوراق علمية

حول معركة طوفان الأقصى

والعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة

باحث رئيس: أ. د. وليد عبد الحي

مشاركون

إبراهيم عبد الكريم د. أشرف بدر د. عباس إسماعيل
فاطمة عيتاني هاني طالب



مركز الزيتونة
للدراسات والاستشارات
بيروت - لبنان

Academic Papers on Operation al-Aqsa Flood and the Israeli Aggression on Gaza Strip

By:

Prof. Dr. Walid ‘Abd al-Hay, et al.

جميع الحقوق محفوظة ©

الطبعة الأولى

2024م – 1445هـ

بيروت – لبنان

ISBN 978-614-494-047-1

الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

تلفون: + 961 21 80 36 44

تلفاكس: + 961 21 80 36 43

ص.ب.: 5034-14، بيروت – لبنان

بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net الموقع: www.alzaytouna.net

يمكنكم التواصل معنا والاطلاع على صفحات المركز عبر الضغط على التطبيقات أدناه:



تصميم الغلاف

رنا جرجور

إخراج

ربيع معروف مراد

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات	3
مقدمة	5
1. ما حقيقة الادّعاءات الإسرائيلية بارتكاب المقاومة فظائع في معركة طوفان الأقصى في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023 فاطمة حسان عيتاني	7
2. تحولات الرأي العام الدولي وطوفان الأقصى ... أ. د. وليد عبد الحي	27
3. سيناريوهات ما بعد طوفان الأقصى ... أ. د. وليد عبد الحي	39
4. قرار محكمة العدل الدولية بين الحياد القانوني والضغط السياسي في معركة طوفان الأقصى ... أ. د. وليد عبد الحي	53
5. رؤية مراكز الدراسات الإسرائيلية لمرحلة ما بعد طوفان الأقصى أ. د. وليد عبد الحي	67
6. التدمير الإسرائيلي في قطاع غزة: دراسة حالة في "إبادة المكان" إبراهيم عبد الكريم	85
7. وزن الشؤون الخارجية في الانتخابات الرئاسية الأمريكية طوفان الأقصى نموذجاً ... أ. د. وليد عبد الحي	115
8. أزمة الموقف الأوروبي من طوفان الأقصى ... أ. د. وليد عبد الحي	134
9. المسلمون غير العرب وطوفان الأقصى ... أ. د. وليد عبد الحي	154
10. الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة: تهجير الفلسطينيين هدف أول د. عباس إسماعيل	170
11. فلسطينيو 48 وحرب الإبادة الإسرائيلية ضدّ قطاع غزة بين الواقع والمتوقع ... هاني رمضان طالب	214

12. مقاطعة "إسرائيل" عقب السابع من أكتوبر: الجدوى والتأثير

د. أشرف عثمان بدر 233

13. جماعة دول أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي

(سيلاك CELAC) وطوفان الأقصى... أ. د. وليد عبد الحي 256

مقدمة

يسعى مركز الزيتونة إلى تقديم الدراسات الاستراتيجية والسياسية الجادة، خصوصاً تلك المتعلقة بالشأن الفلسطيني؛ وينشر بانتظام سلسلة أوراق علمية تُركّز على المواضيع ذات الطبيعة المستجدة والساخنة، وتناقشها بطريقة علمية منهجية؛ وتتميز بالتزامها بضوابط البحث العلمي والتوثيق الأكاديمي الدقيق، ويمكن أن تخدم في صناعة القرار والتوجهات والتأثير في الرأي العام. تخضع هذه الدراسات للتحكيم العلمي الداخلي من الجهة العلمية المختصة في المركز، ويشرف أ. د. محسن محمد صالح على تحريرها، وتُنشر على موقع مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.

ونظراً للتأثير الهائل الذي أحدثته معركة طوفان الأقصى، فقد اخترنا 13 ورقة علمية تتعلق بهذه المعركة والحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، حتى تُنشر في كتاب واحد؛ وهي لعدد من الباحثين المتميزين؛ مع ملاحظة أن الإسهام الأكبر كان للأستاذ الدكتور وليد عبد الحي، ولذلك تمت الإشارة إليه كباحث رئيس.

والله الموفق

ما حقيقة الادّعاءات الإسرائيلية بارتكاب المقاومة

نظائري معركة طوفان الأقصى

في 7 تشرين الأول / أكتوبر 2023¹

فاطمة حسان عيتاني*

مقدمة:

تقوم "إسرائيل" بحملة إبادة جماعية في قطاع غزة منذ 2023/10/7، وتبذل كلّ ما في وسعها لتدمير كل ما يمكن أن يحافظ على حياة الإنسان في القطاع، من استهداف لأرواح الفلسطينيين، وتدمير للمنازل، والقطاع الصحي، والبنية التحتية، والمدارس، والجامعات، والمساجد، والكنائس، والمخابز، والمحلات، ومخيمات اللاجئين،

إنّ الإبادة الجماعية التي تقتربها "إسرائيل" تحتاج لمبررات أمام المجتمع الدولي كتجريد الأشخاص المبادئ من إنسانيتهم وشيطنتهم، وهذا ما تفعله "إسرائيل" من خلال شهود الزور والادّعاءات الكاذبة ضدّ الفلسطينيين، التي تمّ نشرها بشكل واسع في العالم الغربي دون نشر الردود عليها أو الاعتذار عنها بعد إثبات كذبها، بل والمضي في نشرها.

إنّ هدف "إسرائيل" ليس السعي إلى تحقيق العدالة، كما تدّعي، وإنّما تثبيت استعمارها الاستيطاني العدواني في فلسطين، على حساب معاناة الشعب الفلسطيني، وسعيًا لتهويد الأرض والإنسان.

تنوّعت الادّعاءات الإسرائيلية المزعومة ضدّ عناصر المقاومة الفلسطينية وسكان قطاع غزة، الذين دخلوا الغلاف غزة في عملية الطوفان التي حدثت في 2023/10/7، وكانت هناك أجهزة منظّمة وراء تلك الادّعاءات التي استخدمتها الحكومة الإسرائيلية، مع معرفتها بطلانها، في تبرير هجومها على قطاع غزة، وفي شيطنة المقاومة الفلسطينية في البيئة الدولية.

* باحثة متخصصة في الشأن الفلسطيني في مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.

وبالرغم من دحض معظم المزاعم لتلك الجرائم ضدّ الفلسطينيين، أطلقت "إسرائيل" حملة دولية في منتصف تشرين الثاني/ نوفمبر 2023، لتجهيز ملفات ضدّ الفلسطينيين الذين شاركوا في 2023/10/7، استعداداً للملاحقة الجنائية، ولجأت "إسرائيل" لكسب الرأي العام العالمي في حربها على قطاع غزة إلى ترويج أخبار كاذبة وملفّقة من خلال صحفيين وحسابات ومواقع إلكترونية موالية لها، وفي هذا المقال سنذكر بعضاً من هذه المزاعم وإثبات زورها لدحضها.

أولاً: قتل المدنيين وبروتوكول هنيبعل:

مرّ أكثر من ثلاثة أشهر على معركة طوفان الأقصى التي قادتها حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في 2023/10/7، والتي قُتل فيها نحو 1,139 شخص،² بحسب الإحصاءات الرسمية الإسرائيلية الأخيرة وغير النهائية، وهو رقم عدّلته "إسرائيل" مراراً وتكراراً بشكل تنازلي، بعد أن كان 1,405 قتلى، ثم خفّضته إلى 1,200 قتيل، مدّعية أنّ الفرق يرجع إلى أنّ هناك جثثاً تمّ التعرف عليها لاحقاً على أنها من حماس، بسبب تفحّمها،³ وهو ما يعدّ دليلاً على أنّها حسبت نحو 200 من الشهداء الفلسطينيين في بادئ الأمر ضمن قتلها المدنيين، واستخدمتهم ضمن دعايتها الإعلامية على المستوى الدولي، لكسب التعاطف معها، وتبرير عدوانها على قطاع غزة. وهو دليل أيضاً على استخدام القوات الإسرائيلية وسائل وحشية في قتل الناس حينها، لدرجة أنّهم لم يُفَرّقوا في إحصاءاتهم بين القتلى اليهود والفلسطينيين بسبب تفحّم الجثث، وهو ما يُثبت أنّ الطيران الإسرائيلي والقذائف المدفعية الإسرائيلية هي من قتلت "المدنيين" الإسرائيليين، لأنّ كتائب القسام لا تملك أسلحة تؤدي إلى قتل وحرق كلّ هذا العدد.

وعلى ما يظهر، فإنّ العدد الأكبر من القتلى المدنيين في ذلك اليوم يعود إلى تطبيق القيادات العسكرية الإسرائيلية بروتوكول هنيبعل The Hannibal Directive في المعركة، الذي يقوم على قاعدة "الجندي القتل أفضل من الجندي الأسير"، حيث يرى المسؤولون العسكريون الإسرائيليون أنّ اختطاف الجنود يُحمّل "إسرائيل" ثمناً باهظاً للغاية يجب عليها دفعه من أجل إطلاق سراحهم. ونصّ هذا البروتوكول على فتح النار العشوائي إذا تمّ أسر أحد الجنود بهدف قتل الأسيرين والأسير



معاً، كما فعلت تماماً القوات الإسرائيلية في 2023/10/7، وأطلقت الصواريخ على مناطق مأهولة لطرد المهاجمين، فقتلت وحرقت العديد من المدنيين الإسرائيليين والفلسطينيين، بحسب شهادات جمعتها وسائل إعلام عالمية وإسرائيلية.

وكشف تقرير استقصائي نشره موقع واينت Ynet العبري التابع ليديعوت أحرونوت Yedioth Ahronoth في 2024/1/12، أنَّ القيادة العليا للجيش الإسرائيلي أمرت جميع الوحدات في 2023/10/7 بمنع أسر المواطنين الإسرائيليين "بأي ثمن"، حتى من خلال إطلاق النار عليهم. وكشف التقرير أن نحو 70 مركبة يقودها فلسطينيون عائدون إلى غزة تم تفجيرها بواسطة طائرات مروحية قتالية أو صواريخ مضادة للدبابات أو دبابات إسرائيلية، وكان العديد من هذه المركبات يضم أسرى إسرائيليين.⁴

وقد وثقت صحيفة النيويورك تايمز The New York Times الأمريكية، في تقرير استقصائي لها، مقتل 12 مستوطناً إسرائيلياً بعد أن أمر القائد العسكري الإسرائيلي باراك حيرام Barak Hiram، والذي اعترف بذلك، بقصف منزل في مستوطنة بئيري Be'eri بدبابة، كان يضم 14 مستوطناً إسرائيلياً، بداعي استهداف مسلحين فلسطينيين اختبأوا بداخله،⁵ ونشرت القناة 12 (Channel 12) الإسرائيلية فيديو يوثق إطلاق دبابة إسرائيلية القذائف على منزل كان يضم مستوطنين إسرائيليين في مستوطنة بئيري، التقطته مروحية عسكرية.⁶ واعترف العقيد الإسرائيلي جولان فاخ Golan Vach، قائد في وحدة الإنقاذ التابعة للجيش الإسرائيلي، بأن قواته هاجمت في 2023/10/7 منازل إسرائيلية ودمرتها، كان يتواجد فيها إسرائيليون وفلسطينيون، مبرراً ذلك أنه لاستعادة السيطرة على الأراضي، حيث وجدوا 15 قتيلًا إسرائيلياً بينهم 8 أطفال في أحد تلك المنازل.⁷ واعترفت مجنّدت إسرائيليات، في أوائل العشرينات من أعمارهنّ أو أقل، في مقابلة على قناة 12 الإسرائيلية، في 2023/11/24، أنه تمّ تسليمهنّ قيادة بعض الدبابات والآليات، وأُمرن باقتحام مستوطنة حوليت Holit، وإطلاق نيران الرشاشات بشكل عشوائي على البيوت لإعادة السيطرة على المستوطنة.⁸

وهناك العديد من شهادات الناجين الذين أكّدوا رؤيتهم إطلاق المروحيات والدبابات الإسرائيلية النار على المستوطنات، كشهادة الجندي الإسرائيلي السابق إيريز تيدهار Erez Tidhar، عضو وحدة الإنقاذ والإخلاء في وحدة إيتام Eitam الإسرائيلية،⁹

وتصريح معتقلة إسرائيلية سابقة دورون كاتس آشر Doron Katz-Asher،¹⁰ تمّ إطلاق سراحها خلال عملية التبادل، تحدّثت عن إطلاق الجيش الإسرائيلي النار على الجرّار الذي كان ينقلها إلى قطاع غزة، مما أدى إلى مقتل والدتها وإصابتها هي وابنتها.

كما كشفت شهادة لياسمين بورات Yasmin Porat، للراديو الرسمي الإسرائيلي كان Kan، وهي واحدة من اثنتين فقط ناجيتين من الهجوم الإسرائيلي الذي أمر به باراك حيرام على منزل في مستوطنة بئيري، أنّ عناصر المقاومة الفلسطينية عاملوهم بـ "إنسانية"، لكن الجيش الإسرائيلي أنهى المواجهة مع هذه العناصر بقصف مدفعي متعمد للمنزل بأكمله، على الرغم من أن الأسرى كانوا ما يزالون موجودين فيه. وقالت بورات إنّ من بين قتلى الهجوم الإسرائيلي ليل هاتسروني Liel Hatsroni، البالغة من العمر 12 عاماً، والتي استخدم المسؤولون الإسرائيليون صورتها في وقت لاحق في الدعاية (البروباجاندا propaganda)، زاعمين أنها أحرقت حية على يد حماس،¹¹ كما ادّعى رئيس الوزراء السابق نفتالي بينيت Naftali Bennett أنّها قُتلت "لمجرد أنها يهودية".¹²

وقد طالبت عائلات إسرائيليّين قُتلوا بنيران الدبابات الإسرائيلية رئيس الأركان هرتسي هاليفي Herzi Halevi، بإجراء "تحقيق شامل وشفاف" حول القضية.¹³

وتؤكد معلومات تمّ الكشف عنها في تقارير لموقع الانتفاضة الإلكترونية The Electronic Intifada الأمريكي، أنّ الكثير، إن لم يكن معظم، المدنيين الإسرائيليين الذين قُتلوا في 2023/10/7 قُتلوا على يد "إسرائيل" نفسها، وليس على يد الفلسطينيين. وكانت سرب المسيرات الإسرائيلية 161 (drone squadron 161) قد نفّذت بحلول نهاية يوم 2023/10/7، ما لا يقل عن 110 هجمات على نحو 1,000 هدف، معظمها كانت داخل فلسطين المحتلة 1948 ("إسرائيل")، بعد أن كانت مروحيات وطائرات مقاتلة إسرائيلية قد هاجمت خلال الأربع ساعات الأولى نحو 300 هدف.¹⁴

ونشر موقع واينت العبري، في 2023/10/15، أنّ 28 مروحية أباتشي أطلقت النار على مدار يوم واحد، وأنّ طياري الأباتشي تخطّو كافة القيود، وأنّ جزءاً كبيراً من توجيه النيران واستقبال الأهداف من القوات المقاتلة في الميدان كان يصل للطيارين عبر المكالمات الهاتفية أو إرسال الصور على تطبيق الواتساب Whatsapp، وأنّه تمّ إطلاق مئات من قذائف المدفع عيار 30 ملم بالإضافة إلى صواريخ هيلفاير Hellfire.¹⁵



وفي مقال نشرته صحيفه هآرتس في 2023/11/18، أنّه وبحسب الشرطة الإسرائيلية، فقد قُتل في مهرجان نوفا Nova الموسيقي 364 شخصاً من أصل 4,400 شخص كانوا حاضرين في الحدث، وبعد التحقيق في الحادث تبين أنّ مروحية عسكرية إسرائيلية وصلت إلى مكان الحادث وأطلقت النار على عناصر المقاومة، وأصاب عدداً من المحتفلين الذين كانوا هناك. وبحسب تقييم المؤسسة الأمنية الإسرائيلية، فإنّ عناصر المقاومة الفلسطينية لم يكونوا على علم مسبق بهذا المهرجان.¹⁶

ثانياً: ادّعاء قتل الأطفال:

ثمّة ادّعاء ثبت كذبه، غير أنه أحدث ضجة واسعة عند نشره، واستخدمه الطرف الإسرائيلي لابتزاز مواقف خاطئة، حيث ادّعت مراسلة قناة أي 24 الإخبارية i24NEWS الناطقة باللغة الإنجليزية، نيكول زيديك Nicole Zedeck، في 2023/10/10، أنّ المقاومة الفلسطينية قتلت 40 رضيعاً، وقطعت رؤوس عدد منهم في مستوطنة كفار عزة Kfar Aza.¹⁷ وسرعان ما تبنت وسائل إعلام عالمية واسعة الانتشار هذا الادّعاء المضلل (أمثال موقع فوكس نيوز FOX News،¹⁸ وأن بي سي مونتانا NBC Montana،¹⁹ وصحيفة النيويورك بوست New York Post،²⁰ وصحيفة التايمز The Times،²¹ وموقع مايل أونلاين Mailonline،²² بالإضافة إلى قناة سي إن إن CNN الأمريكية، وصحيفة دايلي إكسبرس Daily Express، وصحيفة ذا إنديبندنت The Independent، وصحيفة مترو Metro البريطانية، وصحيفة ذا دايلي تيليغراف The Daily Telegraph)،²³ على الرغم من عدم وجود أي تأكيد رسمي إسرائيلي حينها، وأدّى إلى انطباع عالمي في العالم الغربي بأنّ حماس ارتكبت فظائع كبرى، وهو ما أثر على القرار السياسي وعلى الأجواء الشعبية في هذه البلدان. ومن الناحية الإعلامية كانت هذه التقارير جريمة بحق المقاومة الفلسطينية نظراً لسعيها لتشويهها و"شيطنتها"، وجريمة أيضاً بحق الشعب الفلسطيني الذي تعرّض لهجمات شرسة بناء على هكذا تقارير مضللة.

وقد أثار هذا الادعاء ضجة هائلة على مستوى العالم، تعززت بادعاء الرئيس الأمريكي جو بايدن Joe Biden، أنه شاهد "صوراً مؤكدة لإرهابيين يقطعون رؤوس الأطفال"، لكن البيت الأبيض نفى لاحقاً مشاهدة بايدن للصور بنفسه، مؤكداً أنه استند إلى مزاعم المتحدث باسم رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو Benjamin Netanyahu، وتقارير إعلامية إسرائيلية.²⁴ وكشف تحقيق أجراه موقع "ذا جراي زون The Grayzone" الأمريكي، وهو موقع إخباري مستقل مخصص للصحافة الاستقصائية والتحليلات، في 2023/10/11، أن هذا الادعاء مصدره نائب قائد الوحدة 71 في الجيش الإسرائيلي ديفيد بن صهيون David Ben Zion، وهو زعيم صهيوني متطرف، يحرض على أعمال الشغب ضد الفلسطينيين، ويدعو لمحو بلدات فلسطينية.²⁵ وعلى الرغم من تراجع بعض وسائل الإعلام عن هذا الخبر، لكن كان معظم الأثر السلبي منه قد تحقق، وأصبح من الصعب إزالته من الكثيرين ممن انتشر بينهم الخبر، حتى من تلك الصحف والمصادر التي نفت صحته بعد ذلك.

وروى العقيد جولان فاخ، قائد في وحدة الإنقاذ التابعة للجيش الإسرائيلي، في 2023/10/17، أنه "قام بنفسه بنقل جثث الأطفال مقطوعة الرأس" في مستوطنة كفار عزة.²⁶ كما صرّح المقدم المتقاعد يارون بوسكيلا Yaron Buskila، وهو عضو في منتدى الدفاع والأمن الإسرائيلي (IDSF) Israel Defense And Security Forum، وهي منظمة أسسها جنرالات الجيش المتقاعدون، وتمارس الضغط (على المستوى الدولي بشكل خاص) للدفاع عن فكرة أن "السلام" في "إسرائيل" لا يمكن الحصول عليه إلا بالقوة، لصحيفة إيبوك تايمز The Epoch Times، وهي صحيفة دولية يمينية متطرفة، إنه تحدث إلى حاخام قيل إنه زار مستوطنة كفار عزة، وقال له أنه رأى أطفالاً مقتولين.²⁷

وقد تكررت هذه الادعاءات من منظمات ومؤسسات إسرائيلية معروفة بعدم دقتها وعدم مصداقيتها كمنظمة زاكا ZAKA ومنظمة يوناتيد حاتزاله United Hatzalah.

في المقابل، أثبتت مؤسسات إسرائيلية رسمية كذب هذه الادعاءات، فقد نشر الضمان الاجتماعي الإسرائيلي (NII) National Insurance Institute of Israel في 2023/11/9 على موقعه الإلكتروني قائمة بأسماء 695 مدنياً إسرائيلياً قُتلوا في 2023/10/7 (وفي الأيام التي تلتها)، مع هوياتهم وظروف مقتلهم، ومن بينهم



36 قاصراً، 20 منهم دون سن 15 عاماً، من بينهم سبعة أطفال دون سن العاشرة، وعشرة قتلوا جراء قصف صاروخي. وبحسب الضمان الاجتماعي أيضاً، قُتل 46 مدنياً في كفار عزة، وكان أصغرهم يبلغ 14 عاماً، وقُتلت طفلة رضيعة واحدة فقط في بئيري هي الطفلة ميلا كوهين Mila Cohen (عشرة أشهر) مع والدها وجدتها، فيما نجت والدتها،²⁸ ولم يتم تحديد من المتسبب في قتلها.

كما نفت صحيفة هآرتس Haaretz الإسرائيلية، في تقرير لها، ما تمّ ترويجه عن مزاعم قطع رؤوس أطفال إسرائيليين وحرّق جثثهم في 2023/10/7، مؤكّدة أن تلك الرواية غير صحيحة ولا أساس لها في الواقع. وذكرت أنه قُتل معظم الأطفال في منازلهم أو بالقرب منها، وغالباً مع أفراد آخرين من الأسرة، وأكدت أنه لا يوجد مشاهد تمّ فيه اكتشاف أطفال من عدة عائلات قتلوا معاً، مما يدل على أن وصف نتنياهو في حديثه مع الرئيس الأمريكي جو بايدن بأن "حماس أخذوا عشرات الأطفال وقيدوهم وأحرقوهم وأعدموهم، غير دقيقة".²⁹ وقالت هآرتس، بعد فحصها القتلى كل اسم على حدة، أنّ إجمالي القتلى هو 1,219 قتيل بما في ذلك 1,105 قُتلوا في 2023/10/7؛ 851 مدنياً (من بينهم 32 طفلاً تتراوح أعمارهم بين 4-17 عاماً وطفلة بعمر 10 أشهر)، و368 جندياً إسرائيلياً.³⁰

وبالتالي، فإن هذه الادّعاءات الإسرائيلية كاذبة وغير دقيقة، وقد تراجعت وسائل إعلام وصحفيين عن تقارير نشرها حول ادّعاء قطع رؤوس الأطفال، من بينهم قناة سي إن إن CNN الأمريكية، والتي اعتذرت مُراسلتها سارة سيندر Sara Sidner عن نقل الخبر، والبيت الأبيض الذي تراجع عن التصريح الذي أدلى به بايدن، وتصريح الناطق باسم الجيش الإسرائيلي لوكالة الأناضول Anadolu Ajansı بأنّ ليس لدى الجيش معلومات تؤكّد هذه المزاعم.³¹ كما حذف صحفي إسرائيلي يدعى يشاي كوهين Yishai Cohen مقابلة كان قد نشرها على منصة إكس X/ تويتر Twitter، تضمّنت ادّعاءات بأن مسلحين فلسطينيين قتلوا أطفالاً خلال الهجوم الذي شنته المقاومة الفلسطينية على مستوطنات إسرائيلية بغلاف غزة في 2023/10/7. وأوضح كوهين، في تدوينات نشرها في 2023/11/29 على حسابه على المنصة، أن الناطق باسم جيش الاحتلال هو الذي عرض عليه إجراء المقابلة التلفزيونية مع المقدم احتياط في فرقة غزة في الجيش الإسرائيلي، يارون بوسكيلا، وأضاف أنّ ممثل مكتب المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي كان حاضراً في أثناء التصوير.³²

ويبرر حايم أوتمازكين Chaim Otmazgin، رئيس "القوات الخاصة" لمنظمة زاكا، لوكالة فرانس برس Agence France-Presse، تصريحات متطوِّعه الكاذبة بعد انكشافها بطريقة وقحة، لا تحترم أصول العمل المهني. كما نشرت صحيفة هآرتس تحقيقاً أظهر أنّ منظمة زاكا نشرت روايات كاذبة حول ما حدث في 2023/10/7، بهدف جمع تبرعات والتخلص من الديون المتراكمة عليها بملايين الشواكل، وأنهم جمعوا أكثر من 50 مليون شيكل (13.7 مليون دولار)، وأنّ أوتمازكين يعمل ضابط احتياط في وحدة الإنقاذ التابعة لقيادة الجبهة الداخلية في الجيش الإسرائيلي، وقد لعبَ هو دوراً مركزياً في الارتباط بين منظمة زاكا والجيش.³³

ثالثاً: ادعاء قتل الحوامل والأجنّة:

ادّعى يوسي لاندau Yossi Landau، مدير زاكا لمنطقة الجنوب، بشكل كاذب للعديد من وسائل الإعلام العالمية، ومنها لصحيفة "بيلد" Bild الألمانية اليومية في 2023/10/24، أنه اكتشف جثة امرأة حامل مصابة برصاصة في رأسها، وتمّ شق بطنها لإخراج الجنين الذي تمّ طعنه، كما حدّد لاندau لصحيفة هآرتس المبنى الذي رأى فيه هذه الحادثة. ولكن وبحسب الناجين من المبنى الذين قابلتهم الصحيفة الإسرائيلية، لم تكن هناك أي امرأة حامل. وقام موقع تشك نيوز Check News، الذي أطلقته صحيفة ليبراسيون Libération الفرنسية، وهو أول موقع للتحقق من الأخبار في خدمة مستخدمي الإنترنت، بالاتصال بلاندau لكنه لم يرد. ومع ذلك، فقد سلّطت السلطات الإسرائيلية الضوء على هذه الشهادة، وقامت السفارة الإسرائيلية في الولايات المتحدة بنشرها على منصة إكس/ تويتر وإنستغرام Instagram، في 2023/10/27.³⁴

كما كتبت ميشال هيرتزوج Michal Herzog في 2023/11/22، زوجة الرئيس الإسرائيلي إسحق هيرتزوج Isaac Herzog، مقالاً في مجلة نيوزويك Newsweek الأمريكية أشارت فيه إلى هذه الشهادة، وزعمت كذباً أنه يوجد مقطع فيديو يظهر فلسطينيين في إحدى المستوطنات وهم يعذبون امرأة حامل ويستخرجون جنينها. ولكن تبين فيما بعد أنّ هذا الفيديو مأخوذ من "مقطع فيديو تمت مشاركته في



سنة 2018، يُظهر انتهاكات ارتكبتها عصابة مكسيكية“. ورداً على سؤال موقع تشك نيوز، أقرت الرئاسة الإسرائيلية ضمناً بخطئها، وحاولت الرئاسة المراوغة في الدفاع عن منظمة زاكا مُدّعية أن شاهدها لم يتمكن من الرد ”بسبب الصدمات التي تعرض لها“!! ووفقاً لمصدر داخل أجهزة الطب الشرعي الإسرائيلي المشاركة في التعرف على قتلى 2023/10/7، فإنه لا يوجد أي قتيل بهذا الوصف.³⁵ وهو ما يحسم كذب الادعاء الإسرائيلي.

وهناك العديد من القصص الأخرى المشكوك فيها ومصدرها منظمة غير حكومية أخرى هي منظمة يوناتيد حاتزاله، وروى مديرها إيلي بير Eli Beer، أمام الائتلاف اليهودي الجمهوري في لاس فيجاس الأمريكية، في 2023/10/28، قصصاً ثبت كذبها لاحقاً.³⁶

وفي 2023/11/15، كتبت سارة نتنياهو Sara Netanyahu، زوجة رئيس الوزراء الإسرائيلي، إلى العديد من ”السيدات الأوائل“، بما في ذلك زوجة رئيس الولايات المتحدة جيل بايدن Jill Biden، رسالة بمضمون تحريضي كاذب، تقول فيها إن إحدى المختطفات لدى حركة حماس كانت حاملاً وأنجبت طفلها في الأسر. وتمّ نقل هذه الرسالة على نطاق واسع من قبل العديد من وسائل الإعلام الإسرائيلية والغربية. وفي 2023/11/18، أي بعد ثلاثة أيام، نشرت صحيفة ديلي ميل Daily Mail البريطانية مقالاً يزعم أن امرأة تايلاندية، محتجزة لدى حماس، أنجبت في الأسر، ولكنّ عاثة هذه المحتجزة، التي تمّ إطلاق سراحها بعد أيام، نفت هذه المعلومات. ولم تكن أي من النساء المفرج عنهن حاملاً أو أنجبت للتو.³⁷

كما دحض الصحفي في قناة 13 الإسرائيلية رفيف دراكر Raviv Drucker، في 2024/1/25، العديد من الادعاءات الإسرائيلية، وسأل دراكر الصحفي ميكي روزنتال Micky Rosenthal، الذي كان يتواجد معه في البرنامج، عن سبب استخدام هذه التصريحات الكاذبة، فأجابه ”من أجل زيادة حجم الكراهية لحماس، وكأنّ ما حدث ليس كافياً“، وأكد روزنتال أنّ المعركة ليست عسكرية ولا سياسية فقط، بل أيضاً هي معركة إعلامية في الأساس.³⁸

رابعاً: ادّعاءات جرائم الاغتصاب:

عرض تقرير للصحفي جيك تابّر Jake Tapper نُشر على شبكة سي إن إن في 2023/11/18، ادّعاءات حول "جرائم الاغتصاب" ضدّ النساء الإسرائيليات في 2023/10/7. افتُتِح التقرير بمقابلة مع كوخاف إلكايام ليفي – Cochav Elkayam-Levy، والتي تمّ تعريفها على أنها "خبيرة في قانون حقوق الإنسان"، وأنها شكّلت لجنة مدنية لتوثيق الأدلة، لكن ليفي في الحقيقة وبحسب تقرير نشره موقع موندوفيس Mondoweiss الأمريكي في 2023/12/1، ليست خبيرة في قانون حقوق الإنسان، بل شغلت منصباً في مكتب المدّعي العام للحكومة الإسرائيلية في قسم القانون الدولي، كما تربط إلكايام ليفي روابط وثيقة بينها وبين مجلس الأمن القومي لرئيس الوزراء الإسرائيلي، فهي مؤسس ومدير "معهد دفورا Dvora Institute"، الذي يعمل كهيئة استشارية قريبة من مجلس الأمن القومي التابع لرئيس الوزراء الإسرائيلي. ومع ذلك، لم تقدم إلكايام ليفي أي أدلة على مزاعمها، وما قدّمته هو فقط مبررات لغياب الأدلة والحقائق في مقابلتها مع شبكة سي إن إن.³⁹

كما عرض تقرير شبكة سي إن إن مقطع فيديو لجندي إسرائيلي لم يُظهر وجهه، تمّ تعريفه بالحرف "ج G"، ويدّعي أنه مسعف من الوحدة 669 (Unit 669)، وهي وحدة الإنقاذ التكتيكي الخاصة التابعة للقوات الجوية الإسرائيلية؛ ويدّعي الجندي في إفادته التي ثبت كذبها لاحقاً، إنه في أثناء تفتيش منازل مستوطنة بئيري في أثناء القتال، فتح باب غرفة نوم ليجد جثتي فتاتين تتراوح أعمارهما بين 13 و15 عاماً، مقتولتين، إحداهما عارية وظهر على أسفل ظهرها بقايا السائل المنوي. ولكن، وبحسب التقرير الذي نشره موقع موندوفيس الأمريكي، عند فحص أسماء جميع الفتيات اللواتي قُتلن في مستوطنة بئيري في 2023/10/7 لمطابقة الحقائق، لم يتم العثور على أي من المراهقتين الإسرائيليتين اللتين تنطبق عليهما هذه الأوصاف ميتين معاً. وبحسب مقابلة مع القناة 13 (Channel 13) الإسرائيلية، أحصى قائد معركة مستوطنة بئيري، باراك حيرام، 13 وحدة عسكرية مختلفة شكلت القوة القتالية الموجودة هناك، ولم تكن الوحدة 669 من بينهم.⁴⁰

ثم عرض التقرير شاهدين للحديث عن حالة الجثث التي رأوها؛ ظهرت الشاهدة الأولى تحت اسم مستعار لسبب غير معروف، على الرغم من إظهارها وجهها



وارتدائها ملابس مدنية، وعرفها التقرير بأنها متطوعة في المشرحة العسكرية. ولكن هذه الشاهدة سبق أن ظهرت صورتها في تقرير مكتوب نُشرَ على موقع واينت العبري في 2023/10/31 وهي بالزي العسكري، وتم تعريفها على أنها عريف احتياط في الجيش الإسرائيلي، ولم تذكر حينها أي ادعاءات بالعنف الجنسي. أما الشاهد الثاني فهو رامي شموئيل Rami Shmuel، ويُعرفه التقرير على أنه أحد منظمي مهرجان نونا الموسيقي، وفي الواقع، هو منظم مهرجان "يونيتي UNITY"، وهو مهرجان آخر للموسيقى الإلكترونية، أقيم في اليوم السابق لمهرجان نونا في الموقع نفسه، ومن ناحية أخرى لم يكن رامي شموئيل حاضراً في موقع المهرجان في أثناء الهجوم، بحسب ما جاء في منشور له على الفيسبوك Facebook، أنه كان في 2023/10/7 "آمناً" في فيلا في مستوطنة نتيفوت Netivot.⁴¹

واستشهدت ميشال هيرتزوج في المقال الذي كتبتة في 2023/11/22، لمجلة نيوزويك الأمريكية، بالفيديو الذي نُشرَ للجندية في الجيش الإسرائيلي والمكلفة بمراقبة الحدود نعمة ليفي Naama Levy، التي تم أسرها من قاعدة ناهال عوز Nahal Oz العسكرية، والتي كانت ترتدي سروالاً ملطخاً بالدماء أسفل ظهرها، وهي أسيرة تحت تهديد السلاح،⁴² ولكن لم يتم تقديم أي دليل يؤكد هذه التهمة، سوى وجود تلك الدماء، وهو دليل غير كافٍ ولا يُثبت هذا الادعاء. ومن المحتمل أن تكون هذه الدماء من يدي ليفي المجرّحتان والمربوطتان خلف ظهرها، أو أنها كانت تجلس على الأرض الملوثة بدماء أحد الجرحى أو القتلى، وخصوصاً أن الفيديو الذي عرض مشهد اعتقال ليفي، عرض مشاهداً لوقوفها على الحائط مع المجندات في الثكنة العسكرية لحظة اعتقالها، كما يُعتقد، وكان على بنطالها هذه البقعة، ثم تم أسرها واقتيادها على الجيب العسكري كما ظهر بالفيديو.

لقد فشلت "إسرائيل" في تقديم أدلة جنائية، أو شهادات للنساء التي تزعم أنهم تعرضوا للاغتصاب، وبحسب صحيفة "التايمز أوف إسرائيل The Times of Israel" إن الأدلة المادية على الاعتداء الجنسي لم يتم جمعها من الجثث، والوقت قد فات لجمع أدلة قاطعة، لأن أدلة إثبات الاغتصاب تُجمَع خلال 48 ساعة فقط بعد الاعتداء، وقال المتحدث باسم الشرطة الإسرائيلية دين إلسدون Dean Elsdunne في 2023/11/14 أنه في الساعات الـ 48 الأولى، كانت ما تزال منطقة غلاف غزة منطقة

”قتال نشطة“، وأضاف إسدون أنّ جثث القتلى الإسرائيليين وصلت إلى المشرحة العسكرية بحالة سيئة للغاية، بحيث لم يكن من الممكن جمع الأدلة المادية على الاعتداء الجنسي، مثل عينات السائل المنوي أو الحمض النووي. وقالت ميريت بن مايور Mirit Ben Mayor، التي تقود الاتصالات في الشرطة الإسرائيلية، إن الكثير من التهم ستعتمد على ”أدلة ظرفية“، هذا بالإضافة إلى تصريح مفوض الشرطة كوبي شبتاي Kobi Shabtai الذي قال إن العديد من ”الضحايا“ الذين نجوا من المجازر ليسوا مستعدين للتحدث. ووفقاً لماي جولان May Golan، وزيرة تمكين المرأة الإسرائيلية، فإن ”الضحايا“ القلائل الذين نجوا يتلقون علاجاً نفسياً، وبالتالي فهم غير قادرين على التحدث.⁴³ فكيف يمكن لـ”إسرائيل“ إثبات تهم الاغتصاب في ظل غياب أدلة ملموسة أو شهادات ”الضحايا“ على ادّعاء الاعتداءات الجنسية؟

وفي المقابل، شاهد العالم المحتجزين الذين استرجعتهم ”إسرائيل“ من المقاومة الفلسطينية في غزة، وأمام عدسات الكاميرات، ووداع المحتجزين النساء والأطفال الودي لعناصر المقاومة، والذي تضمن المصافحة، والنكات، والابتسامات، وهو ما يقدم لنا أوضح دليل على سلوك المقاومة تجاه النساء.

وعلى الرغم من عدم إجراء مقابلات علنية مع غالبية المحتجزين، انتشرت على الوسائل الإعلامية تجربة المحتجزة مياليمبرج Mia Limberg، التي خرجت من الأسر مع كلبتها بيلا Bella، ورسالة شكر المحتجزة دانييل ألوني Daniel Aloni لعناصر حماس على معاملتها لها ولابنتها إميليا Emilia، كما انتشرت مقابلة تلفزيونية لأم وابنتها مفرج عنهما ترويان كيف استخدم عناصر حماس منشفة خلال لعب مصارعة الأذرع حتى لا يلمسهما، وقالت الابنة ”إنّ النساء مقدسات هناك، المرأة كالملكة“ أي في غزة، وتحدثت المحتجزة السابقة أجام غولدشتاين-ألوج Agam Goldstein-Almog ووالدتها تشين غولدشتاين-ألوج Chen Goldstein-Almog، في المقابلة عن الاحترام والمعاملة الإيجابية التي تلقياها من قبل عناصر المقاومة، وذكرت تشين أن أفراد المقاومة أطلقوا عليها اسماً جميلاً باللغة العربية مذكوراً في القرآن الكريم، وهو ”سلسبيل“.⁴⁴ فهل هذه هي جماعة المقاومة الفلسطينية نفسها التي تدّعي ”إسرائيل“ من خلال رواياتها المزيفة الخالية من الأدلة لإقناع العالم أنهم اقترفوا جريمة الاغتصاب في 2023/10/7.





”أنا للأبد سأكون أسيرة شكر“... كتائب القسام تنشر صورة لرسالة كتبتها إحدى المحتجزات (دانييل ألوني) قبيل الإفراج عنها في صفقة التبادل يوم 2023/11/24، إلى عناصر وقيادة الكتائب الذين رافقوها وابنتها خلال فترة احتجازهما.⁴⁵



ميا ليمبرج لحظة إطلاق سراحها وكتبها في 2023/11/28.

رواية حركة حماس: ⁴⁶

من الجدير بالذكر، أنّ حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وفي ضوء الكثير من الاتّهامات والادّعاءات والمزاعم الإسرائيلية الكاذبة والملفّة يوم عملية ”طوفان الأقصى“ في 2023/10/7، أصدر مكتبها الإعلامي في كانون الثاني/يناير 2024 تقريراً أوضحت فيه أنّها استهدفت في العملية المواقع العسكرية الإسرائيلية فقط، وسعت إلى أسر الجنود الإسرائيليين من أجل إطلاق سراح الآلاف من الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال، من خلال عملية تبادل؛ ولذلك تركّز هجومها على فرقة غزة العسكرية الإسرائيلية، وعلى المواقع العسكرية الإسرائيلية في مستوطنات غلاف غزة، والتي كانت تُشكّل مصدر قصف وإطلاق نار على غزة وأهلها.

وأكدت حماس أنّها تجنّبت استهداف المدنيين، وخصوصاً النساء والأطفال وكبار السن، ورأت أنّ هذا ”هو التزام ديني وأخلاقي يتربى عليه أبناء حماس“. وأكدت أنّ المقاومة منضبطة بضوابط وتعليمات الدين الإسلامي، وأن ”استهداف جناحها العسكري هو لجنود الاحتلال، ومن يحملون السلاح ضدّ أبناء شعبنا“. وأضافت أنّه وإن حصل شيء خلاف ذلك فهو ”غير مقصود“.

خاتمة:

إنّ الاتّهامات الإسرائيلية للمقاومة الفلسطينية وسكان قطاع غزة بالوحشية واللاإنسانية في هجوم 2023/10/7، هو محاولة إضفاء المزيد من الشرعية على الجرائم الإسرائيلية في قطاع غزة، وإنّ هذه الاتّهامات لا تبرر الانتقام من أكثر من 2.3 مليون فلسطيني يعيشون في قطاع غزة، ولا ارتكاب أكثر من 2,325 مجزرة، ولا قتل أكثر من 27,238 شهيد، بينهم أكثر من 12,000 طفل، وأكثر من 8,190 امرأة، و122 من الصحفيين، و339 شهيد من الطواقم الطبية، و46 شهيد من الدفاع المدني، ولا فقدان أكثر من 7 آلاف فلسطيني تحت الأنقاض (70% منهم من الأطفال والنساء)، ولا جرح أكثر من 66,452 فلسطيني، ولا نزوح أكثر من 2 مليون إنسان في قطاع غزة، ولا تدمير مئات آلاف من الوحدات السكنية والمساجد والكنائس والمراكز الصحية والمقرات الحكومية، حتى تاريخ 2024/2/3، اليوم الـ 120 من العدوان.⁴⁷



إنَّ الجرائم الإسرائيلية في قطاع غزة موثَّقة بالصوت والصورة وباعتراف من المسؤولين الإسرائيليين، بعكس ادَّعائهم المزيفة، وبتحريض من معسكر اليمين الاستيطاني المتطرّف، الذي وبحسب مقال كتبه أوري مسغاف Uri Misgav، في صحيفة هآرتس الإسرائيلية، يَمنع انتقاد الحكومة، ويَمنع انتقاد جنود الجيش الإسرائيلي ”القديسين“، بنظرهم، ويحرّم إنهاء القتال، ويرى أنَّ الجنود والرهائن القتلى هم ”تضحية نبيلة وجديرة بالاهتمام على طريق الخلاص، وهم الطبقة الفضلى الذي ستنهض عليه دولة يهودا“، ومنتيا هو حمار المسيح، الأحمق المفيد، الذي يُحذِّرونه باستمرار من أنَّ اليوم الذي سيجرّو فيه على وقف القتال هو اليوم الذي ستسقط فيه حكومته.⁴⁸

الهوامش

- ¹ انظر: فاطمة حسّان عيتاني، ما حقيقة الادّعاءات الإسرائيلية بارتكاب المقاومة فظائع في معركة طوفان الأقصى في 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023، موقع مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2024/2/8، في: <https://www.alzaytouna.net>
- ² Israel's war on Gaza in numbers, site of Aljazeera, 20/1/2024, <https://www.aljazeera.com/news/liveblog/2024/1/20/israels-war-on-gaza-live-israel-denied-70-of-aid-to-north-gaza-says-un?update=2635292>
- ³ Linda Dayan and Maya Lecker, How Haaretz Is Counting Israel's Dead From the October 7 Hamas Attack, *Haaretz* newspaper, 23/11/2023, <https://www.haaretz.com/haaretz-explains/2023-11-23/ty-article-magazine/.premium/how-haaretz-is-counting-israels-dead-from-the-october-7-hamas-attack/0000018b-d42c-d423-affb-f7afe1a70000>
- ⁴ رونين بيرجمان ويوآف زيتون، الساعات الأولى من السبت الأسود، موقع واينت، 2024/1/12، انظر: <https://w.ynet.co.il/yediot/7-days/time-of-darkness?externalurl=true> (باللغة العبرية)
- ⁵ Patrick Kingsley et al., The Day Hamas Came, *The New York Times* newspaper, 22/12/2023, <https://www.nytimes.com/interactive/2023/12/22/world/europe/beer-massacre.html>; and Ali Abunimah and David Sheen, Israeli general killed Israelis on 7 October then lied about it, site of The Electronic Intifada, 24/12/2023, <https://electronicintifada.net/content/israeli-general-killed-israelis-7-october-then-lied-about-it/43176>
- ⁶ Tank fires on Israeli civilian home in Kibbutz Be'eri, 7 October 2023, The Electronic Intifada channel, site of YouTube, 25/12/2023, <https://www.youtube.com/watch?v=bjGL0HFTgiU>
- ⁷ Esra Tekin, Role of Israeli tanks in deaths of Israeli civilians back in spotlight, site of Anadolu Agency, 6/12/2023, <https://www.aa.com.tr/en/middle-east/-role-of-israeli-tanks-in-deaths-of-israeli-civilians-back-in-spotlight/3074668>
- ⁸ داني كوشمارو، "كل ما عليك فعله ادھسي الإرهابيين وامضي قدماً: طاقم الدبابة النسائي الذي أنقذ كيبوتسا"، موقع القناة 12 العبرية، 2023/11/25، انظر: <https://www.mako.co.il/news-military/6361323ddea5a810/Article-a0389683a720c81027.htm> (باللغة العبرية)
- ⁹ Dan Cohen, Israeli volunteer: Apache helicopter fired into Kibbutz Be'eri, site of Uncaptured Media, 14/12/2023, <https://www.uncaptured.media/p/israeli-volunteer-apache-helicopter>
- ¹⁰ N12 News (@N12News), site of X (Twitter), 16/12/2023, 10:55 p.m., <https://x.com/N12News/status/1736127899579629878?s=20> (in Hebrew) and Quds News Network (@QudsNen), X (Twitter), 17/12/2023, 11:13 p.m., <https://twitter.com/QudsNen/status/1736494753422676108>
- ¹¹ Israeli forces shot their own civilians, kibbutz survivor says, The Electronic Intifada, YouTube, 16/10/2023, <https://www.youtube.com/watch?v=3cPeRSVgUpQ>; Israeli teen "burned completely" by Israeli tank fire at kibbutz, The Electronic Intifada, YouTube, 25/11/2023, https://www.youtube.com/watch?v=GjC0_swYbT4; and Patrick Kingsley et al., The Day Hamas Came, *The New York Times*, 22/12/2023.

- Naftali Bennett (@naftalibennett), X (Twitter), 14/11/2023, 3:28 p.m.,¹²
<https://x.com/naftalibennett/status/1724419046123164135?s=20>
- Liza Rozovsky, Families of Israelis Killed in Be'eri Home Hit by IDF Tank on October 7¹³
Demand Probe, *Haaretz*, 6/1/2024,
<https://www.haaretz.com/israel-news/2024-01-06/ty-article/.premium/families-of-israelis-killed-in-beeri-home-hit-by-tank-fire-on-october-7-demand-probe/0000018c-de77-daf6-a5df-df7f22d60000>
- Asa Winstanley, Israeli HQ ordered troops to shoot Israeli captives on 7 October, *The Electronic Intifada*, 20/1/2024, <https://electronicintifada.net/blogs/asa-winstanley/israeli-hq-ordered-troops-shoot-israeli-captives-7-october>¹⁴
- يؤآف زيتون، خداع حماس لمروحيات الجيش الإسرائيلي وتوجيه الطيارين على الواتساب، واينت،
2023/10/15، انظر: <https://www.ynet.co.il/news/article/b111niukzt> (باللغة العبرية)¹⁵
- جوشوا (جوش) براينر، تقييم في المؤسسة الأمنية: حماس لم تكن على علم مسبق بمهرجان نופا،
وتعرّفت عليه من الجو، صحيفة هارتس، 2023/11/18، انظر:
<https://www.haaretz.co.il/news/politics/2023-11-18/ty-article/0000018b-e1a5-d168-a3ef-f5ff4d070000> (باللغة العبرية)¹⁶
- Nicole Zedek, 'It smells of death here': Surveying the atrocities committed by Hamas in Kfar Aza,¹⁷
site of i24NEWS, 10/10/2023, <https://www.i24news.tv/en/news/israel-at-war/1696938010-it-smells-of-death-here-surveying-the-scenes-of-atrocities-in-kfar-aza>; and i24NEWS English
(@i24NEWS_EN), X (Twitter), 10/10/2023, 3:19 p.m.,
https://x.com/i24NEWS_EN/status/1711718195025821976?s=20
- See Lawrence Richard, At least 40 babies, some beheaded, found by Israel soldiers in Hamas-
attacked village, site of FOX News, 10/10/2023, <https://www.foxnews.com/world/40-babies-some-beheaded-found-israel-soldiers-hamas-attacked-village>¹⁸
- See Kristina Watrobski, At least 40 babies killed, beheaded in Israeli kibbutz outside Gaza¹⁹
Strip, reports say, site of NBC Montana, 10/10/2023,
<https://nbcmontana.com/news/nation-world/at-least-40-babies-killed-beheaded-in-israeli-kibbutz-outside-gaza-reports-say-israel-palestine-hamas-terrorists-terrorism-invasion-middle-east-conflict-attack>
- See Olivia Land, Hamas kills 40 babies and children — beheading some of them — at Israeli²⁰
kibbutz: report, *New York Post* newspaper, 10/10/2023, <https://nypost.com/2023/10/10/hamas-kills-40-babies-and-children-beheading-some-of-them-at-israeli-kibbutz-report/>
- See Anshel Pfeffer, 'Babies had their throats cut': how Kfar Aza kibbutz massacre unfolded,²¹
The Times newspaper, 11/10/2023, <https://www.thetimes.co.uk/article/kibbutz-israel-kfar-aza-massacre-gaza-strip-z7nz56rn9>
- See Sam Greenhill, Babies beheaded, 40 children shot dead in a single settlement, and families²²
burnt alive by Hamas... SAM GREENHILL meets survivors of the death squads and hears their
stories of unimaginable horror, site of Mailonline, 10/10/2023,
<https://www.dailymail.co.uk/news/article-12616463/holocaust-Babies-beheaded-40-children-shot-dead-families-burnt-alive.html>

²³ نشر موقع صحيفة ديلي صباح Daily Sabah التركية صوراً لأغلفة صحف ورقية ومواقع غربية مبيناً عليها الادّعاء، انظر:

Masking manipulation: Israel, Western media's brutal '40 babies' alibi, 24/10/2023, https://www.dailysabah.com/gallery/masking-manipulation-israel-western-medias-brutal-40-babies-alibi/images?gallery_image=132526

Remarks by President Biden and Second Gentleman Douglas Emhoff at Roundtable with ²⁴ Jewish Community Leaders, site of the White House, 11/10/2023,

<https://www.whitehouse.gov/briefing-room/speeches-remarks/2023/10/11/remarks-by-president-biden-and-second-gentleman-douglas-emhoff-at-roundtable-with-jewish-community-leaders/>; and Mikhail Klimentov, Maegan Vazquez and Toluse Olorunnipa, Netanyahu says 'every Hamas member is a dead man' in televised speech, *The Washington Post* newspaper, 11/10/2023, <https://www.washingtonpost.com/world/2023/10/11/israel-hamas-war-updates-gaza-attack/#link-SIA4LEH6CVAGFEXIJ4556IMXRI>

Max Blumenthal and Alexander Rubinstein, Source of dubious 'beheaded babies' claim is Israeli ²⁵ settler leader who incited riots to 'wipe out' Palestinian village, site of The Grayzone, 11/10/2023, <https://thegrayzone.com/2023/10/11/beheaded-israeli-babies-settler-wipe-out-palestinian>

Lazar Berman, In Kfar Aza, French MPs say gruesome scenes recall 2015 Paris massacre, site ²⁶ of The Times of Israel, 17/10/2023, <https://www.timesofisrael.com/in-kfar-aza-french-mps-say-gruesome-scenes-recall-2015-paris-massacre>

Bill Pan, Israelis Describe Hellish Scenes in Communities Attacked by Hamas Terrorists, ²⁷ *The Epoch Times* newspaper, 13/10/2023, <https://www.theepochtimes.com/world/israelis-describe-hellish-scenes-in-communities-attacked-by-hamas-terrorists-5509150>; and Cédric Mathiot, Florian Gouthière, and Jacques Pezet, Enquête Israël, 7 octobre: un massacre et des mystifications, site of *Libération* journal, 11/12/2023,

https://www.liberation.fr/checknews/israel-7-octobre-un-massacre-et-des-mystifications-20231211_A7QBBETYDRDERFAQINGA66ZAR4

²⁸ موقع الضمان الاجتماعي الإسرائيلي، 9/11/2023، انظر:

(باللغة العبرية) <http://www.btl.gov.il/About/news/Pages/A%D7%90%D7%A9%D7%A8Ladd.aspx>

Nir Hasson and Liza Rozovsky, Hamas Committed Documented Atrocities. But a Few False ²⁹ Stories Feed the Deniers, *Haaretz*, 4/12/2023, <https://www.haaretz.com/israel-news/2023-12-04/ty-article-magazine/.premium/hamas-committed-documented-atrocities-but-a-few-false-stories-feed-the-deniers/0000018c-34f3-da74-afce-b5fbe24f0000>

Israel's Dead: The Names of Those Killed in Hamas Attacks, Massacres and the Israel-Hamas ³⁰ War, *Haaretz*, 19/10/2023, <https://www.haaretz.com/haaretz-explains/2023-10-19/ty-article-magazine/israels-dead-the-names-of-those-killed-in-hamas-massacres-and-the-israel-hamas-war/0000018b-325c-d450-a3af-7b5cf0210000>; and Linda Dayan and Maya Lecker, How Haaretz Is Counting Israel's Dead From the October 7 Hamas Attack, *Haaretz*, 23/11/2023.



Kevin Liptak, White House says Biden's remark on photos of children was intended to 'underscore the utter depravity' of Hamas attack, site of Cable News Network (CNN), 12/10/2023, <https://edition.cnn.com/2023/10/12/politics/joe-biden-photos-children-hamas-israel/index.html>; Turgut Alp Boyraz, Israeli army says it does not have 'confirmation' about allegations that 'Hamas beheaded babies, 10/10/2023, <https://www.aa.com.tr/en/middle-east/israeli-army-says-it-does-not-have-confirmation-about-allegations-that-hamas-beheaded-babies-/3014787>; and Sara Sidner (@sarasidnerCNN), X (Twitter), 12/10/2023, 1:29 p.m., <https://twitter.com/sarasidnerCNN/status/1712415116363169884?s=20>

يشاي كوهين.. صحفي ينشر فيديو مضللاً عن القسام ويسارع لحذفه، موقع قناة الجزيرة، موقع يوتيوب، 30/11/2023، انظر: <https://www.youtube.com/watch?v=DXIpF5m6Bcs>؛ وصحفي إسرائيلي يحذف مقابلة تزعم قتل القسام أطفالاً بغلاف غزة، موقع الجزيرة.نت، 30/11/2023، انظر: <https://www.aljazeera.net/news/2023/11/30/%D9%83%D9%88%D9%87%D9%8A%D9%86-2>

موقع euronews، 15/12/2023، انظر: <https://arabic.euronews.com/2023/12/15/hamas-israel-investigations-attack-october7-kiboutz-super-nova-festival-negev>؛ وانظر: Aaron Rabinowitz, Death and Donations: Did the Israeli Volunteer Group Handling the Dead of October 7 Exploit Its Role?, *Haaretz*, 31/1/2024, <https://www.haaretz.com/israel-news/2024-01-31/ty-article-magazine/.premium/death-and-donations-did-the-volunteer-group-handling-the-october-7-dead-exploit-its-role/0000018d-5a73-d997-adff-df7bdb670000>

Cédric Mathiot, Florian Gouthière, and Jacques Pezet, Enquête Israël, 7 octobre: un massacre et des mystifications, *Libération*, 11/12/2023.

Ibid; and Michal Herzog, The Silence From International Bodies Over Hamas' Mass Rapes Is a Betrayal of All Women, *Newsweek* magazine, 22/11/2023, <https://www.newsweek.com/silence-international-bodies-over-hamas-mass-rapes-betrayal-all-women-opinion-1845783>

Cédric Mathiot, Florian Gouthière, and Jacques Pezet, Enquête Israël, 7 octobre: un massacre et des mystifications, *Libération*, 11/12/2023.

Ibid.³⁷

Max Blumenthal (@MaxBlumenthal), X (Twitter), 25/1/2024, 9:44 a.m., <https://twitter.com/maxblumenthal/status/1750424276795015529?s=46&t=fdBDCxSoPvL6FZViaLRvNw>

CNN report claiming sexual violence on October 7 relied on non-credible witnesses, some with undisclosed ties to Israeli govt, site of Mondoweiss, 1/12/2023, <https://mondoweiss.net/2023/12/cnn-report-claiming-sexual-violence-on-october-7-relied-on-non-credible-witnesses-some-with-undisclosed-ties-to-israeli-govt>

Ibid.⁴⁰

Ibid.⁴¹

Michal Herzog, The Silence From International Bodies Over Hamas' Mass Rapes Is a Betrayal of All Women, *Newsweek*, 22/11/2023.

Carrie Keller-Lynn, Police start building Oct. 7 rape cases, focusing on footage and testimonies,⁴³ The Times of Israel, 14/11/2023, <https://www.timesofisrael.com/police-start-building-oct-7-rape-cases-focusing-on-footage-and-testimonies>; and Kareena Pannu, Despite lack of evidence, allegations of Hamas 'mass rape' are fueling Israeli genocide in Gaza, Mondoweiss, 8/12/2023, https://mondoweiss.net/2023/12/despite-lack-of-evidence-allegations-of-hamas-mass-rape-are-fueling-israeli-genocide-in-gaza/?utm_content=buffer56716&utm_medium=social&utm_source=twitter&utm_campaign=buffer

Tamara Nassar (@TamaraINassar), X (Twitter), 24/12/2023, 4:04 p.m.,⁴⁴ <https://twitter.com/TamaraINassar/status/1738742395787727063?s=20>

⁴⁵ محتجزة إسرائيلية سابقة تركت رسالة شكر وامتنان للقسام، الجزيرة.نت، 2023/11/27، انظر:

<https://www.aljazeera.net/news/2023/11/27/%D9%85%D8%AD%D8%AA%D8%AC%D8%B2%D8%A9-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%B3%D8%A7%D8%A8%D9%82%D8%A9-%D8%AA-%D9%88%D8%AC%D9%87-%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D8%B4%D9%83%D8%B1>

⁴⁶ "لماذا طوفان الأقصى" .. وثيقة لحماس تروي أحداث 7 أكتوبر، الجزيرة.نت، 2024/1/21، انظر:

<https://www.aljazeera.net/news/2024/1/21/%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D8%B7%D9%88%D9%81%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%82%D8%B5%D9%89-%D9%88%D8%AB%D9%8A%D9%82%D8%A9-%D9%84%D8%AD%D9%85%D8%A7%D8%B3-%D8%AA%D8%B1%D9%88%D9%8A>

⁴⁷ إنفوغراف... أكثر من ألفي مجزرة بغزة بعد 120 يوماً من العدوان الإسرائيلي، الجزيرة.نت، 2024/2/3، انظر:

<https://www.aljazeera.net/news/2024/2/3/%D8%A5%D9%86%D9%81%D9%88%D8%BA%D8%B1%D8%A7%D9%81-%D8%A3%D9%83%D8%AB%D8%B1-%D9%85%D9%86-%D8%A3%D9%84%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%AC%D8%B2%D8%B1%D8%A9-%D8%A8%D8%BA%D8%B2%D8%A9-%D8%A8%D8%B9%D8%AF-120>

Uri Misgav, Sanctifying the Indiscriminate Killing in Gaza Is Israel's Second Defeat, *Haaretz*,⁴⁸ 28/12/2023, <https://www.haaretz.com/opinion/2023-12-28/ty-article-opinion/.premium/sanctifying-the-indiscriminate-killing-in-gaza-is-israels-second-defeat/0000018c-ace3-d22d-a3dd-bdfbb0fe0000>



تحولات الرأي العام الدولي وطوفان الأقصى¹

أ. د. وليد عبد الحي*

مقدمة:

تشكل وسائل الإعلام بأشكالها المختلفة (المقروءة، والمسموعة، والمرئية) القديمة والمعاصرة، الأداة الأكثر تأثيراً في توجهات الرأي العام في أي بلد أو إقليم أو على مستوى المجتمع الدولي ككل، ودون الدخول في تفاصيل نظريات الإعلام، فإن وظيفته تنحصر في ثلاثة أبعاد مركزية هي:²

1. التأطير الذهني Framing: أي صناعة إطار معرفي يجعل المتلقي يفكر من خلاله، ويتشكل هذا الإطار من تعريف المشكلة المطروحة بكيفية معينة (فهناك فرق بين تعابير معينة لوصف ظاهرة معينة مثل: حرب غزة، وهجوم حماس الإرهابي، وطوفان الأقصى، وهجوم قوات المقاومة الفلسطينية، والسيوف الحديدية... إلخ)، ثم محاولة "إسرائيل" تكريس تفسير معين للظاهرة موضوع البحث (مثل إن سبب الحرب في غزة هو هجوم المقاومة في 7 تشرين الأول/ أكتوبر)، ثم إضفاء "تقييم أخلاقي أو منظور معياري" على الموضوع المطروح (مثل إرهاب، مقاومة، دفاع عن النفس، عدوان... إلخ)، ثم اقتراح حلول للمشكلة أو توصيات (حلّ الدولتين، احتلال غزة، تهجير سكانها إلى سيناء أو إلى الشتات... إلخ)، أي أن التأطير الذهني يعني تشكيل منظومة معرفية حول موضوع معين بطريقة يتم من خلالها توجيه المتلقي دون أن يدرك، في اتجاهات يريدها صانع الإطار الذهني.

2. تحديد أدوات معينة لتقييم الظاهرة أو تداعياتها priming: أي جعل المتلقي يتبنى معايير لتقييم الموضوع (مثل صعوبة تجنب إيقاع الأذى بالمدنيين في حروب

* خبير في الدراسات المستقبلية والاستشرافية، أستاذ في قسم العلوم السياسية في جامعة اليرموك في الأردن سابقاً، حاصل على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة القاهرة، وهو عضو سابق في مجلس أمناء جامعة الزيتونة في الأردن، وجامعة إربد الأهلية، والمركز الوطني لحقوق الإنسان وديوان المظالم، والمجلس الأعلى للإعلام. أَلَفَ 37 كتاباً، يتركز معظمها في الدراسات المستقبلية من الناحيتين النظرية والتطبيقية، ونُشر له نحو 120 بحثاً في المجالات العلمية المحكمة.

المدن، أو أن المقاومة تطلق صواريخها من بين المدنيين، أو أن إيران هي التي طلبت إشعال هذه الحرب، أو أن الفكر الإسلامي فكر عنيف... إلخ).

3. تغييب أو استحضار موضوعات معينة دون غيرها agenda-setting: أي أن الدولة إذا واجهت مشكلة معينة فإنها تثير موضوعات لتزحزح انتباه الرأي العام من منظور لا تريده إلى منظور تسعى لتكريسه، مثل تغييب تأثير الاحتلال على المجتمع الفلسطيني، التأكيد على التطبيع كدليل على تفهم العرب لحق "إسرائيل" في الوجود، تغييب الحديث عن قرارات الأمم المتحدة المساندة للحقوق الفلسطينية، التذكير بوقائع معينة دون غيرها... إلخ.

وقد جرى تحول كبير في فاعلية أدوات هذه "المراحل الثلاث"، وتتجلى أهم مؤشرات التحول في الانتقال من الاحتكار (الرسمي أو النخبوي أو المؤسسي) إلى المشاركة من أي فرد (من الديمقراطية الحبيسة إلى الديمقراطية الطليقة)³، ففي الفترات السابقة كان الإعلام خصوصاً السياسي محتكر في أجهزة الدولة، أو من خلال أداة محددة تمارس فيها النخبة دوراً إعلامياً، إلى جانب مؤسسات خاصة تتبع شركات أو مؤسسات مالية أو غيرها، وكانت السمة العامة هي أن أغلب أفراد المجتمع ينتمون لشريحة المتلقي، وهو ما يساعد الاحتكار الرسمي أو النخبوي أو المؤسسي الخاص على "تأطير" العقل الجمعي بكيفية أو أخرى، وتوجيه ردود أفعاله وتداعياتها باتجاه محدد. لكن ثورة وسائل التواصل الاجتماعي بأشكالها المتعددة جعلت العالم ينتقل من مرحلة الاحتكار إلى مرحلة المشاركة العامة، فأصبح المتلقي منتجاً للخبر أو الصورة أو المقال أو الفيديو، وأصبح نقل الخبر أكثر سرعة وأكثر انتشاراً⁴، ومن هنا لم يعد هناك قدرة على الاحتكار وتكييف ردات فعل المتلقي طبقاً لمضمون ما ينشره أو يبثه المحتكر، وهنا أصبح الإعلام أكثر ديموقراطية، وضاق المجال على الرواية "المصنوعة من قبل المحتكر". وقد كشفت دراسات متخصصة⁵، أن توجهات الرأي العام في الدول الغربية لها تأثير واضح على "الخطاب السياسي" للسياسيين الغربيين، وأنهم يعدلون من نصوصهم السياسية بما يضمن لهم تأييد الشارع لهم.

بناء على ما سبق، تحاول هذه الدراسة تطبيق التحول السابق في الميدان الإعلامي على الرأي العام الشعبي في العالم، من خلال رصد مدى التحول في موقف الرأي العام الدولي بعد عملية "طوفان الأقصى" التي بدأت يوم 2023/10/7، وما تزال متواصلة حتى الآن.⁶



أولاً: استراتيجية "إسرائيل" وحلفائها في التعامل مع العملية العسكرية للمقاومة:

عند رصد أدبيات الإعلام الإسرائيلي في عرض العملية، نجد التعاون بين الخبراء الإسرائيليين والغربيين، خصوصاً ممن لهم صلات سابقة بالشرق الأوسط، في تحديد الاستراتيجية الإعلامية لكسب الرأي العام الدولي، وهو ما يتضح في تأكيدهم على مقتضيات نجاح الإعلام الإسرائيلي في كسب الرأي العام الدولي في ظلّ كسر احتكار الرواية الذي كان سابقاً، وهو ما يستوجب التنبه له والإعداد للرد عليه على النحو التالي:⁷

1. تكرار "إسرائيل" أن هجوم المقاومة في 7 تشرين الأول/ أكتوبر لم يسبقه أي استفزاز إسرائيلي أو أي عمل عدائي تجاه غزة، وذلك يستهدف تكريس فكرة أن المقاومة هي التي افتعلت الحدث، وبالتالي يجب أن توجه لها الإدانة.

بالمقابل يجب أن يركز الإعلام الفلسطيني في هذه النقطة على السياسة الإسرائيلية قبل العملية، والتأكيد على أن طوفان الأقصى هي رد على السياسة الإسرائيلية الرافضة لكل مبادرات "السلام" التي طرحها الفلسطينيون والمجتمع الدولي، فقد مضى على حصار غزة بشكل كامل 16 عاماً، ناهيك عن إغلاق مطارها وتعطيل موانئها ومنع صيادها من ممارسة الصيد البحري في مياه غزة الإقليمية، وتحليق الطيران في سمائها بشكل مستمر، والاعتداءات المتكررة على مواطنيها، إضافة إلى استمرار الاستيطان في الضفة الغربية، والاعتقالات، وهدم البيوت، والانتهاك الدائم لمقدسات المسلمين الفلسطينيين في الأقصى وغيره من الأماكن الإسلامية والمسيحية.

2. التركيز في الدعاية الإسرائيلية على أن الهدف المركزي للهجوم الإسرائيلي هو "المقاومة - الإرهاب" وليس الشعب الفلسطيني أو السلطة الرسمية الفلسطينية.

وهنا من الضروري التأكيد على أنه إذا كان الهجوم فقط على حركة حماس في غزة، فلماذا تمّ قتل مئات الفلسطينيين، واعتقال الآلاف، وهدم البيوت، ومصادرة المنازل أو هدمها في الضفة الغربية والقدس خلال العمليات الإسرائيلية في غزة وقبلها، علماً أن حماس ليس لها وجود مؤسسي أو بنيوي في الضفة الغربية.

3. تحاول الرسالة الإعلامية الإسرائيلية إقناع الرأي العام الدولي بضرورة التعامل مع المواجهة مع الفلسطينيين على أساس أن هناك صراعاً ثقافياً بين الطرفين،⁸ ويجب توظيف ذلك من خلال اعتبار المقاومة الفلسطينية امتداداً "للتطرف والإرهاب الإسلامي"، واستمرار تكرار التذكير بداعش والقاعدة والهجمات على المدنيين في أوروبا و"إسرائيل" ودول عربية وإسلامية و11 سبتمبر... إلخ.

في هذه النقطة، يجب التركيز في الإعلام الفلسطيني على جميع أقوال الوزراء المتطرفين في الحكومة الإسرائيلية مثل إيتمار بن غفير Itamar Ben-Gvir وبتسلئيل سموتريش Bezalel Smotrich ورجال الدين الإسرائيليين خصوصاً حول تهجير الفلسطينيين وحول وصف الوزراء للفلسطينيين بالحيوانات، واقتراح إعدام المعتقلين الفلسطينيين المطروح حالياً في الكنيست Knesset، وعلى عدد المعتقلين الذين يموتون في السجون الإسرائيلية، وعدد الموقوفين إدارياً دون توجيه أي تهم لهم.

4. محاولة تكريس الإعلام الإسرائيلي فكرة أن غزة ليست محتلة، وأن "إسرائيل" انسحبت منها سنة 2005. وهنا من الضروري العمل على طرح فكرة أن هناك علاقة ما بين سياسات بنيامين نتنياهو Benjamin Netanyahu ضد الفلسطينيين وبين رغبته في امتصاص الاحتقان الداخلي ضده، وأن رفضه لوقف إطلاق النار ورفضه رفع الحصار هو محاولة منه لتحقيق نجاح عسكري ليعيد الثقة به بعد أن دلت استطلاعات الرأي العام الإسرائيلي على تراجع شعبيته وشعبية حزبه تراجعاً كبيراً.⁹

5. اعتبار الإعلام الإسرائيلي أن معركة "إسرائيل" في غزة هي امتداد للسياسة الغربية في أوكرانيا، حيث العمل في الجبهتين على مواجهة المعسكر المعادي للقيم الليبرالية الغربية. وهنا يجب الرد على ذلك بالتنبيه إلى أن أغلب الدول الغربية أصبحت أكثر ميلاً لفرض هدنة إنسانية في غزة، بل إن بعضهم يطالب بوقف القتال، لكن "إسرائيل" لم تستجب لكل هذه الدعوات، والدليل على ذلك التصويت في الأمم المتحدة، وهو ما يعزز أن "إسرائيل" لا تراعي مصالح الدول الغربية بمقدار مراعاة تلك الدول للمصلحة الإسرائيلية، وهي أفكار بدأت تتردد في الكتابات الغربية منذ 2010 خصوصاً في الولايات المتحدة.¹⁰

6. تروج "إسرائيل" بأن الحرب ليست لإعادة احتلال غزة أو تهجير سكانها بل لتدمير القدرة العسكرية لحماس، وأن "إسرائيل" لا تريد إعادة احتلال غزة.



وفي مواجهة هذا الادعاء لا بدّ من إعادة التذكير بآراء الرئيس السابق لمجلس الأمن القومي جيورا آيلاند Giora Eiland عن التهجير من الضفة الغربية وغزة، بل وبعض الاقتراحات بالتخلص من فلسطيني الأراضي المحتلة سنة 1948.¹¹

7. تروج الدعاية الإسرائيلية أن حماس اغتصبت السلطة وتقيد الحريات وتفرض أيديولوجيتها الدينية على المجتمع الفلسطيني بشكل قسري. وهنا لا بدّ من العودة إلى التذكير بنتائج انتخابات 2006 وفوز حركة حماس، وهو ما أثار ردة فعل غاضبة في "إسرائيل" أخذت طابع التحريض على الحركة، وتأكيد "إسرائيل" على أهمية التنسيق الأمني مع السلطة لخنق الحركة وحصارها.

8. على "إسرائيل" أن تكبح تصريحات بعض وزرائها المتطرفين أو تعمل على عدم تداولها كغيرها من التصريحات السياسية الرسمية الإسرائيلية الأخرى. وهنا يتوجب الأمر موقفاً معاكساً، وهو ترويج هذه التصريحات ونشرها وعقد الندوات والحلقات التلفزيونية لمناقشتها.¹²

9. التأكيد الإعلامي الإسرائيلي المتواصل على أن "إسرائيل" "حريصة على حياة الفلسطينيين"، وهذا ما يستدعي بث ونقل أكبر عدد من الصور للهدم والقتل والتضييق على حركة المواطنين، ومنعهم من الوصول لمقرات عملهم، ورفض التعاون مع المنظمات الدولية لتحسين ظروف الحياة للفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، خصوصاً منظمات حقوق الإنسان ووكالات الإغاثة الدولية ومنظمة العفو الدولية، بل والهجوم الإعلامي على الأمين العام للأمم المتحدة. ويكفي تعميم المؤشرات التالية لتأكيد الوضع غير الإنساني في الأراضي غير المحتلة، طبقاً لاستطلاعات رأي عام المجتمع الفلسطيني التي أجرتها مؤسسات بحثية أمريكية:¹³

الوضع المعيشي والنفسي	غزة (%)	الضفة الغربية والقدس (%)
عدم القدرة على توفير الطعام	57	28
دون مأوى	29	17
الشعور بالقلق والاضطراب	53	40
الإحساس بالغضب من التضييق	44	36
فقدان الأمل بين الشباب	28	36

ثانياً: التحول في الرأي العام الدولي مع طوفان الأقصى:

لقد تنبّهت "إسرائيل" إلى خطورة التحولات التي أشرنا لها في مجال انتقال الإعلام من الاحتكار إلى المشاركة الشعبية، وأدركت أن انتهاء الاحتكار الإعلامي أخذ يزعزع الصورة التي رسمتها لنفسها في الذهن الدولي، وأقر العديد من المسؤولين والكتّاب الإسرائيليين بذلك، وعند مراجعة التحولات في الرأي العام الدولي لصالح الفلسطيني يتبين سر القلق الإسرائيلي، وتتجلى هذه المظاهر في الآتي:¹⁴

1. يقول رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق نفتالي بينيت Naftali Bennett إن "التأييد الذي يحظى به الفلسطينيون في وسائل التواصل الاجتماعي الصينية يعادل 15 ضعف التأييد لإسرائيل".¹⁵

2. التغير في توجهات الرأي العام في الولايات المتحدة خلال شهر تقريباً من وقوع طوفان الأقصى، خلال الفترة 12-10/13-2023/11/14، ويتضح ذلك في المؤشرات التالية:¹⁶

أ. تراجع نسبة المطالبين بدعم "إسرائيل" من 41% (عند بداية معركة طوفان الأقصى) إلى 32% (بعد 41 يوم من المواجهة)، كما أن 68% من الأمريكيين يؤيدون وقف إطلاق النار خلافاً للموقف الرسمي الأمريكي والإسرائيلي، كما أن الذين طالبوا باتخاذ أمريكا موقفاً محايداً ارتفع من 27% إلى 39% في فترة القياس نفسها التي أشرنا لها.

ب. عند المقارنة بين تأييد إرسال السلاح لـ "إسرائيل" ولأوكرانيا، كانت النتائج على النحو التالي:

نعم (%)	لا (%)	
41	32	أوكرانيا
31	43	"إسرائيل"

وهو ما يدل على أن نسبة التأييد لأوكرانيا أعلى بشكل واضح قياساً لـ "إسرائيل".

ج. التأييد لـ "إسرائيل" بين الجمهوريين كان أعلى من نسبة التأييد بين الديمقراطيين بشكل واضح خصوصاً بين الشباب.



3. موقف اليهود في العالم ومشاركتهم في المظاهرات: من هم اليهود الذين يديرون ظهورهم لـ "إسرائيل"؟ كان هذا عنواناً لمقال في صحيفة يديعوت أحرونوت للكاتب الإسرائيلي أتيلا سومفالفي Attila Somfalvi الذي ذكر نصاً "إن الأكثر إثارة للدهشة هم اليهود الذين يشاركون في حملة تشهير ضدّ أمتهم التي تتعرض لهجوم بلا رحمة من قبل الوحوش البشرية، وإن الجهل التاريخي الصارخ المعروض يفطر القلب، ويجبرنا نحن اليهود على التفكير في كيفية وسبب هذا الواقع البائس".¹⁷

4. أشار تقرير لمعهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي The Institute for National Security Studies (INSS) إلى أن عدد المظاهرات المؤيدة لـ "إسرائيل" والفلسطينيين في العالم خلال الفترة 7-2023/10/27 هو على النحو التالي:¹⁸

أ. في الولايات المتحدة: جرت 182 مظاهرة مؤيدة لـ "إسرائيل" مقابل 402 مظاهرة مؤيدة للفلسطينيين ومعارضة لـ "إسرائيل".

ب. عدد المظاهرات المؤيدة لـ "إسرائيل" في كل العالم خلال الفترة نفسها هي 359 مظاهرة، مقابل 3,482 مظاهرة مؤيدة للفلسطينيين.

ج. تشير دراسة أخرى إلى أن عدد المظاهرات خلال الفترة نفسها كان 3,761 مظاهرة مؤيدة للفلسطينيين مقابل 529 مؤيدة لـ "إسرائيل"، أي أن التأييد هو نحو 86% لصالح الفلسطينيين.¹⁹

5. تحليل مضمون الصحف والمواقع الإلكترونية (غير العربية وغير الإسلامية):²⁰ تمّ جمع 1,080 عنواناً لصحف ومواقع إلكترونية غربية أو آسيوية أو إفريقية أو أمريكية لاتينية، وتمّ تصنيف هذه العناوين على أساس مضمون العنوان من حيث دلالات العنوان؛ هل هو مؤيد لـ "إسرائيل" أو للفلسطينيين، وتمّ اختيار العينة عشوائياً، وبعد الفرز تبين أن:

أ. 726 عنواناً مؤيداً للفلسطينيين أي ما نسبته 67.2%.

ب. 317 عنواناً مؤيداً لـ "إسرائيل"، أي ما نسبته 29.3%.

ج. 37 عنواناً إما يؤيد الطرفين أو يعارضهما، أي ما نسبته 3.5%.

6. أدت عملية طوفان الأقصى إلى إعادة الموضوع الفلسطيني إلى صدارة القضايا الدولية بعد أن بدأت مشكلات دولية أخرى تؤثر على العناية بها، مثل الأزمة الأوكرانية، واحتمالات المواجهة الأمريكية والصينية حول تايوان. وتدل نتائج أحد استطلاعات الرأي التي أجريت خلال الفترة 20-2023/10/23، على النتائج التالية في المجتمع البريطاني:²¹

أ. قال 69% من المستجوبين أنهم يتابعون بقدر كبير مجريات الصراع حول غزة مقابل 62% يتابعون الموضوع الأوكراني.

ب. ذكر 74% من المستجوبين أنهم مهتمون بموضوع المدنيين الفلسطينيين مقابل 71% مهتمون بالمدنيين الإسرائيليين.

ج. وحول الدور البريطاني في الحرب طالب 37% منهم بموقف حيادي لبريطانيا، و16% يطالبون بعدم التدخل بأي شكل، وطالب 13% بتأييد "إسرائيل" مقابل 12% لتأييد الفلسطينيين. لكن الملفت للانتباه في هذه النتائج هو ما يلي:

- تأييد من هم في عمر 18-34 عاماً الفلسطينيين بنسبة 23% مقابل 7% لـ "إسرائيل".
- أما من هم بين 55 و75 عاماً فيميلون لتأييد "إسرائيل" بنسبة 22% مقابل 4% للفلسطينيين.

ثالثاً: التداعيات المستقبلية لهذه النتائج:

يشير الاتجاه الأكبر في الصحافة الغربية وغير الغربية إلى أن "إسرائيل" خسرت معركة الحرب الإعلامية²² في معركة طوفان الأقصى، بل إن أغلب تقارير المنظمات الدولية أو ما تنقله وسائل الإعلام المختلفة بدأت تأخذ الروايات الإسرائيلية بقدر كبير من التشكك، خصوصاً موضوعات المستشفيات وتبرير قتل المدنيين من الأطفال والنساء. وربما تتمثل أهم التداعيات لهذه النتائج في الآتي:

1. إن الصورة "الإرهابية" التي تقدمها "إسرائيل" للعرب أصبحت أقل قابلية للتصديق مع الارتفاع المتواصل في عدد الضحايا المدنيين من الفلسطينيين في غزة والضفة الغربية، وهو ما يعني أن "إسرائيل" ستواجه في كل مرة تحاول تقديم نفسها



بشكل إيجابي أو تقارن الطرف الفلسطيني بجهات متطرفة بالتشكك في رواياتها، في ظل الصورة الحالية للسلوك الإسرائيلي في غزة والتي أصبحت مرجعية في ذهن المتلقي.

2. يبدو أن التقارير العديدة من وسائل الإعلام الغربية والمنظمات الدولية تناقض الرواية الإسرائيلية حول "الوجود العسكري للمقاومة" في المستشفيات أو المدارس،²³ وهو ما سيعزز الشكوك مستقبلاً في الروايات الإسرائيلية.

3. إن السياسات الإسرائيلية عززت من وجهة النظر الغربية، على الرغم من محدوديتها حتى الآن، التي ترى أن "إسرائيل" أصبحت عبئاً أكثر منها عوناً.²⁴

4. من المؤكد أن عودة أي مسؤول إسرائيلي للحديث عن الهولوكوست Holocaust أو معاداة السامية سيتم تذكيره بما فعلته حكومته في غزة، وهو ما سيجعل "إسرائيل" أقل ميلاً لتكرار الحديث عن الهولوكوست لأنها مارست الممارسة نفسها، أي أن هذه الفكرة (الهولوكوست) لم تعد مجدية بالقدر الذي كانت عليه سابقاً، وهو ما بدأ الاعلام الغربي يشير له.²⁵

5. دلت المؤشرات في الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي على أن الأجيال الشابة (قادة المستقبل) هم أكثر تعاطفاً مع الموقف الفلسطيني، وهو أمر تعزز بشكل واضح في فترة ما بعد الطوفان، وهو ما يعني أن احتمالات التغير التدريجي في اتجاهات لا تتناسب مع السياسة الإسرائيلية أمر سيتزايد.

6. مع أن دراستنا هذه معنية بالرأي العام الشعبي، إلا أن التصويت في الأمم المتحدة، وبيانات الأمين العام للأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة، وعدد الدول التي سحبت سفراءها أو احتجت على السياسة الإسرائيلية تجاه قطاع غزة يعزز من تحولات الرأي العام في هذه الدول بقدر ما.

الهوامش

¹ انظر: وليد عبد الحي، تحولات الرأي العام الدولي وطوفان الأقصى، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2023/12/4.

² Patricia Moy and Brandon Bosch, "Theories of public opinion," in Paul Cobley and Peter J. Schultz (editors), *Handbook of Communication Science. Vol. 1: Theories and Models of Communication* (Berlin: De Gruyter Mouton, 2013), pp. 289-308, <https://digitalcommons.unl.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=1251&context=sociologyfacpub>

³ للتعرف على تفاصيل هذه التحولات انظر:

Steven Barnett, "What's wrong with media monopolies?," MEDIA@LSE Electronic Working Papers, No. 18, 2010, <https://www.lse.ac.uk/media-and-communications/assets/documents/research/working-paper-series/EWP18.pdf>

⁴ For news organizations, the flood of Gaza war video is proving both illuminating and troubling, site of The Associated Press (AP), 13/11/2023, <https://apnews.com/article/ai-gaza-war-video-media-news-c5e23399d190b3b1161eee90ee055ceb>

⁵ Anselm Hager and Hanno Hilbig, "Does Public Opinion Affect Political Speech?," *American Journal of Political Science*, Midwest Political Science Association, Vol. 64, No. 4, October 2020, pp. 921-937, https://www.dropbox.com/s/n64g1pvs28iot39/16_Hager_Hilbig_AJPS_speech.pdf?dl=0

⁶ تمت كتابة هذه الدراسة في 2023/11/21.

⁷ Robert Satloff and Dennis Ross, How Israel can win the other Gaza battlefield: public opinion, site of The Hill, 2/11/2023, <https://thehill.com/opinion/international/4290135-how-israel-can-win-the-other-gaza-battlefield-public-opinion>; and Dina Shehata, Western media and public opinion and Israel's war on Gaza, site of Ahram Online, 25/10/2023, <https://english.ahram.org.eg/News/510886.aspx>

⁸ The culture war over the Gaza war, site of The Economist, 28/10/2023, <https://www.economist.com/international/2023/10/28/the-culture-war-over-the-gaza-war>

⁹ Israeli opposition leader says time has come to replace Netanyahu, site of Reuters, 16/11/2023, <https://www.reuters.com/world/middle-east/israeli-opposition-leader-says-time-has-come-replace-netanyahu-2023-11-16>; and Yossi Verter, Disillusioned, Disappointed and Angry, Even Netanyahu's Own Party Is Starting to Turn on Him, site of Haaretz newspaper, 17/11/2023, <https://www.haaretz.com/israel-news/2023-11-17/ty-article/.premium/disillusioned-disappointed-and-angry-even-netanyahus-own-party-starts-to-turn-on-him/0000018b-d9a0-d168-a3ddfa7e0f0000>

¹⁰ Major Keith Tighe, "Israel: Strategic Asset or Strategic Liability?," Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Military Studies, 2013, <https://apps.dtic.mil/sti/tr/pdf/ADA602527.pdf>; and Anthony H. Cordesman, Israel as a Strategic Liability?, site of Center for Strategic and International Studies (CSIS), 2/6/2010, <https://www.csis.org/analysis/israel-strategic-liability>

¹¹ Giora Eiland, "Rethinking the Two-State Solution," Policy Focus #88, The Washington Institute for Near East Policy, September 2008, <https://www.washingtoninstitute.org/media/3445>



Israeli minister condemned for claiming “no such thing” as a Palestinian people, site of *The Guardian* newspaper, 20/3/2023, <https://www.theguardian.com/world/2023/mar/20/israeli-minister-condemned-claiming-no-such-thing-as-a-palestinian-people-bezalel-smotrich>

Palestinians in Gaza at Risk Before Israel-Hamas War, site of Gallup, 2/11/2023, <https://news.gallup.com/poll/513662/palestinians-gaza-risk-israel-hamas-war.aspx>

Israeli poll finds 49% support for holding off on Gaza invasion, Reuters, 27/10/2023, <https://www.reuters.com/world/middle-east/israeli-poll-finds-49-support-holding-off-gaza-invasion-2023-10-27/>; Laura Santhanam, Poll: Majority of Americans sympathize with Israel but growing number say military response in Gaza ‘too much’, site of PBS NewsHour, 15/11/2023, <https://www.pbs.org/newshour/world/poll-majority-of-americans-sympathize-with-israel-but-growing-number-say-military-response-in-gaza-too-much>; and Sympathy for Israel Has Evaporated, All Eyes Are on Ceasefire Now, site of The Wire, 21/11/2023, <https://thewire.in/world/sympathy-for-israel-has-evaporated-all-eyes-are-on-ceasefire-now>

Israel losing support from global public amid its relentless attacks on Gaza, site of Anadolu Agency, 20/11/2023, <https://www.aa.com.tr/en/middle-east/israel-losing-support-from-global-public-amid-its-relentless-attacks-on-gaza/3059070>

US public support for Israel drops; majority backs a ceasefire, Reuters, 15/11/2023, <https://www.reuters.com/world/us-public-support-israel-drops-majority-backs-ceasefire-reutersipsos-2023-11-15>

Israel losing support from global public amid its relentless attacks on Gaza, Anadolu Agency, 20/11/2023; and Who are the Palestinian and Jewish-led groups leading the protests against Israel’s action in Gaza?, PBS NewsHour, 16/11/2023, <https://www.pbs.org/newshour/politics/who-are-the-palestinian-and-jewish-led-groups-leading-the-protests-against-israels-action-in-gaza>

Israel at War: An Overview, site of The Institute for National Security Studies, ¹⁸

<https://www.inss.org.il/publication/war-data>

Mapping the conflict in Israel and Gaza, Reuters, 15/11/2023, <https://www.reuters.com/graphics/ISRAEL-PALESTINIANS/MAAPS/movajdladpa/2023-11-15/after-days-long-siege-israeli-forces-enter-al-shifa-hospital>

²⁰ تمّ جمع هذه العناوين خلال الفترة 2023/10/11–2023/11/1، وتمّ وضع عبارة “Gaza Current War” على الإنترنت، ثمّ تمّ أخذ عنوان المقال أو الموقع الإلكتروني الذي يظهر، ثمّ الاطلاع على مضمون المقال أو الخبر أو التقرير... إلخ، لتحديد مدى تطابق العنوان مع المحتوى للتأكد من توجه المقال، ثمّ تصنيف العنوان مع أو ضدّ طرفي الحرب، ثمّ جمع عدد المؤيدين والمعارضين لكل من الطرفين، وبلغ عدد العناوين 1,080 عنواناً، وتمّ استبعاد أي موقع أو صحيفة تصدر في دولة عربية أو إسلامية بهدف معرفة الرأي العام من خارج هذه المجموعة.

²¹ أجرى الاستطلاع المعهد العام لاستطلاعات الرأي القطاعي، ومقره باريس. انظر:

Israel/ Gaza conflict: 7 in 10 Britons concerned about plight of civilians on both sides, site of Ipsos, 27/10/2023, <https://www.ipsos.com/en-uk/israel-gaza-conflict-7-10-britons-concerned-about-plight-of-civilians-on-both-sides>; and How public opinion on the Israel-Hamas war has shifted, site of *Financial Times* newspaper, 21/11/2023, <https://www.ft.com/content/6bf4f6ed-b705-4e66-ac6f-59b5ef6c0c77>

David Ignatius, Opinion: An inside look at what's ahead in Israel's shattering war in Gaza,²² site of *The Washington Post* newspaper, 18/11/2023, <https://www.washingtonpost.com/opinions/2023/11/18/israel-gaza-war-planning-amas-direction/>; and Jon Alterman, What Comes After War in Gaza, site of TIME, 12/10/2023, <https://time.com/6322825/war-in-gaza-israel-amas-essay>

IDF evidence so far falls well short of al-Shifa hospital being Hamas HQ, *The Guardian*,²³ 17/11/2023, <https://www.theguardian.com/world/2023/nov/17/idf-evidence-so-far-falls-well-short-of-al-shifa-hospital-being-amas-hq>

Most Democrats consider Israel 'a burden' on US with too much influence on policy, poll²⁴ claims, site of *The Times of Israel* newspaper, 3/12/2016, <https://www.timesofisrael.com/most-democrats-consider-israel-is-a-burden-on-the-united-states-poll-claims/>; and Paul Scharf, Suddenly: A Burden for Israel, site of Sharper Iron, 13/10/2023, <https://sharperiron.org/article/suddenly-burden-for-israel>

Israel must stop weaponising the Holocaust, *The Guardian*, 24/10/2023,²⁵ <https://www.theguardian.com/commentisfree/2023/oct/24/israel-gaza-palestinians-holocaust>; and John Benjamin, The Real Danger of Using Holocaust Analogies Right Now, TIME, 16/11/2023, <https://time.com/6336249/oct-7-gaza-holocaust-essay>

سيناريوهات ما بعد طوفان الأقصى¹

أ. د. وليد عبد الحي

مقدمة:

تشتت الدراسات المستقبلية للظواهر السياسية بشكل خاص والاجتماعية والاقتصادية بشكل عام التمييز بين الحدث Event، وبين الاتجاه الفرعي Sub-trend، وبين الاتجاه Trend، وبين الاتجاه الأعظم Mega-trend.² ثم هناك مسألتان لا بدّ من مراعاتهما في هذا السياق وهما: نقاط التحول Turning Points، أي الحدث الذي يفرض تغيرات تؤدي لتحول جذري في مسار الاتجاه الأعظم بشكل رئيسي؛ ومتغير البجعة السوداء Black Swan، أي الحدث غير المتوقع والمفاجئ، والذي يصيب مركز الظاهرة ويؤدي إلى تداعيات عميقة. ويختلف متغير البجعة السوداء عن نقطة التحول في أن نقاط التحول يجري إدراجها في الاحتمالات، أما البجعة السوداء فهي التغير الذي لم يكن في الحسبان من الأساس. فمثلاً تولي أنور السادات الحكم في مصر كان نقطة تحول في السياسة المصرية، لكن مقتله كان بجعة سوداء.

استناداً إلى هذه المقدمة، فإن استشراف مآلات وتداعيات طوفان الأقصى المستقبلية يجب أن يتم من خلال إدراجها في الاتجاه الأعظم للصراع العربي الصهيوني، وهو ما يستدعي مناقشة ثلاث خطوات هي:

1. تحديد الهدف الاستراتيجي الأعلى لكل طرف من أطراف الصراع المركزية وهي: فلسطين، و"إسرائيل"، والولايات المتحدة، ودول الجوار العربي، وبقية المجتمع الدولي.

2. تحديد الاتجاه الأعظم للصراع.

3. سيناريوهات الاتجاه الأعظم وتشمل:

- الاستمرار في الاتجاه الأعظم.
- التحول الجزئي في الاتجاه الأعظم.
- تشكل تدريجي لاتجاه أعظم بديل.

أولاً: تحديد الأهداف الاستراتيجية لأطراف الصراع:

لكي نربط بين الخطوات الإجرائية للتحليل تبعاً، لا بدّ من خطوة أولى مهمة وهي تحديد الأهداف الاستراتيجية العليا لأطراف الصراع، وهو ما يمكننا تلخيصه في الآتي:

1. فلسطين:

إنجاز الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، والمتمثلة في بُعدين هما الأرض والسكان (مواطنين ولاجئين).

2. "إسرائيل":

أ. الاحتفاظ بأكبر قدر من المساحة من أراضي الضفة الغربية والقدس، بأقل قدر ممكن من السكان الفلسطينيين.

ب. اجتثاث أي شكل من أشكال المقاومة المسلحة الفلسطينية أو العربية المعادية لـ"إسرائيل".

ج. العمل على منع أي تطور عربي قد يشكل تهديداً مستقبلياً لـ"إسرائيل".

3. الولايات المتحدة:

أ. إنجاز تسوية تضمن لـ"إسرائيل" أكبر قدر من الضمانات الأمنية.

ب. توظيف المنطقة في إدارة صراعاتها الدولية.

4. دول الجوار العربي:

الأمن الداخلي: القبول بأيّ تسويات لا تؤثر على استقرار النظام السياسي في الدولة.

5. المجتمع الدولي:

تحقيق تسوية سياسية تلجم الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية السلبية للنزاع العربي الإسرائيلي على الشؤون الدولية.



ثانياً: تحديد الاتجاه الأعظم للصراع العربي الصهيوني:

يشترط الاستشراف المستقبلي التخلص من ثغرتين في التحليل التقليدي، الأولى تحييد تام للتفكير الرغبي (الرغائبي) Wishful thinking من ناحية، ومن ناحية ثانية التخلص من عدم الاتساق المعرفي Cognitive Dissonance القائم على سيطرة فكرة معينة على الفرد، تجعله يحاول تطويع وتفسير أي أفكار مناقضة لفكرته المسيطرة، بتحليلات ذهنية تُشعره بالاتساق في منظومته المعرفية من ناحية، والاتساق مع الأفكار السائدة في السياق الاجتماعي من ناحية ثانية.³

استناداً لما سبق، يشير رصد المسار العام للصراع العربي الصهيوني منذ سنة 1948 إلى تبلور الاتجاه الأعظم عبر عدد من المراحل على النحو التالي:

المرحلة الأولى 1948-1967:

اتّسمت هذه المرحلة بسيطرة المنظور الصفري للصراع (أي اعتبار أي مكسب لأحد الأطراف هو خسارة موازية للطرف الآخر، كما أن حجم المصالح المشتركة بين الطرفين تدور حول مستوى الصفر)، ففي هذه الفترة كان الموقف العربي الرسمي والشعبي هو رفض وجود "إسرائيل" رفضاً تاماً، واعتبرت الحالة بين الطرفين هي "خطوط هدنة"، أي أنها لا تعني إلا وقفاً مؤقتاً لإطلاق النار، ولا تعد حدوداً دولية طبقاً للقانون الدولي، ولا تعني انتهاء حالة الحرب بين الطرفين. وهنا لا بدّ من التوقف عند توصيف الحالة التي كانت قائمة بين العرب و"إسرائيل"، فهناك أربعة مصطلحات سائدة يجب توضيح التباين بينها وهي:⁴

1. **الهدنة Truce**: هي وقف مؤقت وقصير وغير رسمي للقتال، وعادةً ما يتم ترتيبها محلياً مع السماح لكل جانب ببعض الوقت لإجلاء الضحايا من ساحة المعركة، ولا تشير بالضرورة إلى أي استعداد لتسوية الصراع.

2. **وقف الأعمال العدائية cessation of hostilities**: وهو وقف أوسع نطاقاً وأكثر رسمية من الهدنة، وهو يعني اتفاق جزئي "لتعليق إطلاق النار"، وغالباً ما يكون بداية لعملية سلام أوسع، لكنه مؤقت وغير ملزم، وفي حالة تعدد أطراف الصراع قد ينطبق الوقف على بعض المعارضين فقط.

3. **وقف إطلاق النار cease-fire**: اتفاق يتم التفاوض عليه لوقف الأعمال العدائية واتخاذ خطوات أخرى لتهدئة الأمور، مثل سحب الأسلحة الثقيلة، أو تحديد "خط

أخضر“ أو منطقة منزوعة السلاح للفصل بين القوات المتعارضة، وعادةً يكون الاتفاق ملزماً، ويستمر لفترة من الوقت حتى لو وقعت بعض الانتهاكات، لكنه لا ينهي الصراع، بل يوقفه فقط.

4. **الوقف الدائم والشامل للقتال armistice**: اتفاق رسمي لوقف جميع العمليات العسكرية في الصراع بشكل دائم، فهو ينهي الحرب ويفتح المجال للتفاوض على معاهدة سلام، والتصديق عليها مع الالتزام في أثناء التفاوض بالتوقف عن محاولة تسوية خلافاتهما بالأدوات العسكرية.

والملاحظ أن المرحلة الأولى من الصراع 1948-1967 كانت تعني ”هدنة“ بالمعنى الذي أشرنا له في التعريف بكل مصطلح، فهو لا يعني إلا الوقف المؤقت للعمل العسكري، ولا يتضمن التزاماً بتسوية سلمية.

المرحلة الثانية 1967-1973:

شكّلت حرب حزيران/ يونيو 1967 نقطة تحول جذرية في الموقف العربي، وتمثل التحول في توجّه أولي نحو المنظور غير الصفري للصراع والذي تمثل بقبول قرار 242، وهو ما يعني الإقرار بحق ”إسرائيل“ في الوجود، واعتبار حدود الهدنة التي كانت في المرحلة الأولى حدوداً دولية بين الطرفين مع استمرار اعتبار حدود 1967 حدوداً غير مقبولة، لكن هذا التحول له دلالات عميقة في وضع الأسس للتعامل مع ”إسرائيل“ كجزء من البناء الإقليمي للمنطقة، على الرغم من أيّ خلافات معها حول أيّ قضية من القضايا، لأنه انطوى على الأخذ بمفهوم ”وقف الأعمال العدائية“ دون إلزام.

المرحلة الثالثة 1973-1977:

شكّلت حرب تشرين الأول/ أكتوبر 1973 مدخلاً لتعميق المنظور غير الصفري بقبول قرار 338 (الذي يعزز القبول بقرار 242) مضافاً له القبول باتفاقيات الفصل بين القوات في سيناء والجولان، وهنا بدأ يغيب مصطلح الهدنة ويتسع ليشمل وقف الأعمال العدائية، ويقترب من الحالة التي يعبر عنها مصطلح ”وقف إطلاق النار“، والذي يشي في مضمونه بالاستعداد للدخول في نشاطات دبلوماسية قد تُفضي لتسوية معينة. وتكرس هذا التوجه بزيارة السادات إلى القدس إلقاء خطاب سياسي



في الكنيست Knesset الإسرائيلي، وهو ما يعني تحويل الصراع Conflict إلى نزاع Dispute؛ ويمثل الصراع خلافاً يُدار بوسائل غير سلمية، بينما النزاع يمثل خلافاً تجري تسويته بوسائل سلمية، وهو ما يؤسس للمرحلة القادمة من تعميق التحول والتبني للمنظور غير الصفري.

المرحلة الرابعة 1979-1994:

في هذه المرحلة انتقل المنظور غير الصفري من المستوى النظري والقانوني إلى مستوى الممارسة السياسية التطبيقية من خلال خطوتين هما:

1. المعاهدة المصرية الإسرائيلية والتي أقرت فيها أكبر وأهم دولة عربية بوجود قانوني وشرعي بـ"إسرائيل"، وأصبح التعامل مع "إسرائيل" تعاملًا لا يختلف عن التعامل مع أي دولة أخرى، وأصبح هناك تعاون وتجارة مشتركة وسياسة وزيارات دبلوماسية لا تنقطع... إلخ، وعليه استقر المنظور غير الصفري ليصبح هو قاعدة العلاقات العربية الإسرائيلية، وهو ما يعني الانتقال إلى مرحلة المصطلح الرابع وهو الوقف الشامل والدائم للقتال.

2. أدى انهيار الاتحاد السوفييتي، وتبني مصر للمنظور غير الصفري بخروجها من جبهة الصراع مع "إسرائيل"، ثم الاضطراب الواسع في العراق وتحطيم قدراته العسكرية في سلسلة حروب مع إيران والولايات المتحدة، إلى انضمام الممثل الشرعي لفلسطين (منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف)) إلى المنظور غير الصفري عبر اتفاقية أوسلو Oslo Accord سنة 1993، وهو ما يعني أن المنظور غير الصفري أصبح اتجاهاً أعظم يضغط بقوة على بقية الأطراف لتبنيه، وهو ما تجسد في اللحاق الأردني السريع بقاطرة المنظور غير الصفري بمعاهدة وادي عربة سنة 1994، أي بعد عام تقريباً على اتفاق أوسلو، وهو ما جعل الاتجاه الأعظم أكثر قوة وأكثر ضغطاً على الأطراف العربية الأخرى.

المرحلة الخامسة 1994-2023:

شكلت المرحلة الرابعة قاعدة راسخة لتدفق الاتجاه الأعظم المتمثل في المنظور غير الصفري إلى كافة التضاريس السياسية العربية، وشكلت المبادرة العربية التي طرحتها السعودية سنة 2002 اكتمالاً نظرياً للقبول العربي بالمنظور الصفري،

إنّ تضمنت المبادرة العربية "الاعتراف والتطبيع العربي الكامل بـ"إسرائيل"" مقابل دولة فلسطينية، وبدأ تطبيق الاعتراف واللقاءات السرية والعلنية والمنفردة والجماعية بالنظر الإسرائيلي دون قيام الدولة الفلسطينية، إلى أن بدأ توالي عمليات التطبيع مع "إسرائيل" سنة 1999 باعتراف موريتانيا بـ"إسرائيل" دبلوماسياً (وإن عادت وتراجعت عنه سنة 2010)، ثم تسارع التطبيع سنة 2020 إلى كلّ من الإمارات والبحرين والسودان والمغرب، وهو ما يشير إلى أن المنظور غير الصفري يكتسب زخماً متواصلاً.

ثالثاً: ثغرات في الانجاء الأعظم:

تشكّلت خلال الفترة التي عرضناها اتجاهات فرعية بعضها تنامي إلى حدّ الاتجاه المستقر، وبعضها توارى جزئياً، سواء في المستوى المحلي (فلسطيني/إسرائيلي)، أم الإقليمي (شرق أوسطي/عربي) أم الدولي (الحراك القطبي صعوداً وهبوطاً)، ولكي لا نغرق في الأحداث والاتجاهات الفرعية العابرة، نتوقف عند الاتجاهات التي تأبى التراجع وتقف في وجه الاتجاه الأعظم وهي:

1. انتقال إدارة الصراع مع "إسرائيل" من "الدول" إلى "الحركات الشعبية المسلحة":

فإلى جوار الاتجاه الأعظم الذي عرضناه والذي يكشف حلقات الخروج المتتالي "للدول" من الصراع (مصر، منظمة التحرير الفلسطينية، الأردن، دول اتفاق أبراهام... إلخ)، ظهر اتجاه معاكس يتمثل في بروز قوى شعبية تشبّثت بخيار المقاومة المسلحة، ففي الوقت الذي خرجت الدول تبعاً من دائرة الصراع، تبلورت قوى سياسية شعبية مسلحة ومتشبّثة بخيار الكفاح المسلح، فإلى جانب حركات المقاومة الفلسطينية المسلحة الأولى في الفترة 1965-1981 (فتح، والجبهة الشعبية، والصاعقة... إلخ)، ظهرت حركات مسلحة جديدة مثل الجهاد الاسلامي (1981)، ثم ظهر حزب الله في لبنان (1982)، ثم حركة حماس (1987)، ثم حركة أنصار الله في اليمن (2004)، ثم الحشد الشعبي في العراق (2014)، وتبنت هذه القوى مواصلة



المواجهة. وتلقى هذه الحركات مساندة من بعض الدول، وتولت إدارة الصراع مع "إسرائيل" بشكل تدريجي، وأسهمت مجموعة عوامل في تنامي زخم هذه الحركات:

أ. قيام الثورة الإيرانية سنة 1979 وتبنيها موقفاً معاكساً للتوجهات العربية الرسمية، ومساندتها لهذا الاتجاه ومن يمثله، وهو ما يعني شرخاً في الاتجاه الأعظم غير الصفري.

ب. الحاضنة الشعبية الرافضة لأيّ علاقة أو تطبيع أو تقديم تنازلات في فلسطين، وهو أمر تدل عليه استطلاعات الرأي العام العربي التي أجرتها هيئات عربية وعربية، بل إن المعارضة للعلاقة مع "إسرائيل" تتزايد،⁵ وهو ما يعني إبقاء المستقبل مفتوحاً أمام احتمال التضييق على الاتجاه غير الصفري.

ج. الإرث الثقافي الديني ودوره في تشكيل صورة اليهود في الذهن العربي، وهو اتجاه يغذي وبقوة أنصار الاتجاه الأعظم الصفري.

د. الفشل التام في تحقيق تسوية سياسية بالوسائل السلمية، واستمرار الاستيطان وتهديد المسجد الأقصى وكافة السياسات الإسرائيلية ذات التوجه السلبي، وهو ما يجعل الاتجاه غير الصفري يحمل بذور فنائه في ذاته.

هـ. تزايد التيار الديني المتشدد في المؤسسة السياسية الإسرائيلية، وهي ظاهرة تعزز كل المعطيات السابقة لصالح المنظور الصفري.

2. تحولات على المستوى الدولي:

ثمة عوامل عمّقت ثغرات الاتجاه الأعظم الذي أشرنا له، وأهم هذه العوامل هي:

أ. لقد سبق وأشرنا في دراسة كمية إلى وجود علاقة طردية خطية بين نسبة التأييد الدولي للحقوق الفلسطينية وبين استمرار تصاعد المقاومة ضد "إسرائيل"، وتعززت هذه الفرضية بشكل قاطع مع طوفان الأقصى، كما أوضحنا ذلك في دراسة أخرى،⁶ ويكفي ملاحظة ذلك في تزايد التأييد للموقف الفلسطيني في قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة خلال معركة طوفان الأقصى كما يتضح من الجدول التالي:⁷

الهيئة الأممية	تصويت 2023/10/16	تصويت 2023/10/18	تصويت 2023/11/8
مجلس الأمن	5	12	13
	تصويت 2023/10/26	تصويت 2023/12/12	–
الجمعية العامة	⁸ 121	153	–

ب. على الرغم من ضيق الشق في جدار العلاقة الإسرائيلية الأمريكية لأسباب عديدة، إلا أن التراجع الأمريكي في المكانة الدولية بدأ يأخذ دوره في بروز تعقيدات في شبكة العلاقات الأمريكية الإسرائيلية، إذ يبدو أن التغير في المكانة الأمريكية في النظام الدولي نحو الأسوأ، يفرض على السياسة الخارجية الأمريكية أنماط تكيّف ستتمس العلاقة مع "إسرائيل" بمستوى أو بآخر، وقد أشرنا في دراسة سابقة إلى مؤشرات التراجع الأمريكية والتراجع النسبي في المكانة الاستراتيجية للشرق الأوسط في أولويات السياسة الأمريكية،⁹ الأمر الذي سينعكس على مدى أهمية الوظيفة الإسرائيلية في نطاق استراتيجية الولايات المتحدة، مقابل تسارع واضح في مؤشرات القوة للقوى الدولية الصاعدة خصوصاً الصين، وهو ما يشكل مكسباً استراتيجياً لقوى المقاومة على المدى المتوسط والبعيد، ناهيك عن التغير التدريجي في الرأي العام الأمريكي بعد طوفان الأقصى، خصوصاً بين الديمقراطيين وبين الشباب الأمريكي، مما قد يكون له آثار مستقبلية.

ج. مواجهة "إسرائيل" لخيارين أحلاهما مر، فالمجتمع الدولي بما فيه الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي وروسيا والصين وأغلب بقية دول العالم تؤيد مشروع حلّ الدولتين، وهو ما سيضع "إسرائيل" أمام خيارين هما إما القبول بهذا الحل، وهو ما ينطوي على مخاطرة كبيرة بصراع داخلي عميق بين القوى السياسية المختلفة داخل المجتمع الإسرائيلي، إلى جانب صراع مع مئات آلاف المستوطنين في الضفة الغربية، أو الذهاب إلى الخيار الثاني وهو رفض الحل، مما سيجعل "إسرائيل" في موقف دولي حرج للغاية قد يترتب عليه ضغوط دولية على غرار ما جرى مع جنوب إفريقيا.



رابعاً: تداعيات طوفان الأقصى:

شكّلت عملية طوفان الأقصى في قطاع غزة نقطة تحول استراتيجية فعلية لا افتراضية، وكرّست العملية تزايد الاتجاه الفرعي في المسار التاريخي الفلسطيني، والمتمثل في انتقال المواجهة من يد الجيوش الرسمية إلى يد الحركات الشعبية المسلحة والمسنودة بتأييد شعبي عربي واسع، كما كرّست تغييراً إيجابياً في الرأي العام الدولي كان يسير بقدر من البطء ولكن الطوفان سارعه وغذاه ليصل إلى مجتمعات الدول الأكثر عداء للحقوق الفلسطينية، ناهيك عن أن العملية فرضت على العقل الإسرائيلي إعادة النظر في أدبيات التفاؤل السياسي بمستقبل "إسرائيل" التي روج لها اليمين الصهيوني.

لكن تداعيات عملية الطوفان ستحمل معها للعامين القادمين مسارات متعددة وتنطوي على تداعيات لا بدّ من التنبه لها، والتفكير في إعداد الخطط الاستراتيجية للتعامل معها:

المسار الأول: المسار الفلسطيني:

ستواجه القادة والمجتمع الفلسطيني الهموم التالية للعامين القادمين:

1. إعادة تأهيل الحياة الاقتصادية والاجتماعية في قطاع غزة:

لقد أدى العدوان الإسرائيلي إلى التدمير الكلي أو الجزئي لأكثر من ربع مليون مسكن أو مركز تجاري أو مؤسسة رسمية أو خدمة شعبية أو رسمية (المرافق الطبية من مستشفيات وصيديات، والمدارس والجامعات والمساجد)، ومئات الكيلومترات من الطرق البرية، ومساحات كبيرة من الأراضي الزراعية، وتدمير مصادر المياه وتسرب شبكات الصرف الصحي، إلى جانب الخسائر البشرية التي جعلت مئات آلاف الأطفال والنساء والمعاقين جسدياً أو نفسياً دون معيل، إلى جانب توقف مؤسسات الإنتاج بشكل شبه تام.

يترتب على ذلك أن الهم المباشر والضروري سيكون في إعادة الحياة في قطاع غزة إلى طبيعتها التي كانت سائدة على أقل تقدير قبل العدوان، وهو ما سيواجه قدراً من العراقيل متعلقة بتوفير الأموال والمواد لترميم ومعالجة كل ما ذكرناه، وطبقاً لتقديرات أولية خلال الشهرين الأولين للمعركة فإن المبلغ المطلوب سيتجاوز الخمسين مليار

دولار، ولا شك أن استمرار المعركة سيرفع المبلغ لرقم أعلى،¹⁰ وللحصول على هذا المبلغ سيتطلب الأمر مؤتمرات دولية لجمعه، كما سيتطلب الانتباه إلى ما يلي:

- قد تصل المساعدات المادية في وقت مبكر، لكن الأموال ستأخذ وقتاً طويلاً وقد يقصر طبقاً لدرجة الاستجابة له المرتبط بمواقف الدول المانحة، ولعل نتائج المؤتمر الإنساني الدولي الذي عُقد في باريس في 2023/11/9، ودور لجنة المتابعة له في 2023/11/6، يشيران إلى أن جمع مبالغ إعادة التأهيل لن يكون يسيراً بل يبدو أنه سيكون موضع "ابتزاز للمقاومة".¹¹

- إن الدول العربية الأكثر قدرة على تقديم المساعدات هي الأقل تناغماً مع توجهات المقاومة الفلسطينية، وهو ما سيدفعها إلى وضع شروط سياسية (من خلف الستار) لتقديم المساعدة، مثل أن يتم تسليم الأموال إلى جهة دولية أو اقليمية أو السلطة الفلسطينية، وإخضاع الصرف للرقابة لضمان عدم توظيف الأموال في مؤسسات المقاومة أو لمساعدة عائلات المقاومين.

- إن الولايات المتحدة والدول الأوروبية واليابان ستفرض شروطاً سياسية وإدارية على مساعداتها، وستكون دالة تلك الشروط هو إضعاف المقاومة من كل الجوه، ووضعها أمام خيارات سياسية صعبة ودقيقة.

- إن المساعدات الصينية والروسية قد تكون دون شروط سياسية، لكنها—وخصوصاً الروسية—ستكون متواضعة قياساً لحجم المبالغ المطلوبة، ونظراً للظروف الحالية في روسيا.

- قد تربط مصر بين مرور المساعدات والمواد المطلوبة لإعادة البناء والتأهيل الاجتماعي، أن يكون لشركاتها نصيب وافر في مشروعات إعادة التأهيل، خصوصاً المؤسسات التابعة للجيش المصري (على غرار ما جرى بعد العدوان الإسرائيلي في سنة 2021).¹²

- ستواجه حركة المقاومة تنازعات في الاختصاص بينها وبين السلطة الفلسطينية خصوصاً في مجال تلقي أموال المساعدات وكيفية توزيعها وأولويات الصرف منها.

2. تحديد الموقف السياسي من المبادرات والقرارات الدولية:

وتحديداً تلك التي ستعقب وقف إطلاق النار، خصوصاً مفاوضات الأسرى والرهائن التي قد تطول أو تقصر طبقاً لمعطيات ميدان المعركة، وقد تواجه المقاومة



ضغوطاً وإغراءات في معالجة هذا الملف، وستحاول "إسرائيل" والولايات المتحدة وبعض الدول العربية الضغط على المقاومة للتنازل عن فكرة "تبييض" السجون من المعتقلين الفلسطينيين، وسيتم ربط بعض هذه الجوانب بالمساعدات من باب الغواية.

المسار الثاني: الموقف الإقليمي:

وينقسم الموقف الإقليمي إلى بُعدين:

1. الموقف العربي: ويتمثل في جوهره في بُعدين هما الموقف المصري وموقف محور المقاومة، ولا يبدو أن الموقف المصري سيمسّه أي تغيير جوهري، بينما قد يخبو دور محور المقاومة أو يبقى على حاله طبقاً للنتائج الميدانية في قطاع غزة.
2. دور إيران وتركيا: استناداً للواقع الميداني فإن كلا البلدين سيعمل على بقاء موقفه، وهو التأييد العلني للحقوق الفلسطينية مع فارق أساسي هو استمرار الدعم الإيراني للمقاومة دون الدخول المباشر في أي مواجهة لاحقة، إلا إذا وقع تطور كبير يصيب إيران ذاتها. أما تركيا فسياق سياستها لن يتجاوز حدود النقد العلني للسياسة الإسرائيلية، مع بقاء علاقاتها التجارية والسياسية معها دون تغيير عملي.

المسار الثالث: المسار الدولي:

ويمكن تحديد الاتجاه المحتمل في الآتي:

عزّزت عملية طوفان الأقصى من القناعة بين القوى الكبرى خصوصاً الولايات المتحدة بضرورة إيجاد تسوية سلمية، ولعلّ حلّ الدولتين هو الحل الذي تؤيده أغلب دول العالم، وهو ما سيضع "إسرائيل" في موقف حرج وأمام خيارين (كما لاحظنا سابقاً):

1. القبول بحلّ الدولتين (وقد تعمل على تكييفه بشكل يخدم أمنها)، مع احتمال أن يفجر هذا القبول صراعاً بين القوى السياسية في داخل "إسرائيل"، وقد يصل إلى قدر من العنف.

2. رفض حلّ الدولتين وهو ما سيزيد من تقلص مساحة التأييد الشعبي والدولي لـ "إسرائيل"، وسيضع الدول العربية التي تُطَبّع مع "إسرائيل" في موقف أكثر

حرجاً، وبالتالي ستزداد ظاهرة انتقال إدارة الصراع من يد الدول إلى يد الحركات العربية المسلحة.

إن بناء مصفوفة من التأثيرات المتبادلة Cross Impact Martix بين المستويات الثلاثة وتداعياتها يعطي مؤشراً أولياً على استمرار الصراع، لكن النتائج المباشرة لمعركة طوفان الأقصى تؤسس خلال العامين القادمين لما بعدهما، أي أن نتائج المعركة العسكرية والإدارة العقلانية من طرف المقاومة للصراع للمرحلة المباشرة بعد وقف القتال سيبقى هو الطاعى في العامين القادمين، ولكي يعود القطاع إلى حياته الطبيعية على أقل تقدير فإن الأمر قد يستغرق أكثر من العامين القادمين.



الهوامش

¹ انظر: وليد عبد الحي، سيناريوهات ما بعد طوفان الأقصى، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2024/1/2.

² يُقصد بالحدث أي واقعة سياسية؛ انتخاب، أو اغتيال، أو فوز، أو تغيير وزاري، أو اشتباك عسكري، أو قطع علاقات دبلوماسية، أو اتفاق تجاري، أو فرض حصار، أو معاهدة "سلام" إلخ. أما الاتجاه الفرعي فهو مجموعة أحداث تتكرر في الميدان نفسه، مثل تكرار قطع العلاقات ثم عودتها (الميدان الدبلوماسي)، أو تكرار اشتباكات حدودية (ميدان عسكري) إلخ. أما الاتجاه فهو مجموعة اتجاهات فرعية يصيبها التكرار ولكن في الاتجاه نفسه؛ أي أن العلاقة قد تكون بين طرفين علاقة خطية Linear (أي تتحسن باستمرار، أو تسوء باستمرار)، وقد تكون غير خطية non linear (أي تتذبذب تقدماً وتراجعاً من مرحلة لأخرى)، ومجموع الاتجاهات التي تتسق حركيتها في اتجاه واحد (خطي أو غير خطي) هو ما يسمى الاتجاه الأعظم. لمزيد من التفاصيل انظر: وليد عبد الحي، **مناهج الدراسات المستقبلية وتطبيقاتها في العالم العربي** (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2007)، ص 11-18.

³ Sebastian Cancino Montecinos, *New Perspectives on Cognitive Dissonance Theory* (Stockholm: Stockholm University, 2020), <http://www.diva-portal.org/smash/get/diva2:1411016/FULLTEXT01.pdf>

⁴ ثمة جدل واسع حول هذه المصطلحات بين القانونيين، خصوصاً أن دلالات هذه المصطلحات تغيرت عبر التاريخ، لكن الفقه الدولي المعاصر أخذ يميل لبعض التمييز بينها، انظر التفاصيل في:

Sydney D. Bailey, "Cease-Fires, Truces, and Armistices in the Practice of the UN Security Council," *The American Journal of International Law*, vol. 71, no. 3, July 1977, pp. 461-469; Truce, Cease-Fire and Armistice: The Legal Nuances, *The New York Times* newspaper, 22/2/2016, <https://www.nytimes.com/2016/02/23/world/middleeast/truce-cease-fire-and-armistice-the-legal-nuances.html>; Marika Sosnowski, *Redefining Ceasefires* (Cambridge University Press, 2023), pp. 13-22; and Margaux Pinaud, "Pathways to Peace? A Mixed Methods Study of the Role of Civil Society in Ceasefire Monitoring" (PhD dissertation, University of Manchester, Faculty of Humanities, School of Arts, Languages and Cultures, 2021), https://pure.manchester.ac.uk/ws/portalfiles/portal/196052041/FULL_TEXT.PDF

⁵ ديلان كاسين وديفيد بولوك، الآراء في مختلف الدول حول التطبيع العربي الإسرائيلي و"اتفاقيات إبراهيم"، موقع منتدى فكرة، معهد واشنطن، 2022/7/15، انظر: <https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/alara-fy-mkhtlf-aldwl-hwl-alttby-alrby-alasrayyly-watfaqyat-abraham> و"المؤشر العربي 2019/2020 في نقاط"، موقع المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تشرين الأول/أكتوبر 2020، في: <https://www.dohainstitute.org/ar/Lists/ACRPS-PDFDocumentLibrary/> Arab- Opinion-Index-2019-2020-Inbreef-Arabic-Version.pdf؛ ويوثيل غوزانسكي وتومر باراك، ما رأي العرب؟.. تحليل استطلاعات الرأي العام في الدول العربية، ترجمة موقع حضارات نقلاً عن معهد بحوث الأمن القومي، 2023/11/4، في: <https://hadarat.net/post/42039>

⁶ قارن الدراستين: "القضية الفلسطينية والوضع الدولي"، في: محسن محمد صالح (محرر)، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2018-2019** (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2020)، ص 397-398؛ ووليد عبد الحي، تحولات الرأي العام الدولي وطوفان الأقصى، موقع مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2023/12/4، في: <https://www.alzaytouna.net>

⁷ انظر التفاصيل في:

UN News (@UN_News_Centre), site of Twitter, 27/10/2023, https://twitter.com/UN_News_Centre/status/1717992371906839005/photo/2; and US vetoes UN resolution calling for Gaza ceasefire, site of Al Jazeera, 8/12/2023, <https://www.aljazeera.com/news/2023/12/8/antonio-guterres-urges-un-security-council-to-push-for-gaza-ceasefire>

⁸ نقلت أغلب وكالات الأنباء أن عدد المؤيدين كان 120، والحقيقة أنه وقع خطأ تقني تمت معالجته، وأصبح الرقم 121، انظر:

UN General Assembly adopts Gaza resolution calling for immediate and sustained 'humanitarian truce', site of United Nations (UN), 26/10/2023, <https://news.un.org/en/story/2023/10/1142847>

⁹ وليد عبد الحي، تيار التراجع الأمريكي في المكانة الدولية ومأزق الخيارات الاستراتيجية العربية والإسرائيلية، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2020/11/4.

¹⁰ Adnan Abdul Razzaq, Rebuilding Gaza: The huge cost of Israel's devastating war, site of The New Arab, 27/11/2023, <https://www.newarab.com/analysis/rebuilding-gaza-huge-cost-israels-devastating-war>; UN report warns war has already set Gaza and West Bank economy back more than a decade, site of Cable News Network (CNN), 9/11/2023, <https://edition.cnn.com/2023/11/09/middleeast/un-report-gaza-economic-impact-poverty/index.html>

وانظر أيضاً: دويتشه فيله: من سيدفع تكاليف إعادة بناء قطاع غزة بعد تدميره؟، موقع عربي 21، 2023/12/15، <https://arabi21.com> في:

¹¹ انطلاق "مؤتمر إنساني" بشأن غزة في فرنسا.. وماكرون يأمل بـ"نتائج ملموسة"، موقع الحرية، 2023/11/9، <https://www.alhurra.com> انظر:

¹² مع ترقب جهود إعادة إعمار غزة.. كيف ستفي مصر بوعده 500 مليون دولار؟، موقع الجزيرة.نت، 2021/5/23، <https://www.aljazeera.net> انظر:



قرار محكمة العدل الدولية بين الحياد القانوني والضغط السياسي في معركة طوفان الأقصى¹

أ. د. وليد عبد الحي

مقدمة:

ترافق مع مفهوم تسوية النزاعات الدولية مفهوم آخر هو "الطرف الثالث"، وهو طرف يوكل له العمل على تسوية النزاع، وقد يكون الطرف الثالث دولة أو مجموعة دول أو منظمة دولية أو إقليمية أو هيئة حكومية أو غير حكومية، وصولاً إلى أن يكون الطرف الثالث شخصية دولية، لكن الدور الذي يقوم به الطرف الثالث يتراوح بين أنماط ثلاثة من آليات التسوية المتعددة، والتي أشارت لها المادة 33 من ميثاق الأمم المتحدة،² وهي:

1. الوساطة mediation: يتدخل الطرف الثالث في نقل وجهات النظر للأطراف المتنازعة، ويقدم اقتراحاته لتقريب وجهات النظر، دون أن يتمتع بصفة الإلزام لأي من طرفي النزاع.

2. التحكيم arbitration: يختار أطراف النزاع طرفاً ثالثاً لتسوية النزاع، مع الاقرار المسبق بالموافقة على التسوية التي يقترحها المحكم.

3. التقاضي judicial: عرض النزاع على جهة قضائية ذات اختصاص لإصدار قرار في موضوع النزاع. وهذه الآلية هي التي سنركز عليها في موضوعنا الحالي لربطه بموضوع الحرب في قطاع غزة 2023/2024 بعد عملية طوفان الأقصى، التي قامت بها المقاومة الفلسطينية ضدّ "إسرائيل"، مع الإشارة إلى أن هيئات التقاضي الدولية متعددة، لكن تركيزنا سيتمحور حول محكمة العدل الدولية.

ويمكن اعتبار محكمة العدل الدولية الدائمة Permanent Court of International Justice التي شكلتها عصبة الأمم سنة 1921، نقطة البداية في نشوء القضاء الدولي المعاصر. وقد نظرت هذه المحكمة خلال الفترة بين 1922 و1940 في 29 قضية،

وأصدرت 27 رأياً استشارياً، وعُدَّت المحكمة غير موجودة بعد استقالة قضاتها سنة 1946، وتم تحويل ملفاتها للمحكمة الجديدة التي تم إنشاؤها كأحد هيئات الأمم المتحدة (UN) التي ورثت عصبة الأمم League of Nations سنة 1945 وأصبحت بديلاً عنها. وشرعت المحكمة الجديدة في النظر في القضايا الدولية بدءاً من سنة 1947 حين نظرت في قضية بين بريطانيا وألبانيا. وتضم المحكمة 15 قاضياً، ومدة تولية المنصب هي تسع سنوات، ويتم استبدال خمسة قضاة كل ثلاث سنوات (بعد أن يكمل كل منهم مدته وهي تسع سنوات)، ويتم الانتخاب في الجمعية العامة UN General Assembly وفي مجلس الأمن UN Security Council بشكل مترام، ويجب أن يحصل الفائز على أغلبية مطلقة، ويجوز للقاضي أن ينتخب أكثر من مرة.³

أولاً: عمل المحكمة:

تنظر المحكمة في نمطين من القضايا، قضايا قانونية يتقدم بها أعضاء من الأمم المتحدة ومن وافقوا على النظام الأساسي للمحكمة، أو تقدم استشارات قانونية تطلبها مؤسسات الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة، ولا تختص المحكمة بالنظر في نزاع إلا إذا قبلت الدول المعنية اختصاصها بوحدة أو أكثر من الطرق التالية:⁴

1. إبرام اتفاق خاص لعرض النزاع على المحكمة.
2. بموجب شرط الاختصاص القضائي، أي عادةً، عندما تكون هذه الدول أطرافاً في معاهدة تحتوي على حكم يجوز بموجبه، في حالة وجود نزاع من نوع معين أو خلاف حول تفسير أو تطبيق المعاهدة، أن يحيل أحدهما النزاع إلى المحكمة.
3. من خلال الأثر المتبادل للإعلانات الصادرة عنهما بموجب النظام الأساسي، حيث قبل كل منهما اختصاص المحكمة باعتباره إلزامياً في حالة نشوب نزاع مع دولة أخرى أصدرت إعلاناً مماثلاً. ويتضمن عدد من هذه الإعلانات، التي يجب إيداعها لدى الأمين العام للأمم المتحدة، تحفظات تستثني انماطاً معينة من النزاعات.
4. يمكن لأي من طرفي الدعوى أن يطلب عدم السماح بنشر القضية للرأي العام أو السماح للإعلام بالحضور ومتابعة وقائع الدعوى.



5. تعد أحكام المحكمة نهائية وغير قابلة للاستئناف.
6. إذا لم يلتزم أحد الأطراف بالقرار، فمن حق الطرف الآخر دعوة مجلس الأمن للنظر في اتخاذ الإجراءات ضد الطرف الذي لم يلتزم بالقرار، وهذا الإجراء هو الإجراء العادي. ومع ذلك، يمكن تعديل مسار الإجراءات بإجراءات عرضية من قبيل:
- أ. الاعتراضات الأولية، كالتي تثار للطعن في اختصاص المحكمة في البت في موضوع الدعوى (قد تزعم الدولة المدعى عليها، على سبيل المثال، أن المحكمة غير مختصة أو أن الطلب غير مقبول). وهو أمر متروك للمحكمة نفسها للبت فيه.
- ب. تدابير مؤقتة، وهي التي يمكن أن تطلبها الدولة المدعية إذا رأت أن الحقوق التي تشكل موضوع طلبها معرضة لخطر داهم.
- ج. يجوز للدولة أن تطلب الإنذار بالتدخل في نزاع يتعلق بدول أخرى إذا رأت أن لها مصلحة ذات طبيعة قانونية في القضية موضوع الدعوى، وخصوصاً التي قد تتأثر بالقرار المتخذ.
- د. وينص النظام الأساسي أيضاً على الحالات التي تفشل فيها الدولة المدعى عليها في المثول أمام المحكمة، إما لأنها ترفض اختصاص المحكمة تماماً أو لأي سبب آخر، وإن عدم حضور أحد الأطراف لا يمنع الإجراءات من أخذ مجراها، على الرغم من أنه يجب على المحكمة أن تتأكد أولاً من أنها مختصة.
- هـ. إذا وجدت المحكمة أن الأطراف في إجراءات منفصلة يقدمون نفس الحجج والدفع ضد خصم مشترك فيما يتعلق بالقضية نفسها، فيجوز لها أن تأمر بضم الإجراءات.⁵

ثانياً: موضوع الإبادة الجماعية:

يشير سجل محكمة العدل الدولية إلى أنها نظرت في 172 قضية، وأصدرت فيها 26 رأياً استشارياً، والملاحظ أن المدة الزمنية لإصدار الرأي الاستشاري تراوحت في القضايا التي صدر فيها رأياً استشارياً بين 1-3 أعوام، لكن أغلب القضايا استغرقت عاماً (مثل موضوع الجدار الذي بنته "إسرائيل" في الأراضي المحتلة،

إذ تمّ تقديم الشكوى سنة 2003، وأصدرت المحكمة رأيها الاستشاري سنة 2004)، بينما الموضوعات ذات الطابع القانوني خصوصاً تلك التي تمس هيئات الأمم المتحدة تستغرق ثلاثة أعوام.⁶ وهناك حالياً 20 قضية معلقة إلى جانب قضيتان يتم النظر فيهما حالياً، وكلاهما له علاقة بالنزاع بين أوكرانيا وروسيا.⁷

والملاحظ أن القضايا المعلقة تضم ثلاث قضايا لها علاقة بفلسطين، هما دعوى بخصوص آثار السياسات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة والقدس (2023)، ومن المفروض أن يتم الاستماع للقضية في شباط/فبراير 2024،⁸ وموضوع نقل السفارة الأمريكية للقدس (2018)،⁹ وموضوعات حقوق الإنسان الفلسطيني. والملاحظ أن سجلات الجمعية العامة للأمم المتحدة تنطوي على 299 إشارة لآراء استشارية من محكمة العدل الدولية تتعلق كلها بانتهاكات "إسرائيل" لقواعد القانون الدولي.¹⁰

ثالثاً: دعوى جنوب إفريقيا ضد "إسرائيل" في محكمة العدل الدولية:

تقدمت دولة جنوب إفريقيا بدعوى قضائية ضدّ "إسرائيل" في 2023/12/29، وتشير جنوب إفريقيا في دعواها بأن "إسرائيل" تقوم بإبادة جماعية للفلسطينيين، مستندة على الوقائع الموثقة التالية:

1. عمليات القتل والتشويه التي تمارسها "إسرائيل" على نطاق واسع ضدّ المدنيين الفلسطينيين.
2. استخدام القنابل "الغبية" ضدّ المدنيين.
3. الإجبار للمدنيين على النزوح الجماعي وتدمير الأحياء التي يعيشون فيها.
4. حرمان المدنيين من الحصول على الغذاء والماء والرعاية الطبية والمأوى والملابس والنظافة والصرف الصحي.
5. التحريض على القتل والتدمير استناداً لسلسلة من تصريحات المسؤولين الإسرائيليين، بما فيها الدعوة لاستخدام القنابل الذرية.



رابعاً: سيناريوهات مجريات القضية في المحكمة:

يمكن القول بأن قرار المحكمة الذي صدر في 2024/1/26 هو محصلة تنازع بين اعتبارين، هما: الاعتبار السياسي من ناحية، واعتبار النزاهة القضائية من ناحية ثانية. وسنحاول تحديد هذين البُعدين:

1. **الاعتبارات السياسية في أحكام القضاء الدولي:**¹¹ ينتمي قضاة المحكمة التي أصدرت القرار إلى 15 دولة، وتتألف المحكمة بهيئتها الحالية من: رئيس أمريكي ونائب الرئيس من روسيا، ومن 13 قاضياً ينتمون للجنسيات التالية: مغربي ولبناني وصومالي وأوغندي وبرازيلي وألماني وفرنسي وأسترالي وياباني وسلوفاكي وهندي وجامايكي وصيني، ويغلب على هؤلاء القضاة أنهم إما كانوا موظفين في وزارة الخارجية أو وزارة العدل في بلادهم (7 منهم)، أو ممثلين لبلادهم في الأمم المتحدة (3 منهم)، أو أكاديميين وعملوا في هيئات قضائية (5 منهم).¹²

وتتمثل الاعتبارات السياسية في:¹³

أ. على الرغم من أن الترشح لعضوية هيئة المحكمة غير مقتصر على الدول، إلا أن أغلب الترشيحات تأتي من الدول، وهو ما ينطوي على احتمال التواطؤ بين الدولة ومرشحها.

ب. أن الجهتان اللتان توافقان على انضمام القاضي إلى هيئة المحكمة هما مجلس الأمن والجمعية العامة في اجتماع متزامن، ولكن كل منها على حدة، ولعل هذا الأمر يعطي الدولة مجالاً لممارسة علاقاتها مع الدول الأخرى للتصويت لصالح مرشحها، وهو ما يعني استمرار حاجة القاضي المترشح لمساندة دولته له.

ج. لما كان قانون المحكمة يتيح للمرشح الفائز أن يترشح مرة أخرى بعد سنوات العضوية التسع، فإن ذلك يجعله أقرب لعدم تجاهل سياسات حكومة بلاده نظراً لحاجته لمساندتها في الجمعية العامة ومجلس الأمن مرة أخرى.

د. مدى تأثير التوجهات السياسية للدولة على توجهات القاضي التابع لها، ويكفي أن نعطي مثلاً على ذلك في موضوع الجدار الذي بنته "إسرائيل" في الأراضي المحتلة للفصل بين المواطنين الفلسطينيين والإسرائيليين، فقد وافقت المحكمة

بأغلبية 14 ضد واحد هو القاضي الأمريكي، وهو ما يشي بأن موقف بلاده كان له الاعتبار الأهم في تصويته،¹⁴ لا سيما أن هذا القاضي الأمريكي كان موظفاً في وزارة الخارجية الأمريكية.

هـ. تبين من دراسة أكاديمية بالقياس الكمي حول مدى التحيز في تصويت القضاة على القضايا المطروحة أمام المحكمة ما يلي:¹⁵

- أن القضاة يراعون عند التصويت مواقف الدول التي تعينهم أو ينتمون لها بنسبة تقارب 90%، بينما صوّت القضاة بنسبة 10% ضدّ توجهات دولهم.
 - إذا كانت دولة القاضي غير منخرطة في النزاع، فإن القضاة يميلون غالباً إلى الدول التي تتماثل مع دولهم الأصلية في مجال النظام السياسي أو مستوى الدخل أو التشابه الثقافي في اللغة والدين خصوصاً.
 - أن القضاة يتأثرون بشكل عام في تصويتهم بالتحالفات الإقليمية والعسكرية مع دولتهم، لكن هذا التحيز أضعف من التحيز في المؤشرات الأخرى.
- بناء على ما سبق، يمكن اعتبار التصويت في الجمعية العامة على قرار وقف إطلاق النار في غزة مؤشراً على موقف القضاة من موضوع إدانة "إسرائيل" في الدعوى التي رفعتها ضدها جنوب إفريقيا، وهو ما يتضح في الجدول التالي:



موقف الدول التي ينتمي لها القضاة في محكمة العدل الدولية من قرار الجمعية العامة
في كانون الأول/ ديسمبر 2023

الدولة التي ينتمي لها قضاة محكمة العدل الدولية 2024 ¹⁶	التصويت في الجمعية العامة على قرار وقف إطلاق النار في 2023/12/12 ¹⁷	
الولايات المتحدة	لا	1
روسيا	نعم	2
سلوفاكيا	امتناع	3
فرنسا	نعم	4
المغرب	نعم	5
الصومال	نعم	6
الصين	نعم	7
أوغندا	نعم	8
جامايكا	نعم	9
لبنان	نعم	10
اليابان	نعم	11
ألمانيا	امتناع	12
أستراليا	نعم	13
البرازيل	نعم	14
الهند	نعم	15
نتيجة التصويت		12 نعم/ 2 امتناع / 1 رفض

2. الاعتبار القانوني: تُعدُّ النزاهة القضائية واحتكام القاضي لضميره شرطاً ضرورياً لتحقيق العدالة في كل مستويات القضاء المحلي أو الدولي، لكن النتائج التي أشرنا لها عن معامل الارتباط الإحصائي الكبير بين مواقف الدول ومواقف القضاة يشير إلى أن المعيار السياسي يعلو على النزاهة القضائية لكنه لا يلغيه، وهو ما يجعل القرارات شكلاً من أشكال التكيف القانوني مع الاعتبارات السياسية.

خامساً: تحليل قرار المحكمة في موضوع الإبادة الجماعية في قطاع غزة:

من الضرورة الإشارة إلى أن الدعوى التي رفعتها جنوب إفريقيا ضدّ "إسرائيل" وتتهمها بارتكاب أعمال غير إنسانية تقع في خانة "الإبادة الجماعية" لها أهمية خاصة من حيث رمزية جنوب إفريقيا في الذهن العالمي، فهي دولة حَبِرت الاستعمار الاستيطاني وأقصى أشكال العنصرية، كما أسهم المجتمع الدولي في مساندتها للتخلص من ذلك الاستعمار، ناهيك عن أنها تمثل إحدى القوى الإفريقية المهمة (نحو 60 مليون نسمة)، وتحتزن النخبة الحاكمة الحالية في جنوب إفريقيا في ذاكرتها السياسية أشكال الدعم الإسرائيلي المختلفة لحكومة الاستعمار الاستيطاني لها.¹⁸

ويقتضي تحليل قرار المحكمة الموازنة بين الاعتبارات السياسية والقانونية في صياغة القرار، وهو ما يتبين لنا في الجوانب التالية:¹⁹

1. قبول الدعوى ورد الطعن الإسرائيلي:

شكّل قبول المحكمة للدعوى إقراراً بعدم الأخذ بالطلب الإسرائيلي برد الدعوى، وهو ما يعني إقراراً ضمنياً بأن "إسرائيل" قامت بأعمال تعطي المحكمة الحق في الاستجابة للنظر في الدعوى الجنوب إفريقية، وهو ما يمكن الاستدلال عليه عند تفحص النص التالي من ديباجة القرارات، حيث ورد النص التالي:

فيما يتعلق بما إذا كانت الأفعال وجوانب القصور التي اشتكى منها المدعي تبدو وكأنها يمكن أن تندرج ضمن أحكام اتفاقية الإبادة الجماعية، تشير المحكمة إلى أن جنوب إفريقيا تعتبر إسرائيل مسؤولة عن ارتكاب الإبادة الجماعية في غزة وعن الفشل في منع والمعاقبة على أفعال الإبادة الجماعية، وتزعم جنوب إفريقيا أن إسرائيل انتهكت أيضاً التزامات أخرى بموجب اتفاقية الإبادة الجماعية، بما في ذلك تلك المتعلقة بـ"التأمر لارتكاب الإبادة الجماعية، والتحرّيز المباشر والعنفي على الإبادة الجماعية، ومحاولة الإبادة الجماعية، والتواطؤ في الإبادة الجماعية".

ومن وجهة نظر المحكمة، يبدو أن بعض الأفعال وحالات التقصير التي زعمت جنوب إفريقيا أن "إسرائيل" ارتكبتها في غزة يمكن أن تندرج ضمن أحكام الاتفاقية.



من الواضح أن مضمون النص السابق الذي اعتمدته المحكمة في عرض حيثيات القبول بالدعوى يشير إلى أن واقعة ارتكاب أفعال الإبادة لها أسس كافية أخذت بها المحكمة، وهو أمر سيبقى من وجهة نظر المحكمة مرافقاً لـ “إسرائيل”، لأن المحكمة تخلص طبقاً لمنطوق ديباجة قرارها إلى أن جنوب إفريقيا لديها الحق في أن تعرض عليها النزاع مع “إسرائيل” بشأن الانتهاكات المزعومة للالتزامات بموجب اتفاقية الإبادة الجماعية:

من وجهة نظر المحكمة، فإن الحقائق والظروف المذكورة أعلاه كافية لاستنتاج أن بعض الحقوق التي تطالب بها جنوب إفريقيا على الأقل والتي تسعى إلى حمايتها هي حقوق معقولة، لأن هذا هو الحال فيما يتعلق بحق الفلسطينيين في غزة في الحماية من أعمال الإبادة الجماعية والأفعال المحظورة ذات الصلة المحددة في المادة الثالثة، وحق جنوب إفريقيا في السعي إلى امتثال إسرائيل للالتزام بنصوص الاتفاقية.

2. طلبات المحكمة من “إسرائيل”:

طلبت المحكمة من “إسرائيل” بالالتزام بما يلي:

أ. أن تضمن “وبشكل فوري”، وفقاً لالتزاماتها بموجب الاتفاقية، بشأن منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها، فيما يتعلق بالفلسطينيين في غزة:

باتخاذ جميع التدابير التي في وسعها لمنع ارتكاب جميع الأعمال المتضمنة في نطاق المادة الثانية من هذه الاتفاقية، وعلى وجه الخصوص:

أ. القتل لأفراد المجتمع.

ب. التسبب في وقوع أضرار خطيرة جسدياً أو عقلياً.

ج. فرض ظروف معيشية متعمدة على السكان في غزة من أجل تنفيذ أعمال التدمير المادي كلياً أو جزئياً.

د. فرض تدابير تهدف إلى منع الولادات .

إن النص السابق في القرار يستدعي التنبه إلى أنه في مضمونه يُضيق وبشكل كبير حركة القوات العسكرية الإسرائيلية، فكيف ستمارس “إسرائيل” عملياتها العسكرية في ظل القيود المنصوص عليها، وصحيح أن القرار تجنب النص الواضح على “وقف إطلاق النار” الذي طالبت به جنوب إفريقيا وساندتها أطراف أخرى، كما جرى في

تصويت الجمعية العامة على طلب وقف إطلاق النار 2023/12/12.²⁰ ومن الواضح أن تنفيذ البنود التي نصت عليها المحكمة سيجعل العمليات العسكرية الإسرائيلية أكثر تعقيداً بالرغم من أنه لم ينص على وقفها، وقد يقول البعض إن "إسرائيل" لا تولي اهتماماً لذلك، وهنا نسأل: هل كانت ستلتزم لو نص القرار على وقف إطلاق النار؟ نحن نرى أن النص هو أقرب لضبط العمليات العسكرية، فإذا التزمت بها "إسرائيل" (وهو أمر موضع شك كبير) فإن ذلك سيضعف آلية الضغط على المجتمع الغزي وبالتالي يُخفّف بعض العبء عن المقاومة، وإذا لم تلتزم "إسرائيل" فإن موقفها القانوني سيصبح أكثر تعقيداً أمام المجتمع الدولي.

ب. تدعو المحكمة في قراراتها إلى أن "تلتزم إسرائيل باتخاذ جميع التدابير التي في وسعها لمنع ومعاقبة التحريض المباشر والعنفي على ارتكاب الإبادة الجماعية فيما يتعلق بأعضاء المجموعة الفلسطينية في قطاع غزة". ولعل تصريحات بعض الوزراء الإسرائيليين في اللحظات الأولى لإعلان قرارات المحكمة تندرج تحت هذا البند، فقد اتهم عدد من الوزراء بمن فيهم بنيامين نتنياهو Benjamin Netanyahu المحكمة بالتحيز وبمعادة السامية،²¹ وهو ما يشكل بداية الانتهاك للقرارات.

ج. تطالب المحكمة "إسرائيل" بضرورة اتخاذ "إجراءات فورية وفعالة لتمكين توفير الخدمات الأساسية والمساعدات الإنسانية اللازمة بشكل عاجل لمعالجة الظروف المعيشية غير المواتية التي يواجهها الفلسطينيون في قطاع غزة". ونرى أن هذا النص ملزم لـ "إسرائيل"، ولكنه يفتح الباب أمام مصر—إذا أرادت—أن تفتح معبر رفح على مصراعيه استناداً إلى أن ذلك تطبيق لقرارات المحكمة الدولية سواء وافقت "إسرائيل" أم لم توافق، فقرار المحكمة يمثل سنداً قانونياً لمصر.

د. تدعو المحكمة "إسرائيل" إلى اتخاذ "إجراءات فعالة لمنع تدمير وضمان الحفاظ على الأدلة المتعلقة بالادعاءات المتعلقة بالأفعال التي تدخل في نطاقها المادة الثانية والمادة الثالثة من اتفاقية منع الجريمة والمعاقبة عليها"، أي أن على "إسرائيل" أن لا تقوم بإخفاء ما قامت به من أعمال تقع ضمن جريمة الإبادة الجماعية للتملص من عواقب ذلك، وهو ما يعني ضمناً إقرار من المحكمة بأن ثمة شواهد مادية على فعل الإبادة، وعليه فالمحكمة تريد الحفاظ على هذه الشواهد.



هـ. طالبت المحكمة من "إسرائيل" تقديم تقرير إلى المحكمة بشأن جميع التدابير المتخذة على أن يتضمن دلائل على أن "إسرائيل" نفذت التزاماتها بهذا الخصوص، وحددت المحكمة مدة تنفيذ ذلك خلال شهر واحد من تاريخ إصدار المحكمة قرارها (أي يوم 26 من شهر شباط/فبراير القادم). وهو ما يعني أن استمرار القتال بالكيفية التي مارسها "إسرائيل" في الشهور السابقة سيضيف بنوداً جديدة من المخالفات إلى قائمة الاتهامات لها، مما سيجعل موقفها القانوني أكثر تعقيداً.

و. أبدت المحكمة "قلقاً بالغاً إزاء مصير الرهائن الذين تمّ اختطافهم خلال الهجوم على إسرائيل في 7 أكتوبر 2023، واحتجزتهم منذ ذلك الحين منظمة حماس وغيرها من الجماعات المسلحة"، ودعت المحكمة إلى إطلاق سراحهم فوراً ودون قيد أو شرط. ومن الواضح أن هذا الطلب يمثل "مكسباً إسرائيلياً"، وقد تتكى عليه "إسرائيل" للتذرع بأن عدم الاستجابة له من قبل المقاومة يبرر له اتخاذ إجراءات يتم تفسيرها بأنها "لتنفيذ قرار المحكمة" في هذا الخصوص.

سادساً: التقييم للقرار:

إذا استثنينا القرار الخاص بالإفراج عن المحتجزين الإسرائيليين لدى المقاومة (فوراً ودون شروط)، فإن القرار وإن لم يتضمن شروطاً واضحة بخصوص وقف إطلاق النار إلا أن قبول الدعوى والإجراءات التي طلبها القرار من "إسرائيل" وخصوصاً تقديم تقرير عن مدى الالتزام الإسرائيلي بمطالب المحكمة خلال شهر يمثل جانباً مهماً من قرارات المحكمة.

وقد تكون الاتصالات الأخيرة الأمريكية مع جنوب إفريقيا قبل صدور القرار جزءاً من "الاعتبارات السياسية" في صياغة القرارات. وهناك العديد من الدراسات المتخصصة التي تناولت سابقاً التأثير الأمريكي على المحكمة.²² كما أن مناقشات الغرف المغلقة ربما كان لها دورها في ذلك إلى الحد الذي جعل بعض فقهاء القانون الدولي يرون صعوبة التغاضي عن الاعتبارات السياسية في قرارات المحكمة.²³ وعليه فإن التقرير الذي يجب على "إسرائيل" أن تقدمه خلال شهر قد يدفع حكومة نتنياهو إلى خطوتين (إذا قامت بتقديم التقرير المطلوب من المحكمة):

1. محاولة الظهور بمظهر أقل خشونة في عملياتها العسكرية بهدف غواية المحكمة نحو عدم اتخاذ قرارات تتضمن مخالقات جديدة لـ "إسرائيل"، لا سيّما وأن الانتقادات لـ "إسرائيل" في هذا الجانب وردت من بعض حلفائها ومن منظمات دولية ذات علاقة بموضوع القضية المطروحة على المحكمة، وهو ما ورد في مبررات قبول المحكمة للدعوى.

2. ستعمل "إسرائيل" على استغلال قرار المحكمة بالإفراج عن المحتجزين، وهو ما يستوجب على المقاومة وجنوب إفريقيا (ومن انضم إليهما) إثارة موضوع الأسرى الذين اعتقلتهم "إسرائيل" في غزة خلال الحرب على أقل تقدير (ناهيك عن من كان معتقلاً قبل الحرب)، ويمكن للمقاومة أن تتذرع بأن المحتجزين موزعون في مناطق عديدة ومتباعدة، وهناك مخاطر من نقلهم بسبب تواجد القوات الإسرائيلية في ميدان العمليات، وهو ما يستوجب مغادرة القوات الإسرائيلية مسرح العمليات لتتمكن المقاومة من التواصل مع خلاياها المشرفة على رعاية هؤلاء المحتجزين.



الهوامش

¹ انظر: وليد عبد الحي، قرار محكمة العدل الدولية بين الحياد القانوني والضغط السياسي في معركة طوفان الأقصى، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2024/2/1.

² تشمل آليات التسوية أنماطاً متعددة مثل: التفاوض والتحقيق والوساطة والتوفيق والتحكيم والتسوية القضائية واللجوء إلى الوكالات أو الترتيبات الإقليمية واللجوء إلى الأمم المتحدة أو غيرها. انظر:

Pacific Settlement of Disputes (Chapter VI of UN Charter), site of United Nations Security Council, <https://www.un.org/securitycouncil/content/pacific-settlement-disputes-chapter-vi-un-charter>

تشتمل أيضاً أدوار الطرف الثالث على هذه الآليات، انظر التفاصيل في:

Richard B. Bilder, "International Third Party Dispute Settlement," *Denver Journal of International Law & Policy*, University of Denver, vol. 17, No. 3, January 1989, p. 480.

History, site of International Court of Justice (ICJ), <https://www.icj-cij.org/index.php/history> ³

How the Court Works, ICJ, <https://www.icj-cij.org/index.php/how-the-court-works> ⁴

Ibid. ⁵

List of All Cases, ICJ, <https://www.icj-cij.org/list-of-all-cases> ⁶

Pending cases, ICJ, <https://www.icj-cij.org/index.php/pending-cases> ⁷

Legal Consequences arising from the Policies and Practices of Israel in the Occupied Palestinian Territory, including East Jerusalem, ICJ, <https://www.icj-cij.org/case/186> ⁸

Relocation of the United States Embassy to Jerusalem (Palestine v. United States of America), ⁹ ICJ, <https://www.icj-cij.org/case/176>

ICJ, <https://www.icj-cij.org/sites/default/files/case-related/186/186-20230531-req-01-03-en.pdf>; ¹⁰ and Legal Consequences arising from the Policies and Practices of Israel in the Occupied Palestinian Territory, including East Jerusalem, ICJ, <https://www.icj-cij.org/case/186>

Grant R Niemann, Should political influence in the decision-making processes of international courts and tribunals be anticipated?," *Arts and Humanities Open Access Journal*, vol. 2, Issue 4, 2018, p. 212. ¹¹

Current Members, ICJ, <https://www.icj-cij.org/index.php/current-members> ¹²

Members of the Court, ICJ, <https://www.icj-cij.org/members> ¹³

Legal Consequences of the Construction of a Wall in the Occupied Palestinian Territory, ¹⁴ International Court Of Justice, General List, No. 131, 9/7/2004, site of UNISPAL, <https://www.un.org/unispal/document/auto-insert-204033>

Eric A. Posner and Miguel F. P. de Figueiredo, "Is the International Court of Justice Biased?," ¹⁵ *The Journal of Legal Studies*, vol. 34, no. 2, June 2005, pp. 14–24.

Current Members, ICJ, <https://www.icj-cij.org/index.php/current-members> ¹⁶

UN General Assembly votes overwhelmingly in favour of Gaza ceasefire, site of AlJazeera, ¹⁷ 12/12/2023, <https://www.aljazeera.com/news/2023/12/12/un-general-assembly-votes-overwhelmingly-in-favour-of-gaza-ceasefire>

Sasha Polakow-Suransky, *The Unspoken Alliance: Israel's Secret Relationship with Apartheid South Africa* (Jacana Media, 2010), pp. 39–52. ¹⁸

¹⁹ انظر بشكل خاص الصفحات 84-75 في نص قرارات المحكمة، في:

Application of the Convention on the Prevention and Punishment of the Crime of Genocide in the Gaza Strip (South Africa v. Israel), 26 January 2024, Order, ICJ, <https://www.icj-cij.org/sites/default/files/case-related/192/192-20240126-ord-01-00-en.pdf>

²⁰ الجمعية العامة تعتمد قراراً بشأن التصعيد في غزة وإسرائيل، يطالب بوقف إنساني لإطلاق النار، موقع

أخبار الأمم المتحدة، 2023/12/12، في: <https://news.un.org/ar/story/201126/12/23927>

²¹ Israeli officials accuse international court of justice of antisemitic bias, site of *The Guardian* newspaper, 26/1/2024, <https://www.theguardian.com/world/2024/jan/26/israeli-officials-accuse-international-court-of-justice-of-antisemitic-bias>

²² انظر على سبيل المثال:

Sean D. Murphy, "The United States and the International Court of Justice: Coping with Antinomies," in Cesare Romano (ed.), *The United States And International Courts And Tribunals* (2008), https://scholarship.law.gwu.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=1902&context=faculty_publications

²³ Top Experts' Views of Int'l Court of Justice Ruling on Israel Gaza Operations (South Africa v Israel, Genocide Convention Case), site of Just Security, 26/1/2024, <https://www.justsecurity.org/91457/top-experts-views-of-intl-court-of-justice-ruling-on-israel-gaza-operations-south-africa-v-israel-genocide-convention-case>

رؤية مراكز الدراسات الإسرائيلية لمرحلة ما بعد طوفان الأقصى¹

أ. د. وليد عبد الحي

مقدمة:

تُميِّز أبحاث مراكز الدراسات الإسرائيلية في السياسة العربية تجاه “إسرائيل” بين بُعدين هما: توجهات الأنظمة السياسية العربية تجاه القضية الفلسطينية من ناحية، وتوجهات الرأي العام العربي تجاه الموضوع ذاته من ناحية مقابلة. ونظراً لطبيعة النظم السياسية العربية ذات المنحى الاستبدادي، فإن المنظور الإسرائيلي للمدى الزمني المباشر أو القصير، يتركز على استثمار توجهات الأنظمة، على أمل التغيير التدريجي والمنهج في توجهات الرأي العام؛ من خلال وسائل الإعلام ومناهج التعليم من ناحية، والتحويل التدريجي للصراع العربي الصهيوني من منظوره الصفري باتجاه اعتباره صراعاً غير صفري من ناحية ثانية، من خلال التغلغل في البنية العربية عبر مشاريع مشتركة في ميادين مختلفة، أي توظيف السياسات الرسمية العربية لتحويل الاتجاهات الشعبية نحو الاتساق مع السياسات الرسمية المتناغمة مع السياسات الإسرائيلية.

أولاً: تداعيات طوفان الأقصى على الدبلوماسية الإسرائيلية:

أدركت مراكز الدراسات الإسرائيلية الأثر العميق الذي تركته معركة طوفان الأقصى محلياً وإقليمياً ودولياً، وخصوصاً من زاوية درجة العنف ومعدل الضحايا المدنيين بشكل عام، وهو أحد المعايير التي اعتمدتها الأمم المتحدة سنة 2015 في نموذجها للتنمية المستدامة سنة 2015،² إلى جانب النماذج الأكاديمية لقياس مؤشر الصراعات الدولية، مثل مؤشر الصراعات “مشروع بيانات مواقع وأحداث النزاع المسلح (Armed Conflict Location & Event Data Project (ACLED)، الذي

يقوم بتقييم مستويات الصراعات في كل دولة وإقليم جيو-سياسي في العالم وفقاً لأربعة مؤشرات؛ وهي: مستوى التدمير، ومستوى الخطر على المدنيين، ومدى الانتشار الجغرافي لميدان الصراع، وأخيراً، تعدد الجماعات المسلحة في الصراع الواحد.³ وقد توصل هذا النموذج إلى أن قطاع غزة والضفة الغربية هما ضمن أعلى أربع مناطق صراعات في العالم في مجموع مؤشرات القياس المعتمدة، مع تميّز هذا الصراع عن الصراعات الدولية الأخرى بمؤشر الانتشار الجغرافي للصراع، وهو ما يترتب عليه تزايد المؤشر الآخر وهو درجة تعرض المدنيين لخطر أعلى، الأمر الذي جعل معدل الضحايا في الهجوم الإسرائيلي على غزة هو الأعلى عالمياً خلال القرن الحالي، طبقاً لإحصاءات منظمة أوكسفام Oxfam، إذ بلغ المعدل اليومي نحو 250 قتيلًا، وهو ما يعادل نحو 5.7 أضعاف المعدل في الحرب الأوكرانية الروسية المعاصرة.⁴

وقد أدركت مراكز الدراسات الإسرائيلية تأثيرات هذه الصورة على الرأي العام الدولي، فبدأت في تركيز دراساتها على موضوعات يتمّ من خلالها تغييب مستوى العنف الذي تمارسه "إسرائيل" في الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1967، وخصوصاً في قطاع غزة بعد 2023/10/7، إلى جانب التغاضي الكبير عن تناول قرارات محكمة العدل الدولية International Court of Justice بالبحث؛ نظراً لتأثير ذلك على صورة "إسرائيل" كدولة تمارس الإبادة الإنسانية، بشهادة أعلى هيئة قضائية دولية.⁵

من جانب آخر، سجّلت الدراسات الإسرائيلية بعض الملامح التي نتجت عن معركة طوفان الأقصى على صعيد الاستراتيجية العامة لـ "إسرائيل" في علاقاتها الدولية، وتأثير ذلك على العلاقة مع الدول العربية، ويمكن تلخيص هذه الملامح في الآتي:⁶

1. تؤكد الدراسات الإسرائيلية أن الدعم الأمريكي والأوروبي لـ "إسرائيل" في معركة طوفان الأقصى دعم "غير مسبوق"، ولكن ذلك لا ينفي بعض الخلافات مع "إسرائيل"؛ لا سيّما في رفض "إسرائيل" تحديد استراتيجيتها لليوم التالي للحرب، مع ملاحظة أن الدول العربية لا تحاول استثمار هذا الخلاف النسبي بين "إسرائيل" وبعض القوى الغربية من خلال إجراءات فعلية.

2. استمرار تشبّث الحكومات العربية بالتطبيع مع "إسرائيل"، خصوصاً في الموضوعات الاستراتيجية؛ الالتزام بالمعاهدات، واستمرار العلاقات التجارية، والحوار الدبلوماسي، وعدم تقديم أيّ مساندة استراتيجية للمقاومة.



3. ارتباك نسبي "محدود للغاية" في السياسات الإعلامية المعبرة عن العلاقات الإسرائيلية مع كل من تركيا والأردن ومصر.

4. تحسّن نسبي لصورة محور المقاومة في توجهات الرأي العام العربي، وعجز "إسرائيل" عن بلورة السياسة الإقليمية بشكل واضح ضدّ ما يعدّونه "المحور الإيراني الروسي"، وما يعزز ذلك هو ما يتضح من توجهات الرأي العام العربي تجاه مواقف القوى الإقليمية والدولية من الحرب في غزة، كما يتضح من الجدول التالي:

جدول رقم 1: توجهات الرأي العام العربي من مواقف القوى الإقليمية والدولية⁷

الدولة	معدل رضا المجتمع العربي عن موقفها من الحرب في غزة (جيد + جيد جداً) %
إيران	48
تركيا	47
روسيا	41
الصين	40
فرنسا	10
ألمانيا	9
بريطانيا	8
الولايات المتحدة	3

ومن الواضح أن نتائج الاستطلاع الذي غطّى 16 دولة عربية يشكّل تعزيزاً لصورة إيران في الذهن الشعبي العربي، وهو أمر لا تنظر إليه "إسرائيل" نظرة إيجابية، وخصوصاً أن الاستطلاع يُشير إلى أن اعتبار إيران خطراً على استقرار المنطقة تراجع لدى الرأي العام العربي خلال الفترة 2018-2024 من 13% إلى 7%، أي بما يساوي تراجعاً قيمته نحو 54%، الأمر الذي يشكل مؤشراً سلبياً في المنظور الإسرائيلي، ولكنه يؤكد ازدواجية الموقف العربي بين أنظمة وشعوب.⁸

5. عدم بلورة "إسرائيل" سياسة متسقة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وخصوصاً مع السلطة الفلسطينية، فهي تعتمد عليها في التنسيق الأمني ثم تتهمها بالضعف

والتقصير، ثم تسهل للسلطة الحصول على الأموال والأسلحة لأجهزتها الأمنية، ثم تستقطع بعضاً من مداخل السلطة، وخصوصاً المداخل الضريبية.

6. في إطار تقييم أداء وزارة الخارجية الإسرائيلية، خلال سنة 2023 بما فيها فترة ما بعد طوفان الأقصى، تجاه العلاقة مع الدول العربية والدولية، تبدو مساحة رضا خبراء السياسة الخارجية الإسرائيليين عن أداء وزارتهم متراجعا، كما يتضح من الجدول التالي:⁹

جدول رقم 2: تقييم السياسة الخارجية الإسرائيلية قبل طوفان الأقصى وبعده

المؤشر	معدل الرضا سنة 2023 بما فيها مرحلة ما بعد الطوفان (العلامة من 10)	معدل الرضا سنة 2022 (العلامة من 10)
المكانة الإسرائيلية عالمياً	5.03	5.85
مستوى معالجة الحكومة للسياسة الخارجية	4.82	5.53
مكانة وزارة الخارجية الإسرائيلية	5	5.4

ذلك يعني أن الأداء الحكومي في إدارة السياسة الخارجية من جوانبها الثلاثة سجّل تراجعاً يصل إلى 0.55 من 10.

ثانياً: تقييم الأداء الحكومي الإسرائيلي في الميدانين السياسي والعسكري مع الدول العربية:

يتمّ تركيز الدراسات الإسرائيلية في هذا البُعد على الدول ذات العلاقات الرسمية مع "إسرائيل"، إلى جانب العلاقة ذاتها شبه الرسمية، على غرار السعودية وقطر، ويبدو أن الدور المصري والقطري هما الأكثر أهمية بين هذه المجموعة، وخصوصاً في مرحلة ما بعد طوفان الأقصى، وتلخّص الدراسات الإسرائيلية مثلاً الموقف المصري على النحو التالي:¹⁰

1. منع نشوب حرب إقليمية قد تؤثر تداعياتها على الأمن المصري، من منظور السلطة المصرية لا من منظور المجتمع المصري.



2. إعادة تنشيط العبور في قناة السويس، بسبب الاضطراب العميق في الملاحة البحر الأحمر؛ نتيجة العمليات اليمنية ضدّ الملاحة التجارية الإسرائيلية العابرة لهذا البحر.

3. إعادة تنشيط القطاع السياحي المصري الذي تأثر بالاضطراب في المنطقة، وخصوصاً أن قطاع السياحة وعائدات قناة السويس تمثلان أعمدة مركزية في إجمالي الناتج القومي المحلي المصري.

4. العمل على إعادة دور السلطة الفلسطينية في قطاع غزة، نظراً لتناغمها مع التوجهات الرسمية المصرية، وللحيلولة دون تعانق التوجهات المجتمعية المصرية مع توجهات المقاومة الفلسطينية المسلحة في قطاع غزة، التي تنظر لها السلطة المصرية الرسمية كامتداد مسلّح لحركة الإخوان المسلمين، وخصوصاً جناحها المصري.¹¹

وتحدّد دراسة إسرائيلية تصوّراً للعلاقة المصرية الإسرائيلية خلال معركة طوفان الأقصى وبعدها، على أساس العمل معاً لتحقيق ما يلي:¹²

1. وضع خطة مشتركة لخدمة المصالح السياسية والأمنية والاقتصادية لكل منهما.
2. التقريب بين الرؤى المختلفة لمستقبل غزة، ودمج الجهات الفاعلة الإقليمية والدولية في هذه الجهود، بهدف تحييد قدرات حركة حماس العسكرية والحاكمية.
3. تسهيل العودة التدريجية والمشروطة إلى قطاع غزة لـ "السلطة الفلسطينية المنشّطة" والملتزمة بـ "السلام".
4. تعزيز الرقابة المصرية على ممر فيلادلفيا والمعابر الحدودية بين مصر وسيناء.
5. صياغة حزمة من الحوافز الاقتصادية لتعزيز المشاركة المصرية في غزة، مثل إشراك الشركات المصرية في مشاريع الإعمار.

ثالثاً: مصر وقضية التهجير:

تداولت التقارير المختلفة وثيقتين تتعلقان بموضوع تهجير سكان غزة إلى خارجها، وخصوصاً إلى مصر، سواء في سيناء أم في المدن الجديدة في مصر، وكان أحد مراكز

الدراسات الإسرائيلية المقرب لل غاية من رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو Benjamin Netanyahu وهو "معهد مسجاف للأمن الوطني والاستراتيجية الصهيونية Misgav Institute for National Security and Zionist Strategy"، قد نشر في 2023/10/17، تقريراً حول ما أسماه "الفرصة الفريدة والنادرة" لتهجير سكان غزة، مع الإشارة إلى أن رئيس المعهد وهو مائير بن شاببات Meir Ben Shabbat كان مستشاراً لنتنياهو للأمن القومي، ويقوم المشروع، حرفياً، على ما يلي:¹³

1. هناك حاجة إلى خطة فورية وقابلة للتطبيق لإعادة التوطين وإعادة التأهيل الاقتصادي لجميع السكان العرب في قطاع غزة، والتي تتوافق بشكل جيد مع المصالح الجيو-سياسية لـ "إسرائيل" ومصر والولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية.

2. في سنة 2017، أفادت التقارير بتوفر 10 ملايين وحدة سكنية متاحة في مصر، نصفها مبني والنصف الآخر قيد الإنشاء، يوجد بعضها مثلاً في اثنتين من أكبر المدن التابعة للقاهرة، وهي مدينة "6 أكتوبر" ومدينة "10 رمضان"، وهما تضمّان عدداً هائلاً من الشقق المبنية والفارغة الخاضعة للملكية حكومية وخاصة، بالإضافة إلى قطع الأراضي الفارغة للبناء التي تكفي في المجمل لإسكان نحو 6 ملايين نسمة.

3. يتبيّن من هذه المشاريع أن تكلفة الشقة المكوّنة من ثلاث غرف بمساحة 95م² لأسرة متوسطة في غزة مكونة من 5.14 فرداً، في إحدى المدينتين المذكورتين، تصل إلى نحو 19 ألف دولار. وبحساب إجمالي عدد السكان الذين يقيمون في قطاع غزة، والذي يتراوح بين 1.4-2.2 مليون نسمة، يُمكن التقدير بأن المبلغ المطلوب تحويله إلى مصر من أجل التمويل سيتراوح بين 5 إلى 8 مليارات دولار.

4. إن ضخّ المبلغ المشار له في الاقتصاد المصري من شأنه أن يوفر ميزة هائلة وفورية للنظام السياسي المصري الحالي، وهذه المبالغ المالية تُعدّ مبالغ ضئيلة مقارنة بحجم الاقتصاد الإسرائيلي، حتى لو كانت 20 أو 30 مليار دولار، وهذا المشروع يمثل حلاً مبتكراً ورخيصاً وقابلاً للتطبيق.

5. إن تفعيل هذه الخطة يستوجب توافر شروط كثيرة، ولكن هذه الشروط متوفرة في الوقت الحالي، ومن غير الواضح متى ستنشأ فرصة ثمينة كهذه مرة أخرى، هذا إن ظهرت على الإطلاق.



أما الوثيقة الثانية حول موضوع التهجير إلى سيناء، فقد ظهرت في موقع صحيفة كالكاليسست Calcalist الإسرائيلية؛ عن خطة منفصلة للتطهير العرقي في غزة، والتي تمّ تعميمها من قبل وزارة الاستخبارات الإسرائيلية برئاسة جيل غملائي Gila Gamliel، لصالح منظمة تسمى "وحدة الاستيطان - قطاع غزة The Unit for Settlement - Gaza Strip"، ولم تكن مخصصة للجمهور.¹⁴

وفي الخطة التي تقترحها وزارة المخابرات، سيتمّ تهجير الفلسطينيين في غزة إلى شمال شبه جزيرة سيناء المصرية، ووصفت الوزارة خيارات مختلفة لما سيأتي بعد غزو غزة، والخيار الذي ترى الوزارة أن "من شأنه أن يوفر نتائج استراتيجية إيجابية وطويلة الأمد"، هو نقل سكان غزة إلى سيناء عبر ثلاث خطوات هي:

1. إنشاء مدن من الخيام جنوب غرب قطاع غزة.

2. إنشاء ممر إنساني لـ "مساعدة السكان".

3. بناء المدن في شمال سيناء.

وتقترح الخطة بالتوازي مع ما سبق من خطوات، إنشاء "منطقة مغلقة"، بعرض عدة كيلومترات داخل مصر، جنوب الحدود الإسرائيلية، "حتى لا يتمكن السكان الذين تم إجلاؤهم من العودة". كما تدعو الوثيقة إلى التعاون مع "أكبر عدد ممكن" من الدول الأخرى مثل كندا، والدول الأوروبية وتحديداً اليونان وإسبانيا، ومع دول شمال إفريقيا، لاستيعاب سكان غزة.¹⁵

نقلت بعض التقارير الإسرائيلية عن ذا وول ستريت جورنال The Wall Street Journal، أن مصر تعارض بشكل واضح عودة السيطرة الإسرائيلية على ممر فيلادلفيا عبر السماح بمراقبته؛ من خلال الطائرات المسيّرة، أو وضع مجسات لمراقبة الحركة على الممر وإرسال إشارات تحذيرية لأيّ نشاطات لحفر الأنفاق عبره، لأن في ذلك، من منظور مصري، انتهاكاً واضحاً للسيادة المصرية.¹⁶

وادّعت بعض المصادر الإسرائيلية، أن هناك "12 نفقاً" بين غزة وصحراء سيناء ما تزال عاملة.¹⁷ ولتعزيز هذه المخاوف لدى السلطة المصرية، فإن مراكز الدراسات الإسرائيلية تحاول الترويج لفكرة مؤداها أن حركة المقاومة الإسلامية الفلسطينية في قطاع غزة والضفة الغربية، ليست إلا امتداداً لـ "الأجنحة العسكرية" التي انبثقت عن

حركة الإخوان المسلمين، وخصوصاً في مصر في فترة ما بعد اضطرابات العشرية خلال الفترة 2010-2020، والتي تجسدت تنظيمياً في مؤتمر في إسطنبول سنة 2022 تحت اسم تيار التغيير، كما تروج هذه المراكز البحثية لفكرة أن طوفان الأقصى حفز أجنحة الإخوان المسلمين في المنطقة، وخصوصاً مصر على الاقتداء بها لتحرير معتقلي الإخوان المسلمين في سجون الأنظمة العربية.¹⁸

رابعاً: الرؤية الإسرائيلية للدور القطري:

تتبدى خصوصية الدور القطري من منظور مراكز الدراسات الإسرائيلية،¹⁹ في أن قطر أكثر حرصاً من غيرها من الدول العربية للحفاظ على حركة حماس من ناحية، كما أنها أقل حماساً لدور أوسع للسلطة الفلسطينية من ناحية ثانية، وهما نقطتا تباين بين مصر وقطر، وتدعو الدراسات الإسرائيلية لتشجيع استثمار هذا التباين الآن ومستقبلاً.

ومن زاوية أخرى، فإن قطر، حسب الدراسات الإسرائيلية، لا تربط ممارسة دورها بشروط سياسية على "إسرائيل" أن تنفذها لتعميق العلاقة بين الطرفين، كما هو حال الموقف السعودي الذي يتطور تدريجياً باتجاه التطبيع مع ربط ذلك ببعض الاشتراطات في القضية الفلسطينية، كما أن الطرف الإسرائيلي لا يحدّد دوراً قيادياً لقطر في أيّ ترتيبات لقوات أمنية عربية في غزة بعد وقف القتال.

خامساً: مستقبل البنية السياسية الفلسطينية من وجهة نظر مراكز الدراسات الإسرائيلية:

تحدّد الدراسات الإسرائيلية، في معظمها، تصوّر لها مرحلة ما بعد الحرب في استراتيجية تقوم على الركائز التالية:²⁰

1. قيادة بديلة في قطاع غزة، مع تباين بين الدراسات الإسرائيلية في حجم دور حماس وحدود دور السلطة الفلسطينية، وتحدد هذه الدراسات المكاسب الإسرائيلية من إعادة تنشيط السلطة الفلسطينية من خلال التصور التالي:



أ. من شأن القدرات الرقابية الفعالة للسلطة الفلسطينية المعاد تشكيلها أن تمكّن "إسرائيل" من الانسحاب من قطاع غزة، وتخفيف الأعباء عنها، والظهور بمظهر المستجيب للإرادة الدولية.

ب. تتم إدارة الشؤون المدنية في غزة فقط من قبل السلطة الفلسطينية المعاد هيكلتها، دون أي تدخل إسرائيلي في حياة أو شؤون السكان الفلسطينيين.

ج. ستحتفظ "إسرائيل" بالإشراف الخارجي على قطاع غزة لفترة محددة، يتم الاتفاق عليها بشكل متبادل كجزء من ترتيب مؤقت، وإن نشر قوة متعددة الجنسيات يمكن أن يساعد في إعادة تأهيل قطاع غزة وتخفيف الاحتكاك مع السكان، ومع ذلك، ستحتفظ "إسرائيل" بسلطة ملاحقة "الإرهابيين" المشتبه بهم، كما هو منصوص عليه في اتفاقيات أوسلو Oslo Accord.

د. سيتم توحيد الضفة الغربية وقطاع غزة تحت حكومة واحدة، وسيحدد مستقبلهما بعد فترة إعادة التأهيل وتعزيز السلطة المتجددة، من خلال نزع سلاح المقاومة، طبقاً لما طالب به الرئيس الأمريكي جو بايدن Joe Biden.

هـ. يجب في المرحلة الأولى تجنب الفراغ الحكومي في قطاع غزة؛ لمنع القوات المعادية لـ "إسرائيل" من استعادة السيطرة عليه.

و. ستتجنب "إسرائيل" إرساء وقائع جديدة على الأرض خلال هذه الفترة الانتقالية.

ز. أن يلتزم الأفراد الذين يتم ترشحهم للمناصب العليا في السلطة الجديدة بما يلي:

• الاعتراف بحق "إسرائيل" في الوجود والأمن بما في ذلك التيارات ذات التوجه الإسلامي.

• احتكار امتلاك السلاح إلا من السلطة الرسمية، ومنع قيام مليشيات أو تنظيمات مسلحة غير مرخصة.

• الإعلان بشكل واضح عن الالتزام بعدم القيام بأي أعمال عنف ضد "إسرائيل".

• نزع السلاح من الكيان الجديد، إلا ما يتم الاتفاق عليه لأغراض حفظ الأمن العام وتطبيق القانون.

ح. فيما يتعلق بالبعد الأمني لا بدّ من إعادة تحديد مفهوم التنسيق الأمني بين السلطة و"إسرائيل"، إلى جانب مدّ عمل التنسيق إلى غزة، شريطة الاعتماد على أفراد من خارج الأجهزة الأمنية التي ظهرت منذ سنة 2007، وهي فترة حكم المقاومة للقطاع، مع ضرورة زيادة الإنفاق على هذه الأجهزة لرفع كفاءتها.

ط. إعادة النظر في المناهج التعليمية بما يلغي الموضوعات العدائية لـ"إسرائيل"، بالإضافة إلى تكريس استقلالية القضاء.

ي. أما في الإطار الإقليمي، فتركز هذه الدراسات الإسرائيلية في توجيهها العام على ثلاثة أبعاد، وهي:

- استثمار التباينات السياسية العربية، وخصوصاً في موضوعات محددة، وأبرزها الموقف من الحركات الدينية العربية، وعلى رأسها حركة الإخوان المسلمين.
- التأثير على وزن الدول العربية المتعاطفة مع توجهات محور المقاومة.
- العمل على تهويل الخطر الإيراني على الدول العربية.

ك. أما في المستوى الدولي، فإن الدراسات الإسرائيلية وبشكل واسع تميل إلى التوجهات التالية:

- استبعاد أي قوى دولية متعاطفة نسبياً مع المقاومة من المشاركة في أيّ لجان أو مفاوضات تبحث مرحلة ما بعد الطوفان.
- استمرار الضغط لمحاصرة دور الأمم المتحدة والقضاء الدولي، وخصوصاً محكمة العدل الدولية والمحكمة الجنائية الدولية International Criminal Court.
- الاستعداد لنشاطات إعلامية تكبح التحولات في توجهات الرأي العام الدولي باتجاه نقد السياسات الإسرائيلية، وخصوصاً في الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وفي المنظمات الدولية غير الحكومية، فقد أشار مركز دراسات إسرائيلي إلى أن مجموع المظاهرات المساندة لفلسطين في الولايات المتحدة، خلال الفترة الممتدة من 2023/10/7 إلى 2024/2/9، كان 1,625 مظاهرة مقابل 283 مظاهرة مؤيدة لـ"إسرائيل".²¹



2. الدور الاقتصادي؛ تنظر مراكز الدراسات الإسرائيلية لهذا البعد من خلال:

أ. الدعم المالي لإعادة الإعمار في قطاع غزة، وتقوم الفكرة المركزية بين أغلب الدراسات الإسرائيلية في هذا الجانب على ضرورة الربط بين الإعمار وبين تغيير الواقع السياسي في الضفة الغربية وقطاع غزة، بحسب ما أشارت له هذه الدراسات في الجانب السياسي، أي أن الفكر الإسرائيلي يربط ربطاً وثيقاً بين الضغط العسكري لانتزاع المكاسب وبين الابتزاز المالي لربط أموال الإعمار بمواقف سياسية، كما ورد في الدور السياسي الذي أشرنا له.

ب. التفكير في تهديّة مخاوف المستثمرين العرب في إعادة الإعمار من عودة العنف مرة أخرى بشكل يقوّض دورهم الاقتصادي، أي إن على "إسرائيل" أن تربط السماح بدخول المساعدات إلى قطاع غزة بسياسات عربية أكثر انفتاحاً على "إسرائيل"، وأكثر تضيقاً على فرص استئناف المقاومة ضدّ "إسرائيل" في فترات لاحقة.

3. نقاط التباين والتوافق بين مشروعات التسوية المختلفة من منظور مراكز الدراسات الإسرائيلية:

عند استعراض المبادرات العربية والدولية والإسرائيلية للتسوية في مرحلة ما بعد الطوفان، يتمّ تحديد جوانب التباين وجوانب التوافق بين هذه المبادرات للبحث في كيفية توظيفها ومعالجتها، ففي مجال التباينات تمّ تحديد السيناريوهات للتسوية على النحو التالي:

أ. حول مركز حماس: إن أغلب الأطراف العربية لا ترى مانعاً من "دور ما" لها، وهو ما ترفضه "إسرائيل" والولايات المتحدة، كما أن دور حماس من المنظور القطري يجب أن يكون أكبر من الدور الذي تحدده الدول العربية ذات العلاقة مع "إسرائيل".

ب. عودة السلطة الفلسطينية إلى غزة: ترى أغلب الدول العربية غير المنخرطة في مساندة محور المقاومة ضرورة أن يكون للسلطة الفلسطينية الدور المركزي، وهو ما تقبله "إسرائيل"؛ شريطة إخضاع هذه السلطة لتغييرات عميقة.

ج. ثمة تباين بين الموقف الأمريكي والإسرائيلي في موضوع السلطة؛ فالولايات المتحدة ترى الموضوع في إطار حلّ الدولتين، بينما "إسرائيل" تشير إلى تعبير

غامض وهو "عناصر محلية" للحكم في غزة دون أي ربط لذلك بتسوية نهائية محددة، وتُشير دراسة إسرائيلية إلى أن حلّ الدولتين ينطوي على مخاطر وجودية على "إسرائيل" من خلال:

- هناك التزام تاريخي لدى المجتمع الفلسطيني بتحرير فلسطين عبر المراحل التي تمّ التعبير عنها في الوثائق الفلسطينية.

- إن الحديث عن دولة فلسطينية منزوعة السلاح غير منطقي، لأن نزع السلاح يكون لمناطق لا لدول، فليس هناك دولة قومية على غرار النموذج الويستفالي Westphalian model منزوعة السلاح.

- احتمال وقوع انقلاب في الدولة الفلسطينية المستقبلية يأتي بسلطة تتراجع عن الالتزامات السابقة للسلطة الفلسطينية المخلوعة.

- ويرى بعض الباحثين الإسرائيليين أن عدم الاستقرار في المجتمع الإسرائيلي سينفجر بعد وقف الحرب، سواء بسبب سياسات نتنها هو أم بسبب المشروعات الدولية والإقليمية لتسوية الصراع.²²

د. الدور العربي في غزة: تبدو دول الخليج ذات العلاقة مع "إسرائيل" أقل وضوحاً في تحديد دورها، ويبدو أنها تخشى من التسرع في لعب دور سياسي أمني قد يوقعها إلى جانب مصر في مواجهة مع حماس، ولكن دول الخليج وخصوصاً السعودية والإمارات أكثر وضوحاً في مجال تقبّل الدور الإعماري في غزة.

هـ. هناك خلاف بين الولايات المتحدة و"إسرائيل" حول التغييرات الجغرافية في قطاع غزة، فالولايات المتحدة ترفض التغييرات الجغرافية في القطاع، بينما تسعى "إسرائيل" لإيجاد ما يسمى "سواراً أمنياً security Perimeter"، يحيط بغزة للفصل بين القطاع والعالم الخارجي.

أما النقاط المشتركة بين توجهات دول التطبيع و"إسرائيل" فهي:

أ. أن يكون للسلطة دور في قطاع غزة، سواء عبر تغيير قيادة عباس أم في حكومة تكنوقراطية يقودها تكنوقراط من أمثال سلام فياض.

ب. إضعاف حركة حماس، خصوصاً إذا ما تمّ التوافق على الإفراج عن الرهائن، وإضعاف القدرات العسكرية لحماس، وضمان إجراءات تضمن الأمن الإسرائيلي



للمدى المتوسط والمدى البعيد. وهنا يجري النقاش بين الدول العربية وخصوصاً الخليجية حول اقتراحين؛ أحدهما "نفي" قادة حماس خارج قطاع غزة، أو نزع سلاح حماس وإخضاعها للإدارة الفلسطينية الجديدة.

ج. تواصل التطبيع العربي مع "إسرائيل" وهو النهج الذي تروج له السعودية، ولكنها تربطه بعدد من الشروط الثنائية مع الولايات المتحدة؛ مثل السماح لها ببرنامج نووي سلمي، وعقد اتفاقية دفاع مشترك، وتزويدها بالأسلحة المتطورة من الولايات المتحدة، إلى جانب استئناف "إسرائيل" المفاوضات لتسوية الموضوع الفلسطيني.

سادساً: توجهات الرأي العام الإسرائيلي بين السياسات الرسمية وتصورات مراكز الدراسات:

جدول رقم 3: توجهات الرأي العام اليهودي من موضوعات معركة طوفان الأقصى²³

الموضوع	النسبة (%)	ملاحظات
أولوية إعادة الرهائن	51%	إن معدل الضغط على الحكومة في هذا الموضوع متوسط
أولوية إسقاط حركة حماس	36%	ليست أولوية للغالبية
رفض قبول قيام دولة فلسطينية مقابل التطبيع مع السعودية	59%	يبدو أن المجتمع مقتنع أن السعودية ستطبع دون تحقيق الدولة الفلسطينية
ضرورة التنسيق مع الأمريكيين في اتخاذ قرارات الحرب	38%	49.5% يؤكدون على اعتماد قرار الحكومة المستقل عن الولايات المتحدة
رفض الإفراج عن الرهائن مقابل الإفراج عن كل المعتقلين الفلسطينيين	60%	وهذه نتيجة متسقة مع موضوع أولوية الإفراج عن الرهائن
رفض عودة سكان غلاف غزة إلى مستوطناتهم الآن	52%	إشارة إلى بقاء الخوف الأمني

الموضوع	النسبة (%)	ملاحظات
تأييد بدء تحقيق فوري في الفشل الاستخباراتي بخصوص 7 تشرين الأول/أكتوبر	46%	نسبة ليست بسيطة وتشكل مصدر قلق لنتنياهو
تأييد توسيع الحرب مع حزب الله	تراوحت النسبة خلال مراحل الحرب بين 48-59%	يلاحظ أن النسبة تميل للزيادة من شهر لآخر مع استمرار الحرب
عدم الرضا عن أداء الحكومة في قطاع الخدمات خلال الحرب	41%	وهو ما تبرره الحكومة بالوضع الاستثنائي في حالة الحرب
أهم هموم المجتمع حالياً	الأمن: 53% غلاء المعيشة: 36%	هي نتائج متسقة مع المعطيات السابقة
وائق بانتصار "إسرائيل"	تشرين الثاني/ نوفمبر 2023: 78% كانون الثاني/يناير 2024: 61%	إن نسبة من يتشككون في انتصار "إسرائيل" ارتفعت من 26% إلى 39% في الفترة.

ويمكن استنتاج عدداً من الدلالات من توجهات الرأي العام الإسرائيلي، طبقاً لما نشرته مراكز الدراسات الإسرائيلية:

1. إن نسبة التوافق بين شرائح المجتمع الإسرائيلي في أغلب القضايا هي نسبة متدنية.

2. أن الثقة بالانتصار في معركة غزة تراجعت بنسبة 17%.

سابعاً: توصيات مراكز الدراسات الإسرائيلية:

في دراسة سابقة لنا حول دور مراكز الدراسات الإسرائيلية في عملية صنع القرار الإسرائيلي، تبين لنا النسبة العالية جداً في أخذ الحكومات الإسرائيلية بتوصيات مراكز الدراسات،²⁴ واستناداً لذلك نُشير إلى أهم التوصيات التي تواترت الإشارة لها في أغلب الدراسات الإسرائيلية التي أشرنا لها أعلاه، على النحو التالي:²⁵

1. على "إسرائيل" أن تحقق الأهداف التالية قبل وقف إطلاق النار:

أ. التحكم في ممر فيلادلفيا بين مصر وقطاع غزة.



ب. إقامة إدارة مؤقتة في غزة خلال تواجد القوات الإسرائيلية في القطاع، وتعتمد هذه الإدارة على فلسطينيين من عناصر، تُسهم "إسرائيل" في تعيينها. وتقوم هذه الإدارة المعيّنة بالعمل على نزع أدبيات المقاومة السياسية والمرتبطة بحركة حماس من المجتمع الفلسطيني.

ج. نزع سلاح المقاومة الفلسطينية في القطاع.

د. إقامة منطقة عازلة حول غزة.

2. على الحكومة الإسرائيلية أن تضع تصوّراً يستند أساساً على نقاط التوافق بينها وبين دول التطبيع العربية ومنها السعودية.

3. على الحكومة أن تراعي فجوات التباين بينها وبين بعض الدول العربية، وخصوصاً في طبيعة السلطة القادمة في غزة وعلاقة ذلك بالجانب الأمني لـ "إسرائيل".

4. العمل على تنسيق الموقفين الأوروبي والأمريكي باتجاه إضعاف حركة حماس.

5. العمل على إضعاف العلاقة بين حركة حماس وقطر من ناحية، وضرورة الضغط على قطر لتوسيع نطاق التناغم مع مواقف دول التطبيع.

6. الربط بين تطور السلطة الفلسطينية والعلاقة السعودية الإسرائيلية على أساس أن تتوازي الخطوات في البعدين معاً.

7. ضرورة انضباط المسؤولين الإسرائيليين في تصريحاتهم التي تعزز اتهام محكمة العدل الدولية بممارسة "إسرائيل" لجريمة الإبادة الإنسانية، والاستمرار في التواصل الدبلوماسي مع دول العالم لتخفيف آثار موقف المحكمة على الصورة الإسرائيلية.

8. لا يميل الباحثون في مراكز الدراسات الإسرائيلية إلى إمكانية استثمار العلاقات العربية الصينية والصينية الإيرانية، للإسهام في إقناع حركة أنصار الله في اليمن لوقف هجماتهم على التجارة البحرية في البحر الأحمر والمتوجهة لـ "إسرائيل".²⁶

الهوامش

¹ انظر: وليد عبد الحي، رؤية مراكز الدراسات الإسرائيلية لمرحلة ما بعد طوفان الأقصى، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2024/3/4.

² Marc-Antoine Pérouse de Montclos, "Measuring violence in war-torn countries: A political challenge for development, peace and security," *Statistical Journal of the LAOS*, International Association for Official Statistics, vol. 39, 2023, https://horizon.documentation.ird.fr/exl-doc/pleins_textes/2023-09/010088021.pdf; Taylor B. Seybolt, "Appendix 1C. Measuring violence: an introduction to conflict data sets," site of Stockholm International Peace Research Institute (SIPRI), <https://www.sipri.org/sites/default/files/01C..pdf>; and Bastian Herre, "How do researchers measure armed conflicts and their deaths?," site of Our World in Data, 13/10/2023, <https://ourworldindata.org/conflict-data-how-do-researchers-measure-armed-conflicts-and-their-deaths>

³ انظر التفاصيل حول الصراع في قطاع غزة والضفة الغربية في:

ACLED Conflict Index: Ranking violent conflict levels across the world, site of The Armed Conflict Location & Event Data Project (ACLED), January 2024, <https://acleddata.com/conflict-index>

⁴ Daily death rate in Gaza higher than any other major 21st Century conflict – Oxfam, site of Oxfam, 11/1/2024, <https://www.oxfam.org/en/press-releases/daily-death-rate-gaza-higher-any-other-major-21st-century-conflict-oxfam>

⁵ Pnina Sharvit Baruch and Tammy Caner, "The Decision of the Court in The Hague—A Practical Achievement but also a Warning Sign," site of The Institute for National Security Studies (INSS), 11/2/2024, <https://www.inss.org.il/publication/icj-israel>

⁶ Roe Kibrik and Orni Livny (eds.), "Trends in Israel's Regional Foreign Policies," Issue No. 12, July–December 2023, site of The Israeli Institute for Regional Foreign Policies (Mitvim).

⁷ تم إجراء الاستطلاع من قبل المركز العربي واشنطن Arab Center Washington والمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات The Arab Center for Research and Policy Studies خلال الفترة 2023/12/12–2024/1/5. وغطى الاستطلاع 16 دولة عربية تضم نحو 95% من المجتمع العربي، انظر التفاصيل في:

Arab Public Opinion about Israel's War on Gaza, site of Arab Center Washington DC (ACW), 2024/2/8, <https://arabcenterdc.org/resource/arab-public-opinion-about-israels-war-on-gaza>

⁸ انظر تأكيد هذه النتائج في:

Michael Robbins et al., How the Israel-Hamas War in Gaza Is Changing Arab Views, site of *Foreign Affairs* magazine, 14/12/2023, <https://www.foreignaffairs.com/middle-east/how-israel-hamas-war-gaza-changing-arab-views>; and Press Release: Public Opinion Poll No (90), site of Palestinian Center for Policy and Survey Research (PSR), 13/12/2023, <https://pcpsr.org/en/node/961>

⁹ The Israeli Foreign Policy Index, Mitvim,

https://mitvim.org.il/en/report_cat/the-israeli-foreign-policy-index

¹⁰ Yoel Guzansky, Ofir Winter and Inbar Noy-Freinfeld, "The Day After": Regional Outlines and Post-war Gaza Strip," INSS, 1/2/2024, <https://www.inss.org.il/publication/the-day-after>

¹¹ Yoel Guzansky and Ofir Winter, "Two are Better than One: The Role of Qatar and Egypt in Gaza," INSS Insight No. 1636, INSS, 25/8/2022, <https://www.inss.org.il/publication/qatar-egypt>

Ofir Winter, Morr Link and Adam Sharon, “Navigating Post-War Realities: The Road Ahead¹² for Israel and Egypt,” INSS Insight No. 1794, INSS, 6/12/2023, <https://www.inss.org.il/publication/israel-egypt-war>

¹³ انظر التفاصيل في:

Jonathan Ofir, Israeli think tank lays out a blueprint for the complete ethnic cleansing of Gaza, site of Mondoweiss, 23/10/2023, <https://mondoweiss.net/2023/10/israeli-think-tank-lays-out-a-blueprint-for-the-complete-ethnic-cleansing-of-gaza>; and Israel: think tank linked to Netanyahu promotes ‘unique opportunity’ to ethnically cleanse Gaza, site of Middle East Monitor (MEMO), 24/10/2023, <https://www.middleeastmonitor.com/20231024-israel-think-tank-linked-to-netanyahu-promotes-unique-opportunity-to-ethnically-cleans-gaza>

Jonathan Ofir, Israeli think tank lays out a blueprint for the complete ethnic cleansing of Gaza,¹⁴ Mondoweiss, 23/10/2023.

¹⁵ Ibid.

¹⁶ المفاوضات عالقّة: هذا هو الخلاف بين إسرائيل ومصر بشأن محور التهريب التابع لحماس، موقع واينت، 2024/1/7، في: <https://www.ynet.co.il/news/article/sybycmuu6> (باللغة العبرية)

¹⁷ Dov Lieber, Summer Said and Abeer Ayyoub, Israel Says It Plans Ground Offensive Into City on Border With Egypt, site of *The Wall Street Journal*, 6/2/2024, https://www.wsj.com/world/middle-east/israel-says-it-plans-ground-offensive-into-city-on-border-with-egypt-9fd35e39?mod=middle-east_news_article_pos4; and site of Daily Alert, <https://www.dailyalert.org>

¹⁸ Michael Barak, “Special Report: The 7/10 Massacre of Hamas as an Inspiration Model for the “Change Stream” (“Tayyar al-Taghyir”) in the Muslim Brotherhood,” site of International Institute for Counter-Terrorism (ICT), December 2023, pp. 5–7.

¹⁹ انظر حول الرؤية الإسرائيلية للدور القطري في:

Michal Yaari, “Israel and Qatar Relation nurtured by The Palestinian Issue,” Mitvim, March 2020, pp. 4–12.

²⁰ انظر التفاصيل في الدراسات والتقارير التالية الصادرة من مراكز الدراسات الإسرائيلية:

Yohanan Tzoreff, “Policy Paper: What is A Revitalized Palestinian Authority,” Mitvim, January 2024, <https://mitvim.org.il/wp-content/uploads/2024/01/English-What-is-a-Revitalized-Palestinian-State-Yohanan-Tzoref-January-2024-final.pdf>; Yoel Guzansky, Ofir Winter and Inbar Noy-Freifeld, “‘The Day After’: Regional Outlines and Post-war Gaza Strip,” INSS, 1/2/2024; Udi Dekel, “To Meet the War’s Objectives, Controlling Northern Gaza is Essential,” INSS Insight No. 1819, INSS, 25/1/2024, <https://www.inss.org.il/publication/north-gaza>; Chuck Freilich, “The War in Gaza Postponed the Emerging US–Israel Crisis, but Intensified It,” INSS Insight No. 1822, INSS, 30/1/2024, <https://www.inss.org.il/publication/us-israel-crisis>; and Louis René Beres, “After the Gaza War: Why Palestine Would Be a Lawless and Militarized State,” The Begin-Sadat Center for Strategic Studies (BESA Center), Perspectives Paper No. 2,256, 18/1/2024, <https://besacenter.org/after-the-gaza-war-why-palestine-would-be-a-lawless-and-militarized-state/>

²¹ Swords of Iron: An Overview, Data Analytics Desk, INSS, <https://www.inss.org.il/publication/war-data>

Yaakov Katz, When the war in Gaza stops, the political war in Israel will begin, site of The Jewish People Policy Institute (JPPI), 3/2/2024, <https://jpji.org.il/en/when-the-war-in-gaza-stops-the-political-war-in-israel-will-begin/> (cited from *The Jerusalem Post* newspaper, 2/2/2024)

²³ تمّ أخذ هذه النتائج من استطلاعات الرأي الإسرائيلي التي قام بها المعهد الإسرائيلي للديمقراطية ومعهد سياسة الشعب اليهودي خلال فترة الحرب وحتى كتابة هذه الدراسة. للاطلاع على تفاصيل هذه الاستطلاعات انظر:

Site of The Israel Democracy Institute (IDI), <https://en.idi.org.il/tags-en/1465>; and JPPI Israeli Society Index, January 2024, JPPI, <https://jpji.org.il/en/%D7%9E%D7%93%D7%93-jppi-%D7%9C%D7%97%D7%91%D7%A8%D7%94-%D7%94%D7%99%D7%A9%D7%A8%D7%90%D7%9C%D7%99%D7%AA-%D7%9C%D7%97%D7%95%D7%93%D7%A9-%D7%99%D7%A0%D7%95%D7%90%D7%A8-2024>

²⁴ وليد عبد الحي، ورقة علمية: دور مراكز الأبحاث في صنع القرار السياسي الإسرائيلي، موقع مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2022/1/4، في: <https://www.alzaytouna.net>

²⁵ خلال إعداد هذه الدراسة، حاول الباحث جمع النقاط المتفق عليها بشكل عام بين الدراسات الإسرائيلية (مع خلافات أحياناً في بعض التفاصيل) بهدف تحديد الاتجاه العام للتفكير الاستراتيجي الإسرائيلي في موضوع هذه الدراسة، وتكاد هذه الدراسة تتفق مع ما توصل إليه الباحث خلال الرصد، انظر:

Miri Eisin, After the War: Five Key Challenges for Israel, ICT, 3/1/2024, <https://ict.org.il/after-the-war-five-key-challenges-for-israel> (cited from Maariv Online)

وانظر أيضاً:

Pnina Sharvit Baruch and Tammy Caner, “The Decision of the Court in The Hague—A Practical Achievement but also a Warning Sign,” INSS, 11/2/2024.

Galia Lavi, “The Limitations of Chinese Influence in the Middle East,” INSS Insight No. 1827, ²⁶ INSS, 18/2/2024, <https://www.inss.org.il/publication/china-houthi-middle-east>



التدمير الإسرائيلي في قطاع غزة: دراسة حالة في "إبادة المكان"¹

إبراهيم عبد الكريم*

مقدمة:

تتأطر أعمال التدمير الإسرائيلي للتجمعات السكنية الفلسطينية، على تنوع مكوناتها واستخداماتها، بالرغبة الجامحة في نزع الشرعية عن وجود الشعب الفلسطيني في البلاد، وبناء الكيان الإسرائيلي على أنقاضه في جميع أنحاء المناطق الفلسطينية.

وقد ظهر خلال الترجمة العملية لذلك، على امتداد العقود الماضية، وجود مخزون هائل من العداء الإسرائيلي، اتضح منه أن هناك ولعاً إسرائيلياً خاصاً ومميزاً باستعمال الوسائل التي تمحو كل ما يتصل بالشعب الفلسطيني، مادياً ومعنوياً، بطريقة سادية جماعية مُفرطة، اتساقاً مع استراتيجية "الإبادة السياسية Politicide" الإسرائيلية للشعب الفلسطيني، التي تقوم على ارتكاب جرائم تُفضي إلى سحق هويته الوطنية، وإلغاء إرادته، وأد طموحاته وتطلعاته، وتصفية قضيته، واجتثاث جذور تطوره المستقل.

وجاء العدوان الإسرائيلي الراهن على قطاع غزة ليجسد مجدداً جانباً من هذه الحقيقة، ممثلة بالتطلع لفرض أمر واقع جديد مغايراً تماماً للواقع الذي كان قائماً، وضمناً محاولة القضاء على المقاومة والتحكم بمصير القطاع، عبر القيام بتدمير واسع النطاق فيه.

* باحث فلسطيني مقيم في سورية، متخصص بالشؤون الإسرائيلية وقضية فلسطين والصراع العربي - الصهيوني. عمل باحثاً متفرغاً، منذ سنة 1980، في مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية بدمشق، وترأس التحرير في هذه المؤسسة خلال الفترة 1994-2021. قدّم محاضرات في مؤسسات أكاديمية وبحثة، داخل سورية وخارجها، وهو عضو اتحاد الكتاب العرب: جمعية البحوث والدراسات، منذ سنة 1995، وعضو اتحاد الكتاب الفلسطينيين، منذ سنة 1980. نُشر له 25 كتاباً، ومئات الأبحاث والدراسات.

ولدى تحرّي مكوّنات السياق العام لهذا التدمير، يتبيّن أنه يأتي وفق ترابط نمطين من التوجهات الإسرائيلية النازمة للتعامل مع فلسطين، الجغرافيا والشعب والقضية، وهما مصطلحان متداولان، باللاتينية؛ الإبادة الجماعية (Genocide: Genos = الناس، وCide = قتل)، وإبادة المناطق الحضرية (Urbs = Urbicide حاضرة + Cide قتل).

على أرضية هذا الترابط، ثمة ما يستدعي من الجهات والفعاليات الفلسطينية تناول موضوع التدمير الإسرائيلي الجاري في قطاع غزة، لتغذية القنوات القانونية الدولية المتعددة، التي فُتحت إحداها بالدعوى التي رفعتها جنوب إفريقيا أمام محكمة العدل الدولية International Court of Justice في لاهاي، وطلبت فيها محاكمة "إسرائيل" بارتكاب جرائم "إبادة جماعية" في غزة.

ولهذه الغاية، يتعيّن استيضاح الحجم الهائل للتدمير الإسرائيلي في قطاع غزة وآثاره المختلفة على الإنسان، محور "الإبادة الجماعية"، وعلى المكان الذي يعيش فيه ويرتبط معه بعلاقة وجودية حيوية، استناداً لبيانات موثقة وشهادات دولية، حول ذلك التدمير، والنتائج المرتبطة به، وكشف دوافع السلوك والذرائع الإسرائيلية، نظراً لأن أيّ محاكمة قانونية أو سياسية مطالبة بتقديم أدلة وقرائن ومعطيات صحيحة مناسبة.

وتُعنى هذه الدراسة بالإسهام في توضيح هذه المسألة، فتحاول تقديم تأصيل نظري لقضية "إبادة المكان"، وتعرض معطيات مفصلة حول التدمير الإسرائيلي المنهج في قطاع غزة، وإزالة المباني لإنشاء "منطقة عازلة"، ونتائج التدمير المفتوحة على المزيد، وتدمير البيئة في القطاع كجزء من "إبادة المكان".

وتسوق الدراسة ادّعاءات إسرائيلية واهية لتسويق التدمير تدحضها الحقائق، والعديد من الدعوات الإسرائيلية الصريحة التي تجعل التدمير في خدمة التهجير. وتطرح الدراسة مسألة تدمير المباني خلال الحرب في المنظور القانوني، وموقف مقرر الأمم المتحدة (United Nations (UN الخاص المعني بالحقوق في السكن اللائق بالاكريشنان راجاجوبال Balakrishnan Rajagopal، وأخيراً المسألة والمحاسبة القانونية الدولية الواجبة لـ "إسرائيل".



وتهتم الدراسة بتوظيف تقارير لمصادر صحفية دولية وازنة، ومواد مترجمة عن صحفٍ إسرائيلية، تقتضيها الحالة، مع ملاحظة أن هذه المواد تشمل مفاهيم ومصطلحات صهيونية تضليلية مكشوفة. وسيجري لدواعٍ بحثية وتوثيقية استعمال كلمات من اللغة المسماة ”العبرية“.

”إبادة المكان“... تأصيل نظري:

يمكن الانطلاق في معالجة الموضوع المثار من استخدام الأسس العلمية التي صاغها الخبراء والمتخصصون، والتي قدّموا فيها تعريفات ومفاهيم مكتملة، تصلح كمعايير للحكم على أي حالة مدروسة.

في هذا النطاق، اعتمد البروفيسور البريطاني في السياسة الدولية مارتن كوارد Martin Coward مصطلح ”أوربيسايد = إبادة المناطق الحضرية“، والذي عنون به كتاباً له نشره سنة 2009، في الولايات المتحدة وكندا، عن دار روتليدج Routledge.² وفيه يذكر كوارد أن ذلك المصطلح أصبح شائعاً خلال حرب البوسنة 1992-1995، كوسيلة للإشارة إلى التدمير المتعمّد والواسع النطاق للبيئة الحضرية وبأشكال عنفية. ويحدّد كوارد فهماً نظرياً للحالة الحضرية المعرضة للخطر في مثل هذا العنف، ويؤكد أن المباني مستهدفة لأنها تتيح مساحة عامة تعددية تتعارض مع الأهداف السياسية للأنظمة القومية العرقية. وقد جرى توضيح الأمر بإشارته إلى العديد من صراعات ما بعد الحرب الباردة، بما في ذلك البوسنة والشيشان و”إسرائيل“ وفلسطين، وكان بذلك أول تحليل شامل للعنف المنظم ضدّ البيئات الحضرية، متضمناً منظوراً أصلياً للذين يسعون إلى فهم أفضل للتحضر والعنف السياسي وسياسة الإقصاء.³

وفي المنحى ذاته، ألف كينيث هيويت Kenneth Hewitt، البروفيسور في قسم الجغرافيا والدراسات البيئية بجامعة ويلفريد لورييه Wilfrid Laurier University، بكندا، كتاباً نشره سنة 2009، بعنوان ”إثبات أسباب إبادة المناطق الحضرية: وجهات نظر مدنية وحضرية حول قصف العواصم“، درس ضمنه حالات تطبيقية في قصف لندن وبرلين وطوكيو إبّان الحرب العالمية الثانية، وهي حالات رأى أنها كانت الاختبار الجدّي الأول والوحيد للقوة الجوية الاستراتيجية، وقتل المدن لتحديد نتائج

الحرب. وأوضح المؤلف أنه كان لقصف المستوطنات الحضرية تأثيرات رئيسية على المدنيين المقيمين، ومساحة المعيشة، والوظائف غير العسكرية.⁴

ومما يُذكر أن قتل المناطق الحضرية ليس جديداً؛ فقد دمر الرومان قرطاجة؛ وقضى المغول على جيرانهم؛ ودُمرت دريسدن وناجازاكي، كل ذلك وسواه هو محو مُتعمد للمناطق المأهولة بالناس، حيث تُعدّ مهاجمة المباني هجوماً ضمنيّاً على الحالة الإنسانية. وكحالة دراسية، استعمل الروائي الأفرو-أمريكي جيمس بالدوين James Baldwin وصف "إزالة الزنوج Negro Removal"، لدى تدمير أحياء الأمريكيين من أصل إفريقي من أجل "التجديد الحضري"، مما أدى بالأساس إلى إفساح المجال أمام السكان البيض القادمين. وخلال سقوط يوغوسلافيا، والمذبحة المصاحبة لها، جرى استخدام كلمة "أوربيسايد" لوصف تدمير الحواضر، المدن والمناطق، في سياق الإبادة الحقيقية، إذ جرى تدمير مدن مثل دوبروفنيك وفوكوفار وموستار، وتركزت غير صالحة للسكن. وفي الوقت ذاته، كان استهداف مكتبة سراييفو ومسجد فرهاديا في بانجا لوكا بمثابة محاولات متعمدة لتدمير المباني ذات القيمة الرمزية الكبيرة.⁵

تلازماً مع ظاهرة إبادة المناطق الحضرية، جرى في الدراسات الأكاديمية السياسية والاجتماعية وسواها، استعمال مصطلح دوميسايد Domicide، باللاتينية، في حالة تدمير، أو قتل، المنازل، بحيث تصبح غير صالحة للسكن. وقد ظهر هذا المصطلح لأول مرة، قبل أكثر من عقدين، في كتاب بعنوان "دوميسايد: التدمير العالمي للمنزل Domicide : The Global Destruction of Home"، ألفه الجغرافي جون دوغلاس بورتويس John Douglas Porteous، والأستاذة المساعدة في الجغرافيا ساندر إيلين سميث Sandra Eileen Smith، ونُشر بإصدارات متعددة، في كندا ولندن ونيويورك وسواها. وفيه تناول المؤلفان هذه الظاهرة وأبرزوا معالمها وسبل مواجهتها، وخلال ذلك بحثا العلاقة بين الموطن الأصلي والمنزل، والتي يُستشف منها أن لفظ Home يتخذ معنى أوسع من "المنزل"، ليدل على "وطن"، وبهذا يمكن أن يدور الحديث عن "تدمير وطن". وعلى أي حال، عبر اعتماد لفظة "منزل"، يوضح هذا الكتاب، في طبعة له سنة 2001، أنه يجري تدمير المنازل لأسباب متعددة، يتصدّرها قيام الأقوياء بهذا العمل لإزالتها من طريق مشاريعهم، بالتذرّع عادة بخدمة المصلحة العامة. ويتضمن



الكتاب مدى أهمية المنازل أو المباني لحياة الناس والمجتمع، وتأثيرات تدميرها، والعواقب المترتبة على خسارتها، واقتراح سياسات لتخفيف معاناة أصحابها، ومقاومة المشاريع غير المقبولة التي تستهدفها.⁶

نحن وفي هذه الحالة أمام محدّدات واضحة لمصطلح قتل المنازل، الذي انتشر على نطاق واسع في الأوساط الأكاديمية والحقوقية، بأنه يتعلق بالقضاء على المباني التي تُستعمل لشتى الأغراض، والتي يتعذر فصل وظيفتها عن الحياة الإنسانية، بكل جوانبها الذاتية والعامة. ومن ثم يصلح هذا المصطلح للاستئناس به لدى دراسة حالة التدمير الإسرائيلي في قطاع غزة، سواء من حيث مكوناتها الخاصة، أم من حيث تشابهها مع نماذج دولية معروفة.

تدمير إسرائيلي منهج لقطاع غزة بأدوات إبادة جماعية:

تتيح متابعة شهادات متعددة المصادر، الإحاطة التوثيقية لقيام "إسرائيل" منذ بدء عدوانها على قطاع غزة، اعتماد تدمير مبرمج؛ ابتداءً بقصف تمهيدي مكثّف، ومتواصل على امتداد الأشهر اللاحقة، وباستخدام جميع أنواع الأسلحة التقليدية الموجودة لدى قواتها البرية والجوية والبحرية، ومنها المواد المتفجرة في القذائف والصواريخ والتي كانت بأوزان وقوى تدميرية هائلة.

ومن المعلومات التي يجدر التوقف عندها، تقرير نشرته صحيفة "فاينانشال تايمز Financial Times" البريطانية، في 2023/12/6، مع عبارة مثيرة؛ "القنابل الإسرائيلية تنهمر على غزة"، فقد وصف فيه الحرب الإسرائيلية على القطاع بأنها الأكثر عنفاً ودموية في التاريخ. وأوضح التقرير أن "إسرائيل" استهلكت كميات ضخمة من الذخيرة، واستخدمت الأسلحة الغربية الحديثة؛ من القنابل الموجهة عبر الأقمار الاصطناعية إلى الصواريخ الدقيقة الموجهة بالليزر، وبذلك اقترب الضرر الذي أحدثه الهجوم الإسرائيلي، كما يقول المحللون العسكريون، من الأضرار التي سببها القصف الشامل الذي دام سنوات على المدن الألمانية خلال الحرب العالمية الثانية. ونقل التقرير عن المؤرخ العسكري الأمريكي روبرت باب Robert Pape، قوله: "إن دريسدن وهامبورغ وكولونيا (Dresden, Hamburg, Cologne) مدن تذكّر أسماؤها بأعنف حملات القصف في القرن العشرين، وسيتم إدراج اسم قطاع

غزة أيضاً كمكان جرت فيه أعنف حملات القصف التقليدية في التاريخ، حيث سويت أحياء بأكملها بالأرض“. وعزا التقرير بعض أسباب حجم الدمار إلى نوعية الذخائر التي تستخدمها ”إسرائيل“، والتي من بينها قنابل موجهة بدقة وزن 250 رطلاً، وصواريخ هيلفاير Hellfire الموجهة بالليزر وصواريخ سبايك Spike، إلا أن من بينها أيضاً ”قنابل غبية“ غير موجهة؛ أي تحدث دماراً عشوائياً إلى جانب تدميرها النقطي – الباحث، من طراز أم 117 – M117، وقنابل وزن 2,000 رطل (نحو 1,000 كغ). وبتوصيف مارك غارلاسكو Marc Garlasco، المستشار العسكري لمنظمة باكس PAX الهولندية غير الحكومية، والموظف السابق في البنتاغون؛ إن حجم القنابل الذكية، أو ما تسمى ذخائر الهجوم المباشر المشترك، هائل للغاية، لدرجة أن ”المباني تتفكك وتنهار ويتشظى الإسمنت والمعادن والهواتف المحمولة، وكل شيء آخر يتطاير من الانفجار بسرعات تفوق سرعة الصوت“. أما السبب الثاني لارتفاع مستوى الدمار فهو شدة القصف الإسرائيلي. وكإشارة للإصرار على المزيد من الدمار، وقد أشار التقرير إلى أن رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو Benjamin Netanyahu كان صريحاً في التعبير عما تحتاجه ”إسرائيل“، عندما قال لمجموعة من المسؤولين الحكوميين: ”نحتاج إلى ثلاثة أشياء من أمريكا هي؛ الذخائر، ثم الذخائر، ثم الذخائر We need three things from America: munitions, then munitions, then munitions“.⁷

وطبقاً لتقرير نشرته صحيفه ”الغارديان The Guardian“ البريطانية، في 2023/12/7، أسقطت ”إسرائيل“ من الذخيرة في غزة في بضعة أسابيع ما أسقطته الولايات المتحدة في أفغانستان طوال عام كامل.⁸

وجاء في تقرير لصحيفة ”واشنطن بوست The Washington Post“، في 2023/12/14، شارك في إعداده أربعة صحفيين: ”إن القوات الإسرائيلية أطلقت على القطاع منذ بداية حربها، حتى ذلك التاريخ، أكثر من 29,000 قنبلة من الجو، وكانت نسبة الموجهة منها بدقة بين 55-60%“، بتقدير مكتب مدير الأمن الوطني الأمريكي، أما البقية فتعرف في المصطلحات العسكرية بـ ”القنابل الغبية“.⁹

وتضمن تحقيق واسع لصحيفة ”النيويورك تايمز The New York Times“ في 2023/12/21، شارك فيه ستة صحفيين، معلومات موثقة لتحقيق أجرته صحيفة



”التايمز The Times“ البريطانية، مستخدمة الصور الجوية والذكاء الاصطناعي، منها؛ أن ”إسرائيل“ ألقت بصورة روتينية—حتى في مناطقٍ أُمّرت المدنيين في غزة بالانتقال إليها بحثاً عن الأمان—قنابل من طراز أم كا-84 أو MK-84، وهي واحدة من أكثر الذخائر تدميراً في الترسانات العسكرية الأمريكية والغربية، وكل منها بوزن 2,000 رطل (نحو 1,000 كغ)، وتطلق موجة انفجارية وشظايا معدنية على مساحة واسعة في كل اتجاه. ووفقاً لخبراء الذخائر، شكلت هذه القنابل حُفراً عرضها 13م أو أكثر، بلغ عددها آنذاك 208 حُفر. وحسب التحقيق ذاته، أرسلت الولايات المتحدة إلى ”إسرائيل“ أكثر من 5 آلاف قنبلة من هذا الطراز، بالإضافة إلى أنواع أخرى، منها قنبلة أصغر حجماً تسمى جي بي يو-39 أو GBU-39، ويصفها المسؤولون الأمريكيون بأنها قادرة على ضرب أهداف تحت سطح الأرض وأكثر ملائمة للبيئات الحضرية مثل غزة.¹⁰

وذكر تقرير، نشر في 2023/12/11، وأعدّه ثاليف دين Thalif Deen، من الأمم المتحدة، أن استخدام ”إسرائيل“ المتحرر للأسلحة شديدة القوة في المناطق الحضرية المزدحمة شمل قنابل أمريكية الصنع وزن كل منها ألفي رطل، دُمّرت منازل وبنيات شاهقة في غزة، وقتلت آلاف الفلسطينيين، ويعرف الأمريكيون جيداً كيف ومتى سيتم استخدام تلك القنابل، ولديهم معلومات استخباراتية حول مكان إسقاطها، ولديهم دعم سياسي كامل لتسويق النتيجة المدمرة. ونقل التقرير عن مارك غارلاسكو، قوله: ”هذا يفوق أي شيء رأيته في حياتي المهنية“. وذكر التقرير أن تدفق الأسلحة الأمريكية إلى ”إسرائيل“ شمل نحو 15 ألف قنبلة و57 ألف قذيفة مدفعية، ولم تكشف الولايات المتحدة عن العدد الإجمالي للأسلحة التي أرسلتها إلى ”إسرائيل“.¹¹

وأفادت بيانات نشرها موقع ”ميدل إيست مونيتور Middle East Monitor“ في 2024/1/4، بأن ”إسرائيل“ أسقطت على غزة ما يزيد عن وزن وقوة ثلاث قنابل نووية؛ كتلك التي ألقيت على مدينة هيروشيما اليابانية، شملت أكثر من 45 ألف قنبلة ترزن أكثر من 65 ألف طن، وأكثر من 45 ألف صاروخ وقنابل عملاقة، وقنابل خارقة للتحصينات من أنواع: بي أل يو-113 أو BLU-113، وبي أل يو-109 أو BLU-109، وأس دي بي أس SDBS، وجي بي يو-28 أو GBU-28، موجهة بأنظمة تحديد المواقع ”جي بي أس GPS“ لتدمير البنية التحتية، وكذلك ألقت الفوسفور الأبيض، وصواريخ ذكية، بالإضافة إلى ”القنابل الغبية“ أو غير الموجهة.¹²

تدمير إضافي خاص لإنشاء "منطقة عازلة":

على المسار التدميري الشامل، تناولت تقارير كثيرة قيام الجيش الإسرائيلي بتدمير آلاف المباني على طول السياج المحيط بقطاع غزة وتسويتها بالأرض، لغرض إقامة ما يسمى "منطقة عازلة Buffer Zone = חזית = Buffer Zone" داخل قطاع غزة، بذرائع، عدوانية، أمنية وسياسية وجغرافية وسواها.

وأورد تقرير للقناة الإسرائيلية الثانية عشرة Channel 12 في 2024/1/23، تفصيلات عن ذلك؛ منها أنه في كامل المساحة العازلة، كان يوجد نحو 2,850 مبنى، وقد جرى تدمير 1,100 منها، ويعمل الجيش الإسرائيلي على تسريع مهمته بإزالة ما تبقى. وكشفت صور الأقمار الصناعية لمنطقة خانينوس، عن وجود نحو 1,050 مبنى في المنطقة العازلة هناك، دُمّر 700 منها، خصوصاً في الجزء الشمالي. وفي وسط قطاع غزة ما تزال المهمة قيد التنفيذ، ومن بين 940 مبنى هناك، دُمّر 180 مبنى حتى الآن. وفي منطقة مدينة غزة على الخط الجوي من مستوطنة ناحل عوز، هناك 390 مبنى في المنطقة العازلة، أُزيل منها نحو 90 مبنى.¹³

وورد في تقرير لصحيفة "يديعوت أحرونوت Yedioth Ahronoth" في 2024/1/24، أن هذه الخطوة تشمل هدم المباني الفلسطينية التي كانت تسيطر على المراقبة وإطلاق النار على المستوطنات القريبة من الحدود مثل؛ نتيف هعسرا، ونير عوز، وكفار عزه، وكيرم شالوم، والأحياء الغربية لسديروت، وأنه جرى بالفعل تدمير أحياء فلسطينية بأكملها، كما هو الحال في بيت حانون وجباليا والشجاعية، وهي خطوة ينفذها الجيش الإسرائيلي بسرعة نسبية وكل يوم، تحت قيادة فرقة غزة، وكجزء من هذه العمليات، كما كشفت القوات الهندسية، أنه يجري تغيير أفق الجانب الإسرائيلي من الحدود عما كان مألوفاً لأي زائر للمنطقة. ونقلت الصحيفة عن ضابط قوله: "أريد من أي شخص من سكان مستوطنات غلاف غزة، أن يعود إلى منزله وأن يفتح النافذة الغربية ولا يرى الشجاعية أمامه، وهذا ما نحن هنا من أجله".¹⁴

وفي تقرير لصحيفة واشنطن بوست في 2024/1/24، للتعريف بهذه المنطقة العازلة، قال الكولونيل جوناثان كونيكيوس Lt. Col. Jonathan Conricus، متحدث سابق باسم الجيش الإسرائيلي: "إن المنطقة ستمتد داخل القطاع لمسافة بعظم تزيد قليلاً عن 800 متر من الحدود، أي أكثر من ضعف المنطقة العازلة قبل الحرب".¹⁵



وأوضح مصدر لصحيفة "وول ستريت جورنال The Wall Street Journal"، في 2024/1/25، أن "أوامر صدرت للجيش الإسرائيلي لتطهير منطقة بعرض كيلومتر واحد على طول الحدود، كجزء من خطة إسرائيلية لبناء منطقة أمنية داخل غزة مباشرة، والتي سيمنع الفلسطينيون من الدخول إليها".¹⁶

ونقل تقرير لموقع "سروجيم Srugim" العبري، في 2024/1/25، عن دراسة أجراها البروفيسور عادي بن نون Adi Ben-Nun، من الجامعة العبرية، فحصت صور الأقمار الصناعية منذ بداية الحرب، أن الجيش الإسرائيلي دمر حتى ذلك التاريخ 1,070 مبنى من أصل 2,824 مبنى، تقع على بعد كيلومتر واحد من الحدود.¹⁷

نتائج التدمير الإسرائيلي مفتوحة على المزيد:

بناء على هذه المعطيات، لا شك أنه كان من أغراض الاستخدام الإسرائيلي لأضخم القنابل والصواريخ وسواها في القطاع هو إحداث دمار هائل للمباني، والبنى التحتية، وتغيير معالم الأمكنة المستهدفة. وفي هذا الصدد، رسمت المنشورات مقاربة لصورة حجم ما نتج عن ذلك، وهو حجم سيظل مفتوحاً على المزيد من النتائج المصاحبة لاستمرار العدوان.

ومن العيّنات البارزة، ذكرت صحيفة فاينانشيال تايمز البريطانية، أنه في 2023/12/4، تضررت بشدة نحو 60% من المباني في شمال غزة، عبر تحليل بيانات الأقمار الاصطناعية، مما يعني تدمير ما بين 82 ألفاً و105 آلاف مبنى. وللمقارنة، إن قصف الحلفاء لـ 61 مدينة ألمانية كبرى على مدار عامين، أدى إلى تدمير ما يُقدّر بنحو 50% من مناطقها الحضرية فقط.¹⁸

ووصف مسؤول السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي European Union جوزيب بوريل Josep Borrell، عقب ترؤسه اجتماعاً لوزراء خارجية دول الاتحاد الأوروبي في 2023/12/11، الدمار اللاحق بالأبنية في غزة بأنه "أكبر من الدمار الذي لحق بالمدن الألمانية إبان الحرب العالمية الثانية، إذا ما تم تقديره نسبياً".¹⁹

وفي معطيات تفصيلية نشرتها صحيفة الغارديان، أظهرت الصور أن الأضرار في المباني، في المدة بين 2023/11/22-10/7، بلغت 47-59% في شمال غزة، و47-58%

في مدينة غزة، و11-16% في دير البلح، و10-15% في خانونس، و7-11% في رفح المنطقة الأقرب للحدود مع مصر. وهذا يصل إلى ما بين 67-88 ألف مبنى. ومن بين المباني التي دمّرتها "إسرائيل": المحكمة الفلسطينية الرئيسية في غزة، المعروفة باسم قصر العدل، والمجلس التشريعي الفلسطيني، و339 منشأة تعليمية، و167 مكان عبادة. ونقل التقرير عن هوغ لوفات Hugh Lovatt، من المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية، تأكيداً أن "إسرائيل تدمر بشكل مُتعمّد ومنهجي المؤسسات المدنية والبنية التحتية التي ستكون ضرورية لحكم غزة وتحقيق الاستقرار فيها بعد الحرب".²⁰

ووفقاً لبيانات قدمت في 2023/12/13 في اجتماع "مجموعة المأوى - فلسطين - Shelter Cluster Palestine"، وهي هيئة مجموعة تضمّ منظمات الأمم المتحدة ومنظمات الإغاثة، أن 26% من الوحدات السكنية في شمال قطاع غزة دُمّرت بالكامل، وتعرضت 62% أخرى لأضرار جزئية بمجموع 88%. وفي مدينة غزة نفسها، تمّ تدمير 16% من الوحدات السكنية بشكل كامل، وتعرضت 59% أخرى لأضرار جزئية، أي ما مجموعه 75%. وفي المناطق الوسطى، خانونس ورفح، كانت الأرقام أقل، لكن ذلك كان قبل أن يزيد الجيش الإسرائيلي نشاطه هناك. وفي المجل، إن نحو 70% من إجمالي الوحدات السكنية في قطاع غزة؛ نحو 305 آلاف وحدة سكنية من أصل نحو 439 ألفاً، تضررت كلياً أو جزئياً.²¹

وشدّد "المركز الأوروبي لحقوق الإنسان Euro-Med Human Rights Monitor"، ومقره جنيف، في بيان أصدره بالتزامن مع مرور 100 يوم على الحرب، في 2024/1/13، بأن "إسرائيل" تتعمّد تدمير وإلحاق أضراراً جسيمة بمرافق البنى التحتية في قطاع غزة. وقد جرى استهداف 320 مدرسة، و1,671 منشأة صناعية، و183 منشأة صحية بينها 23 مستشفى و59 عيادة و92 سيارة إسعاف، و239 مسجداً و3 كنائس، بالإضافة إلى 170 من المقرات الإعلامية.²²

وفي حوادث ذات مغزى محدّد، ضمن محاولة طمس الوجود الديني والثقافي والتراثي، وإزالة الشواهد التاريخية والعمق التاريخي الفلسطيني في القطاع، جاء في بيانٍ أصدرته وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في غزة، في 2024/1/21: "إن جيش الاحتلال الإسرائيلي دمّر بشكل كلي وجزئي نحو 1,000 مسجد من أصل 1,200 مسجد، بينها المساجد الأثرية، كما دمر عشرات المقابر".²³



تخريب البيئة في قطاع غزة كجزء من "إبادة المكان":

نُشرت تحذيرات متعددة حول تبعات القصف الإسرائيلي على بيئة قطاع غزة، ومن ثم عليه ككل، نظراً للعلاقة الوثيقة بين البيئة والأرض وما عليها. وركزت هذه التحذيرات على الآثار المديدة لتخريب البيئة، سواء من حيث المكونات الطبيعية أم من حيث مفاعيلها على حياة السكان، ويُفهم من تحري هذه الآثار أن تدمير البيئة في قطاع غزة ينتمي إلى "إبادة المكان".

ومن التقديرات التي نُشرت، في صحيفة الغارديان في 2024/1/9، أن للانبعاثات من حرب "إسرائيل" في غزة تأثيراً هائلاً على كارثة المناخ، حيث كانت التكلفة المناخية في أول 60 يوماً من أعمال "إسرائيل" العسكرية تعادل حرق ما لا يقل عن 150 ألف طن من الفحم، وهو ما يسبب معاناة غير مسبوقة، وتلفاً للبنية التحتية وكارثة بيئية. ونقلت الصحيفة عن البروفيسور بنيامين نايمارك Benjamin Neimark، المحاضر في جامعة لندن، تأكيده أن انبعاثات الكربون الضخمة والملوثات السامة الأوسع ستبقى بعد فترة طويلة بعد انتهاء القتال، حيث أصبح الوضع البيئي في قطاع غزة كارثياً عبر تدمير أو تلوث البنية التحتية للمياه والطاقة والمياه، مع وجود آثار صحية مدمرة ستظل على الأرجح لعقود قادمة. كما نقلت الصحيفة عن زينة الآغا، وهي محللة السياسات في شبكة السياسة الفلسطينية، قولها: "لن تتلاشى تبعات الهجوم الجوي الكارثي على غزة عندما يأتي وقف إطلاق النار، بل ستستمر المخلفات العسكرية في التربة والأرض والبحر، بالإضافة إلى جثث الفلسطينيين، تماماً كما هو الحال في سياقات ما بعد الحرب الأخرى في العراق مثلاً".²⁴

وسُجِّل اعتداء آخر في مجال "إبادة المكان" ممثلاً بقيام الجيش الإسرائيلي بغمر العديد من أنفاق القطاع بمياه البحر، وهو اعتداء خطير جداً، يرجع في قسم منه إلى امتداد شبكة الأنفاق على مساحات واسعة من القطاع، ففي تقرير بصحيفة النيويورك تايمز في 2024/1/16، نقلاً عن مسؤولين إسرائيليين، تتراوح هذه الشبكة بين 350 و450 ميلاً (560 إلى 720 كم)، وهي أرقام غير عادية إذا ما قيسَت بالمساحة الصغيرة لقطاع غزة.²⁵

يدور الحديث هنا عن عملية ابتدأت كخطة، ثم انتقلت إلى حيِّز التنفيذ العملي. فقد ذكرت صحيفة وول ستريت جورنال في 2023/12/4، أن "إسرائيل" تدرس خطة

لإغراق أنفاق غزة بمياه البحر، وأن الجيش الإسرائيلي انتهى من تجميع 5 مضخات كبيرة للمياه على بعد ميل تقريباً (نحو 1.6 كم)، شمال مخيم الشاطئ للاجئين، ويمكنها نقل آلاف الأمتار المكعبة من المياه في الساعة إلى الأنفاق، مما يؤدي إلى إغراقها في غضون أسابيع.²⁶

وبعد ذلك بأيام، أكد خبر صحفي إسرائيلي أن الجيش الإسرائيلي أجرى تجارب اختبارية، وصفها بأنها ناجحة، لإغراق الأنفاق.²⁷

ثم توالى معلومات عن قيام الجيش الإسرائيلي بانتقاء بعض الأنفاق لغمرها، بشكل يتلاءم مع عملياته العسكرية. وأكد الجيش، في بيان صدر عنه في 2024/1/30، محاولته إغراق أنفاق بواسطة ”ضخ مياه بتدفق عال“ فيها، كجزء من مجموعة متنوعة من الأدوات التي يمتلكها للتعامل مع الأنفاق. وزعم الجيش أن هذه الأداة تعدّ طفرة هندسية وتكنولوجية كبيرة في التعامل مع التحدي تحت الأرضي. وبالتزامن مع ذلك، قال تساحي هنجبي Tzachi Hanegbi، رئيس مجلس الأمن القومي، في مناقشة مغلقة بلجنة الخارجية والأمن في الكنيست Knesset: ”إن تدمير مترو الأنفاق بالكامل في غزة لن يحدث إلا في المرحلة التي تلي القضاء على حماس“،²⁸ على حدّ زعمه.

وقد لوحظ أنه منذ بداية نشر المعلومات عن إغراق الأنفاق في قطاع غزة، انبرت جهات متعددة للتعليق على هذا العمل وبيان مدى خطورته. ومن الشهادات المهمة في هذا الخصوص، توصيفات لخبراء هيدرولوجيين أوردتها صحيفة الغارديان في 2023/12/23، تُجمع على أن إغراق شبكة الأنفاق بمياه البحر قد يؤدي إلى تدمير الظروف الأساسية للحياة في قطاع غزة، وهو أحد عناصر جريمة الإبادة الجماعية. فقد شبّه المقرر الخاص للأمم المتحدة المعني بالحقوق في المياه بيدرو أروجو أجودو Pedro Arrojo-Agudo، الأمر بأسطورة تمليح الرومان لحقول قرطاج لجعل أراضي منافسهم القديم غير صالحة للسكن. وقال مقرر حقوق الإنسان والبيئة ديفيد بويد David Boyd: ”إن الإضرار بمصدر المياه الوحيد في غزة سيكون كارثياً على البيئة وحقوق الإنسان“. وطبقاً لدراسة أجرتها ”الأكاديمية العسكرية الأمريكية ويست بوينت The US Military Academy West Point“؛ إن الأنفاق ستحتاج 1.5 مليون متر مكعب من المياه للتلئها بالكامل. وقال مارك زيتون Mark Zeitoun، مدير مركز جنيف للمياه والأستاذ في معهد جنيف للدراسات العليا:



إن مياه البحر التي يجري ضخها في مئات الكيلومترات من الأنفاق التي تتقاطع مع التربة الرملية المسامية في غزة ستسرب حتماً إلى طبقة المياه الجوفية التي يعتمد عليها سكان القطاع، وستحوّل المورد الضعيف إلى مصدر كارثي، وسيؤدي ذلك إلى تدمير الظروف المعيشية للجميع في قطاع غزة، وأعتقد أن هذا أحد عناصر الإبادة الجماعية ضمن اتفاقية الأمم المتحدة، أي التدمير المادي الجزئي أو الكامل للظروف الضرورية لحياة أي شعب.

وحذر ويم زويننبرغ Wim Zwijnenburg، الباحث في منظمة باكس من أجل السلام الهولندية غير الحكومية Dutch NGO Pax for Peace، الذي يبحث في الآثار البيئية للحرب، من أن "غمر الأنفاق سيشكل مخاطر على سلامة الأرض التي بنيت عليها مجتمعات قطاع غزة، المنطقة الأكثر كثافة سكانية في العالم، وإذا انهارت تحت المناطق المبنية، فقد يؤدي ذلك إلى سقوط المباني المتبقية فوقها أيضاً".²⁹

وفصّل تحقيق بمجلة "الحكم المسؤول Responsible statecraft" الإلكترونية التابعة لمعهد كوينسي Quincy Institute الأمريكي في 2024/1/13، "كيف تجعل الحرب الإسرائيلية قطاع غزة غير صالح للعيش على نحو متزايد لأجيال قادمة". ومما جاء فيه: "إن الاستراتيجية التي تتبناها إسرائيل حالياً لإغراق الأنفاق سوف تتسبب في أضرار لا يمكن إصلاحها، ويبدو أن هذا جزء من هدف إسرائيلي أوسع من تفكيك قدرات حماس العسكرية، يشمل زيادة تدهور وتدمير طبقات المياه الجوفية في غزة". ويسوق التقرير اعتراف مسؤولين إسرائيليين علناً بأن هدفهم هو ضمان أن تصبح غزة مكاناً غير صالح للعيش بمجرد إنهاء حملتهم العسكرية. ولبيان خطورة الأمر، ينقل التقرير عن المهندس عبد الرحمن التميمي، مدير مجموعة الهيدرولوجيين الفلسطينيين، توضيحه بأن غمر الأنفاق بالمياه الجوفية الملوثة سيتسبب في تراكم الأملاح وانهيار التربة، مما يؤدي إلى هدم آلاف المنازل الفلسطينية في القطاع المكتظ بالسكان، وسيصبح قطاع غزة منطقة خالية من السكان، وسوف يستغرق الأمر نحو 100 عام للتخلص من الآثار البيئية لهذه الحرب، وبعبارة أخرى، وفق التميمي، إن "إسرائيل" الآن تقتل البيئة.³⁰

وخلال جلسة لمجلس الأمن Security Council في 2024/1/13، صنّف مندوب روسيا الدائم لدى الأمم المتحدة فاسيلي نيبينزيا Vasily Nebenzya، إغراق الأنفاق

في قطاع غزة بأنه أحد عناصر الإبادة الجماعية، مبيناً أن عواقب تلك العملية "ستبقى قائمة لمدة قرون، وأنها تهدد بكارثة بيئية واسعة، وستجعل أرض القطاع غير صالحة للعيش فيها عملياً".³¹

يضاف إلى هذه العوامل المدمرة لبيئة قطاع غزة، قيام "إسرائيل" بتسميمه من الأعلى، إذ تعرض مقاطع الفيديو التي حللتها منظمة العفو الدولية Amnesty International، وأكدتها صحيفة واشنطن بوست، لقطات من قنابل الفوسفور الأبيض التي تنهمر على المناطق الحضرية المكتظة بالسكان، وهي مادة بالإضافة إلى سُميّتها الشديدة للإنسان، إلا أن تركيزات كبيرة منها لها أيضاً الآثار الضارة ذاتها على النباتات والحيوانات، ويمكن أن تخرب تكوين التربة، كأن تجعلها حمضية للغاية وضارة بزراعة المحاصيل.³²

ادعاءات إسرائيلية واهية مدحوضة:

في كل الحالات التي سُئل فيها المسؤولون الإسرائيليون عن سبب كل هذا الدمار لقطاع غزة، كانت تعليلاتهم أن الأمر ناجم عن اختباء حماس، المقاومة، وراء الأهداف التي قُصفت، ورفضها الاستسلام. وكمثال، زعم المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي دانيال هغاري Daniel Hagari دניאל הגרי أنه:

كجزء من تدمير القدرات العسكرية لحماس، تنشأ حاجة عملياتية، لتدمير أو مهاجمة المباني التي تضع فيها المنظمة (الإرهابية) البنية التحتية القتالية، وهذا يشمل أيضاً المباني التي حولتها حماس بانتظام لأغراض قتالية، مثل المباني التي يتم فيها حفر الأنفاق، كجزء من الشبكة العسكرية المتفرعة تحت الأرض، وفي الوقت نفسه، تستخدم حماس عسكرياً بشكل منهجي المباني العامة التي من المفترض أن تستخدم لأغراض مدنية، بما في ذلك المباني الحكومية والمؤسسات التعليمية والمؤسسات الطبية والمباني الدينية.³³

وعلى منوال هذه المزاعم، يستبعد اللواء الاحتياط يائير جولان Yair Golan יאיר גולן أن تكون الفكرة الرئيسية الإسرائيلية هي تدمير أكبر عدد ممكن من المنازل، حتى لا يكون لديهم مكان يعودون إليه. وعزا جولان التدمير الواسع في القطاع إلى



أن "الجيش الإسرائيلي لم يتدرب كثيراً في السنوات الأخيرة، وسيطرت عليه ثقافة إطلاق النار لأنها ممكنة، وجاء الدمار في غزة نتيجة الموقف اللامبالي؛ هذا هو الوضع، أنتم (حماس) جلبتموه على أنفسكم، وهذه هي النتائج". ومن الحوادث التي تفضح تلك المزاعم، كان التدمير يهدف أيضاً إلى "تشكيل" المشهد الطبيعي في غزة ليتناسب مع خطط الجيش. فمثلاً، قام الجيش بتفجير 56 منزلاً في الشجاعية، وقال قائد اللواء في وثيقة منشورة: "اللواء 828 يودّع الشجاعية، وهنا يبدأ النصر. هنا حي المرحوم الشجاعية. ستستمتعون (مخاطباً مستوطني غلاف غزة) بإطلالة على البحر".³⁴

تكشف هذه التصريحات والأعمال ومثيلاتها عن قصدٍ عنيد لإدخال تغيير جذري على معالم قطاع غزة، من قبل "الجيش الأكثر أخلاقية في العالم"!! الذي لا يكتفي بالقتل والتدمير، بل يرقص المنتسبون إليه أيضاً على الدم والركام، ويحتفلون بما يقومون به.

وصار من الواضح، لدى قراءة المشهد العام عن حجم الدمار الذي ألحقه العدوان الإسرائيلي بقطاع غزة، وأن القطاع يتعرض إلى حالة من "إبادة المكان"، من ناحية قابلية القطاع لتلبية متطلبات الحياة العادية لسكانه. وهي حالة تُنبئ عنها المفردات العبرية الشائعة المستخدمة في التصريحات والتقارير الصحفية، والتي يتعذر عملياً الإحاطة التامة بها، وتكفي للدلالة على المطلوب إسرائيلياً، كلمات مثل: 567 تدمير - השמדת إبادة - מחוק محو - להסלק إزالة - משטח تسطیح، وسواها. وهي مفردات مناسبة لتعرية طبيعة الهدف الإسرائيلي النهائي لمستقبل قطاع غزة، المتمثل بجعله غير صالح للسكن، بالتكامل مع مواصلة تهجير سكانه. وثمة شهادات كثيرة عرضت في هذا الإطار؛ لقد أفاد عشرات الممثلين عن الأمم المتحدة، بأن "حجم الدمار في المنازل والمستشفيات والمدارس والمساجد والمخابز والبنى التحتية والمجاري والكهرباء وسواها، يجعل استمرار الوجود الفلسطيني في غزة أمراً مستحيلًا".³⁵

وقال المتحدث باسم وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) United Nations Relief and Works Agency for Palestine Refugees in the Near East (UNRWA) عدنان أبو حسنة، في حوار أجراه معه موقع أخبار الأمم المتحدة: "يجري تحويل القطاع لمكان غير صالح للعيش".³⁶

وذكر تقرير مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة UN Human Rights Council في 2024/1/11، أن المنازل والبنية التحتية في قطاع غزة دُمّرت تماماً، وأنه لم يبقَ أي أمل للفلسطينيين في العودة إلى ديارهم، وهذا تكرار لتصرفات "إسرائيل" التاريخية فيما يتعلق بتهجير الفلسطينيين من منازلهم.³⁷

وصرّحت مقررّة الأمم المتحدة الخاصة المستقلة المعنية بحالة حقوق الإنسان في الأرض الفلسطينية المحتلة، فرانشيكا ألبانيز Francesca Albanese، لصحيفة هآرتس في 2024/1/14، أن "إسرائيل تخلق ظروفاً تجعل الحياة مستحيلة في غزة".³⁸ حتى في الجانب الإسرائيلي، هناك من اعترف بأن سلوك الجيش يوجد الانطباع بأن التدمير المتعمّد لمدينة غزة ومحيطها هو في الواقع أحد الأهداف غير المكتوبة للعملية في غزة، ولا يقتصر الأمر على الدمار الناتج عن القنابل التي تهدف إلى "تليين" الأهداف قبل دخول القوات البرية إليها أو الدمار الذي يحدث في أثناء المعركة. بل واصل الجيش عمليات تدمير مكثفة حتى بعد إعلان "السيطرة العملياتية" على مناطق مختلفة في شمالي القطاع.³⁹

دعوات إسرائيلية صريحة لجعل التدمير في خدمة التهجير:

بالتوافق مع الحرب على قطاع غزة، نشطت في الأوساط الإسرائيلية المختلفة، الحكومية والحزبية والإعلامية والعامة، دعوات لترحيل سكان القطاع، تارة بشكل صريح وأخرى عبر تسمية "الهجرة الطوعية" التي تأتي عملياً جراء ممارسات الاحتلال فتغدو بالحقيقة قسرية.

وإلى جانب الخطط التي وضعتها جهات إسرائيلية متعددة، انفلتت التصريحات التي تشدّد على ضرورة البقاء الإسرائيلي في قطاع غزة ومنع عودة سكان المناطق الشمالية والوسطى التي هُجّروا منها، مع دعوات للترانسفير وللإستيطان الإسرائيلي في القطاع.

على هذه الخلفية يتعيّن أن توضع عمليات التدمير الإسرائيلي في القطاع، حيث يبدو واضحاً أنه لا مجال للتفكير ببقاء مناطق صالحة لعودة سكانها. وبتعبيرات ألوف بن Aluf Benn אלוף בן، رئيس تحرير صحيفة هآرتس: "إلى أين سيعودون؟



لن تكون لديهم منازل ولا شوارع ولا مؤسسات تعليمية ولا متاجر، ولا أي من البنى التحتية الأخرى في مدينة عصرية“.⁴⁰

اتصالاً بهذه النتيجة، غدت دعوات القضاء على قطاع غزة بمثابة ”فولكلور أو موضة“ في الأوساط الإسرائيلية. ولما كان من الصعب إحصاء هذه الدعوات، في هذا الحيز الدراسي المحدود، فإن إيراد بعض العناوين والخلاصات المتعلقة بذلك يكشف عن ارتباط التدمير بالتهجير، وهذه بضعة أمثلة:

• توجه رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو إلى زعماء في العالم، وطلب منهم إقناع الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي باستيعاب اللاجئين من غزة في مقابل شطب ديون مصر لدى البنك الدولي.⁴¹

• نشر موقع ”مكيموت Mekomit“ في 2023/10/28، نصّ وثيقة لوزارة المخابرات الإسرائيلية، مؤرخة في 2023/10/13، توصي بالترحيل القسري لسكان قطاع غزة إلى سيناء بشكل دائم، وتدعو إلى تسخير المجتمع الدولي للتحرك، وتقترح الترويج لحملة مخصصة لسكان غزة من شأنها تحفيزهم على الموافقة على الخطة.⁴²

• كتب الحاخام ميخائيل فوآه Michael Pua מִיכָאֵל פּוֹאָה، مدير حركة ”قيادة يهودية Jewish Leadership“ מנהיגות יהודית: ”يجب تقويض غزة، ويجب طرد السكان الذين نما من داخلهم الوحش المسمى حماس... المال الذي وُظف في إخلاء غوش قطيف، كان يمكن أن يوظف في تشجيع عائلات غزة على الهجرة إلى أماكن كثيرة في العالم تريد استقبالها“.⁴³

• قال ما يسمى وزير التراث الإسرائيلي عميحي إيلياهو Amichai Eliyahu לאמיחי אליהו، في مقابلة مع إذاعة كول باراما Kol Barama في 2023/11/5، عن إسقاط القنبلة الذرية على غزة: ”هذا أحد الاحتمالات“. وأضاف: ”لا مكان لقطاع غزة“. وعن المواطنين الفلسطينيين قال: ”فليذهبوا إلى إيرلندا أو إلى الصحارى، وليتولّ الوحوش في غزة مهمة الحل بأنفسهم“.⁴⁴

• اقترح عضوا الكنيست رام بن باراك Ram Ben-Barak، من حزب يش عتيد Yesh Atid = يوجد مستقبل، وداني دانون Danny Danon، من حزب الليكود Likud، في مقال مشترك في صحيفة وول ستريت جورنال في 2023/11/13، ”مبادرة للإخلاء

الطوعي لعرب غزة إلى دول العالم"، وطلباً من الغرب أن يرحب بلاجئي غزة، فأوروبا وأمريكا استقبلت الملايين الذين فروا من الحروب السابقة.⁴⁵

• قال نائب رئيس الكنيست وعضو لجنة الخارجية والأمن عضو الكنيست نيسيم فاتوري Nissim Vaturi ניסים ואטורי، من حزب الليكود، في حديث لإذاعة الشمال Radio North في 2023/11/28: "يجب إجلاء سكان غزة باتجاه الغرب، ووضع السفن هناك وأخذهم، وإرسالهم إلى البلدان التي تريد استقبالهم... أنا على استعداد لوضعهم على متن السفن، للمغادرة".⁴⁶

وفي تصريح آخر، دعا فاتوري إلى محو قطاع غزة من على وجه الأرض. وظهر في مقطع على يوتيوب YouTube في 2023/12/26، بالصوت والصورة يقول فيه: "לשרוף את עזה, يجب حرق غزة".⁴⁷

• ذكر تقرير لموقع "ذا تايمز أوف إسرائيل The Times of Israel" في 2024/1/3، أن رئيس الحكومة نتنياهو أعلن في جلسة لحزب الليكود أنه يعمل على الدفع بفكرة الهجرة الطوعية لسكان غزة إلى دول أخرى. وقالت وزيرة الاستخبارات غيلا جملئيل Gila Gamliel: "يجب عدم إبقاء السكان في قطاع غزة، لأنهم يتربون على الكراهية المستمرة لإسرائيل". وقال مسؤول كبير في الكابنيت Cabinet، المجلس الوزاري السياسي الأمني المصغر: "ستكون الكونغو على استعداد لاستقبال مهاجرين، ونحن نجري مفاوضات مع دول أخرى". وكشف التقرير، أن كل وزراء حزبي "الصهيونية الدينية Religious Zionism" و"عوتسما يهوديت Otzma Yehudit" يدعمون برنامج الهجرة الطوعية لسكان قطاع غزة ويروجون له، واليوم هناك وزراء وأعضاء كنيست في الليكود راحوا يروجون لفكرة "الترانسفير = الترحيل".⁴⁸

• في مؤتمر "اللوبي لتعزيز وعي النصر الإسرائيلي השדולה לחיזוק תודעת הניצחון הישראלי" الذي عقد في الكنيست في 2024/1/3، قال عضو الكنيست تسفي سوكتوت Zvi Sukkot זבי סוקוט، من الصهيونية الدينية: "يجب علينا أولاً الاحتلال والضم وتدمير كل البيوت هناك وبناء أحياء كبيرة ومستوطنات كبيرة تسمى على أسماء أبطال الشعب الذين قاتلوا هناك". وقال عضو الكنيست أوهاد طال Ohad Tal אוהד טל، من الصهيونية الدينية: "هدف الحرب هو السيطرة الكاملة على قطاع غزة، غزة كانت جزءاً من دولة إسرائيل، ويجب أن تعود لتكون جزءاً من أرض دولة إسرائيل".⁴⁹



- قال وزير المالية، رئيس حزب الصهيونية الدينية، بتسلئيل سموتريتش Bezalel Smotrich בצלאל סמוטריץ: "بالإضافة إلى تشجيع الهجرة، ستسيطر إسرائيل بشكل دائم على أراضي قطاع غزة لضمان الأمن". وقال وزير الأمن القومي إيتمار بن جفير Itamar Ben-Gvir איתמר בן גביר، رئيس حزب عوتسما يهوديت = قوة يهودية: "سنفعل ما هو الأفضل لدولة إسرائيل؛ يجب علينا تعزيز الترويج لحل لتشجيع هجرة سكان غزة".⁵⁰
- دعت السفارة الإسرائيلية لدى المملكة المتحدة تسيبي هوتوفلي Tzipi Hotovely ציפי חוטובלי، إلى تدمير كل مبنى في غزة، خلال برنامج إذاعي في 2024/1/4. وتساءلت: "هل لديكم حل آخر؟".⁵¹
- قال عضو الكنيست من "عوتسما يهوديت" يتسحاق كروزر Yitzhak Kroizer יצחק קרוזר: "يجب هدم القطاع بأكمله والحكم بالإعدام على كل من فيه".⁵²
- قال الصحفي ومقدم البرامج عيدان ماراش Idan Marash: "يجب أن تكون غزة كومة خراب".⁵³
- جاء في مقال لجيورا إيلاند Giora Eiland גיורא אילנד، لواء احتياط رئيس مجلس الأمن القومي الإسرائيلي الأسبق: "ليس أمام دولة إسرائيل خيار سوى جعل غزة مكاناً يستحيل العيش فيه".⁵⁴
- من بين السياسيين والشخصيات العامة، من اليمين وسواه، الذين جعلوا من تدمير مدينة غزة أحد أهداف الحرب؛ اقترح عضو الكنيست تسفي فوغل Tzvika Foghel צבי פוגל من حزب "عوتسما يهوديت = قوة يهودية" "تحويل شمال قطاع غزة بأكمله إلى منطقة استيطان يهودية". ووصف اليميني يوأف سوريك Yoav Sorek יואב סורק على موقع "هاشيلواح Hashiloach השילוח" كيف سيبدو شمال قطاع غزة في سنة 2027: "كان لا بد من محو غزة". وباعتقاد سوريك؛ الشيء الوحيد الذي سيبقى منها هو متحف في ذكرى النكبة التي ستقام على أنقاض مخيم جباليا للاجئين. واقترح رجل الأعمال أورين دوبرونسكي Oren Dobronsky אורן דוברונסקי، نجم برنامج الواقع "هكريشيم The Sharks הכרישים"، "تدمير غزة من الألف إلى الياء، وتحويلها إلى أشهر موقف سيارات في العالم".⁵⁵

• في 2024/1/28 عُقد في ما يسمى ”مباني الأمة The Nation’s Buildings“ بالقدس الغربية المحتلة، مؤتمر ”العودة إلى غزة החזרה לגزة“، بمشاركة 12 وزيراً و15 عضو كنيسة، من الائتلاف الحكومي، وبحضور آلاف الأشخاص، نظّمه ائتلاف منظمات من أجل الاستيطان في قطاع غزة، تحت شعار ”الاستيطان يحقق الأمن والنصر“، تمّ فيه توقيع ”وثيقة إعادة الاستيطان الإسرائيلي في قطاع غزة“، وكان الموضوع الرئيسي الثاني فيه هو الترانسفير لسكان قطاع غزة.⁵⁶

تدمير المباني خلال الحرب في المنظر القانوني:

تحظر المادة 53 من اتفاقية جنيف الرابعة Geneva Convention IV، الموقّعة سنة 1949، أي تدمير تقوم به دولة الاحتلال للممتلكات العقارية أو الشخصية المملوكة بشكل فردي أو جماعي لأشخاص عاديين، أو للدولة، أو للسلطات العامة الأخرى، أو للمنظمات الاجتماعية أو التعاونية.⁵⁷

وبالانتقال إلى التطبيق، بدأت لمحات من قتل المناطق في الظهور في الأنظمة القانونية، بعد مأساة البلقان خلال التسعينيات، ووجهت المحكمة الجنائية الدولية International Criminal Court ليوغوسلافيا السابقة الاتهام إلى الرئيس الصربي سلوبودان ميلوسيفيتش Slobodan Milošević تهمة ”التدمير المتعمّد wanton destruction“ للمواقع الدينية والمعالم الثقافية لأهل كوسوفو. وفي القضايا التي رفعتها المحكمة ضدّ العديد من القادة العسكريين، أدمجت مفاهيم الإبادة الحضرية في قضايا الإبادة الجماعية – شقيقتها الأكبر والأقبح.⁵⁸

ولجأت اللجنة الثالثة، وهي واحدة من ست لجان رئيسية في الجمعية العامة للأمم المتحدة United Nations General Assembly، تتعامل مع حقوق الإنسان والشؤون الإنسانية والشؤون الاجتماعية، إلى حثّ الدول على تصنيف جرائم قتل المنازل كجرائم حرب.⁵⁹

وبالتوازي مع ذلك، راحت الأوساط الأكاديمية الدولية تحاول الترويج لنوع جديد من الجرائم ضدّ الإنسانية في القانون الدولي، وهو مفهوم كان موجوداً منذ عقود ولكن لم يتم الاعتراف به رسمياً في القانون الدولي، وهو ”دوميسايد“ الذي يصف التدمير المتعمّد للبنية التحتية المدنية في منطقة معينة، من أجل جعل المنطقة غير



صالحة للسكن والاستيطان، ومن ثم إجبار سكانها على الهجرة إلى مكان آخر، وإذا تمّ اعتماده في القانون الدولي سيعدّ جريمة حرب، تنطبق على الدول، أو جريمة ضدّ الإنسانية، تنطبق على الجميع.⁶⁰

موقف المقرر الأممي راجاغوبال:

من المتعارف عليه دولياً أن "مقرر الأمم المتحدة الخاص المعني بالحقوق في السكن اللائق" بالاكريشنان راجاغوبال Balakrishnan Rajagopal، يأتي على رأس قائمة الشخصيات القانونية الدولية المرجعية في مسألة "إبادة المكان". وبصفته هذه، أعدّ مذكرات يمكن الاستناد إليها بهذا الخصوص منذ توليه منصبه في 2020/5/1. ومما يضيف على شخصيته مصداقية وخبرة تخصصية، عمله السابق كأستاذ للقانون والتنمية في قسم الدراسات والتخطيط الحضري في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT) Massachusetts Institute of Technology، وعمله كخبير في العديد من مجالات حقوق الإنسان، بما في ذلك الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومنظومة الأمم المتحدة، وتحديات حقوق الإنسان التي تطرحها الأنشطة التنموية.⁶¹

من الوثائق العامة التي يمكن التوقف عندها، في أي حالة مدروسة لتدمير المباني، تقرير قدّمه راجاغوبال إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة في تشرين الأول/أكتوبر 2022، أكد فيه وجوب التوقف عند التدمير المنهجي وواسع النطاق لمساكن المدنيين في أثناء النزاع، ووضع حدّ لهذه الظاهرة، التي يجب أن نطلق عليها "قتل المنازل". ويومها قدّر راجاغوبال "أن هناك فراغاً قانونياً مهماً للغاية يجب ملؤه على هذا المستوى". ودعا المجتمع الدولي إلى الاعتراف بهذه الانتهاكات الخطيرة للقانون الدولي باعتبارها "جرائم قتل"، وهي جريمة متميزة بموجب القانون الجنائي الدولي، على الرغم من أنه في الوقت الحالي، لا يعدها القانون الدولي جريمة ضدّ الإنسانية. وقال راجاغوبال: "رأيت كيف يحدث تدمير منزل في ثوانٍ معدودات، وتحويله إلى أنقاض، وهو تنويع لجهد العمر، ومدخرات لعائلات بأكملها، مع الذكريات والشعور بالانتماء إلى مكان ما". وتابع: "إن هذا القتل للمنزل يسبب صدمة اجتماعية ونفسية يصعب عليّ وصفها أو حتى تخيلها".⁶²

وحسب تقرير إسرائيلي في 2023/12/31، تطرّق راجاغوبال، في مقابلة مع صحيفة الغارديان، إلى تدمير مجتمعات الروهينجا في ميانمار، وأثار الحاجة إلى إنشاء فئة

”قتل المنازل“، وتدمير الفضاء الحضري، باعتباره جريمة ضد الإنسانية، حيث لا توجد اليوم إشارة مباشرة إلى مثل هذه الحالة في القانون الدولي.⁶³

على الرغم من هذه الإشكالية القانونية، تطرّق راجاغوبال لحالة التدمير الإسرائيلي في قطاع غزة، من منظور قانوني، ونقلت ”وكالة فرانس Agence France-Presse (AFP)“ في 2023/11/8 عنه قوله: ”إن القصف واسع النطاق والمنهج للمساكن والبنية التحتية المدنية في غزة يرقى إلى مستوى جريمة حرب وجريمة ضد الإنسانية، وإن الهجمات الإسرائيلية على أهداف داخل قطاع غزة أدت - حتى ذلك الحين - إلى تدمير أو إتلاف 45 بالمائة من جميع الوحدات السكنية في القطاع، وهذا التدمير يأتي بتكلفة هائلة في الأرواح البشرية“. وشدد راجاغوبال على أن ”هذا القصف للمساكن والأعيان المدنية والبنية التحتية محذور بشكل صارم بموجب القانون الدولي، وأن تنفيذ الأعمال العدائية مع العلم بأنها ستؤدي بشكل منهجي إلى تدمير وإتلاف المساكن المدنية والبنية التحتية، مما يجعل مدينة بأكملها - مثل مدينة غزة - غير صالحة للسكن للمدنيين هو جريمة حرب“. وأضاف أنه ”عندما تكون هذه الأعمال موجهة ضد السكان المدنيين، فإنها ترقى أيضاً إلى مستوى الجرائم ضد الإنسانية“.⁶⁴

وتحت عنوان ”دوميسايد: مقرر الأمم المتحدة يطالب بمساءلة إسرائيل عن تدمير غزة“، نقلت ”وكالة الأناضول Anadolu Ajansı“ عن راجاغوبال، في مقابلة معه، نشرتها في 2023/12/11، قوله: ”إن تدمير المساكن في غزة كان على نطاق لم نشهده في أي صراع في الآونة الأخيرة، ونحن نتحدث عن الدمار على نطاق غير مفهوم بالمعنى الحرفي للكلمة“. وقال:

إن تدمير المنازل أمر معترف به بموجب اتفاقية جنيف، لكن هذا ينطبق فقط على النزاعات المسلحة الدولية، وهناك ثغرة في الحماية عندما يتعلق الأمر بالنزاعات المسلحة غير الدولية، وهذا ليس صراعاً بين دولتين ذات سيادة، وقد يكون من الجيد الإشارة إلى أن ما يحدث في غزة ليس صراعاً بين دولتين ذاتي سيادة لأنها أرض تحت احتلال إسرائيل، ومن المهم جداً أن ندرك إذن أن تدمير المنازل خلال هذا النوع من الصراعات يعد أيضاً جريمة.

وشدد على ”ضرورة الاعتراف رسمياً بأن قتل المنازل هو جريمة قائمة بذاتها، والتمكن من التعبئة بشكل جماعي لإدخال تعديل على نظام روما الأساسي لإدخال جريمة قتل المنازل، بحيث يكون من الممكن فعلياً محاسبة دول مثل إسرائيل“. وفيما



يتعلّق بالطبيعة العشوائية للهجمات الإسرائيلية، أشار راجاغوبال إلى بيان المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية كريم خان Karim Khan، الذي أوضح أن الأماكن الدينية والمدارس ومخيمات اللاجئين التابعة للأمم المتحدة هي مواقع محمية، إلى جانب المنازل. وأضاف: ”إنها جميعها أعيان تتمتع بوضع مدني بموجب القانون الدولي وتدميرها ليس مسوّغاً بالضرورة العسكرية“. وأشار راجاغوبال إلى أن ”إجلاء الناس إلى التشرّد محظور بشكل قاطع بموجب قانون حقوق الإنسان، وعمليات الإخلاء في فصل الشتاء محظورة بشكل خاص لأنها تؤدي في نهاية المطاف إلى التسبب في معاناة إنسانية هائلة، وغالباً ما تنجم وفيات عن تعرض الأشخاص للعوامل الجوية“.⁶⁵

المساءلة والمحاسبة القانونية الدولية الواجبة لـ ”إسرائيل“:

توظيفاً لما تقدم من أحداث وشهادات وقراءات، وسواها من هذا القبيل، يتعيّن التوقف عند المادة الثانية في ”اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها“، التي اعتمدها الجمعية العامة للأمم المتحدة بقرارها 260 أ-3، وصدّقتها في 1948/12/9، وبدأ نفاذها في 1951/1/12، حيث نصّت هذه المادة على ما يلي:⁶⁶

في هذه الاتفاقية، تعني الإبادة الجماعية أيّاً من الأفعال التالية، المرتكبة على قصد التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية، أو إثنية، أو عنصرية، أو دينية، بصفاتها هذه:

(أ). قتل أعضاء من الجماعة،

(ب). إلحاق أذى جسدي أو روحي خطير بأعضاء من الجماعة،

(ج). إخضاع الجماعة، عمدًا، لظروف معيشية يراد بها تدميرها المادي كلياً أو جزئياً،

(د). فرض تدابير تستهدف الحؤول دون إنجاب الأطفال داخل الجماعة،

(هـ). نقل أطفال من الجماعة، عنوة، إلى جماعة أخرى.

من أجل جعل التدمير الإسرائيلي في قطاع غزة، ينتمي إلى هذه الأفعال، يُفترض أن تنشط الجهات القانونية الفلسطينية والعربية والدولية الصديقة أو المحايدة في مجال التكيف القانوني لهذا النص، من أجل حلّ أي إشكالية تتعلق بمكانة الوقائع

التدميرية (تدمير أو قتل المنازل (دوميسايد) + إبادة المناطق الحضرية (أوربسايد)) فيه. أي ينبغي الاشتغال على انتماء هذه الوقائع إلى الأفعال المنصوص عليها في المادة الثانية، وخصوصاً الفقرتين ب وج. ومن شأن النجاح في اشتغال هاتين الفقرتين بشكل صريح على الوقائع المذكورة أن يرفد دعوى ”الإبادة الجماعية“ التي تدرسها محكمة العدل الدولية بمزيد من الشواهد والأدلة الدامغة التي تُدين ”إسرائيل“. ولعلّ مما يعطي هذا الأمر زخماً يقربه من التحقق، هو وجود دعوات دولية كثيرة تطالب بمساءلة ”إسرائيل“، ومحاسبتها على جريمة التدمير التي تقتربها بحق قطاع غزة.

خاتمة:

يُستشفّ مما تقدّم أنه يُراد من التدمير الإسرائيلي في قطاع غزة؛ فصم عُرى الارتباط الوثيق بين الناس والمكان الذي يعيشون فيه، أي عملية إبادة طرقيّ الوجود الفلسطيني المادي. وإذا كانت هذه الإبادة ترمي إلى تحقيق مقولة مستقبلية من قبيل عبارة ”ما كان يُسمى قطاع غزة“، فإن ثمة درساً تاريخياً لا يمكن إغفاله، هو أن حوادث استشهاد الناس واستشهاد مبانيهم تعدّ أثماً باهظة، اعتاد الشعب الفلسطيني عليها في مسيرته النضالية المديدة، ولكنه اعتاد أيضاً، بعد كل كارثة أو مصيبة، على مواصلة إصراره للبقاء في وطنه، مجسداً أسطورة طائر الفينيق الذي ينهض من الرماد.

وخلافاً لكل المراهات الإسرائيلية، بشأن تحويل قطاع غزة إلى مكان غير صالح للعيش فيه، تبرز حقيقة راسخة هي أن حسابات المدى الاستراتيجي، لا تتطابق بالضرورة مع حسابات الحالة الجارية. وعلى صلة بذلك، من المؤكد أن مواطني القطاع سيتعاملون مع تدمير المكان بإرادة الحياة وبامتلاك القدرة لمواصلة تأمين عوامل بقائهم فيه.

وغنيّ عن البيان أن التحدي الماثل حالياً على الساحة الفلسطينية يتركز حول قضايا جوهرية، في مقدمتها: مواجهة العدوان وهزيمته، والحفاظ على الوجود، ورفض التهجير، وإعادة البناء، ومواصلة النهج المقاوم، والدفاع عن عدالة القضية في المحافل الدولية. وهو ما يستوجب توظيف جميع الطاقات الذاتية والتحالفية والارتقاء بها، لمراكمة عوامل الصمود والانتصار الواعدة على مدى ”زمن الأفراد“ و”زمن المجتمعات“.



الهوامش

¹ انظر: إبراهيم عبد الكريم، التدمير الإسرائيلي في قطاع غزة: دراسة حالة في "إبادة المكان"، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2024/3/11.

² Martin Coward, *Urbicide: The politics of urban destruction* (USA and Canada: Routledge, 2009), <https://urbanisticaeretica.files.wordpress.com/2015/10/2009-urbicide-the-politics-of-urban-destruction-martin-coward.pdf>

³ Martin Coward, "Urbicide: The Politics of Urban Destruction," *Global Discourse* journal, vol. 1, issue 2, January 2010, pp. 186–189, https://www.researchgate.net/publication/270847619_Urbicide_The_Politics_of_Urban_Destruction_By_Martin_Coward

⁴ Kenneth Hewitt, "Proving Grounds of Urbicide: Civil and Urban Perspectives on the Bombing of Capital Cities," *ACME: An International E-Journal for Critical Geographies*, vol. 8, issue 2, 2009, pp. 340–375, <https://acme-journal.org/index.php/acme/article/view/835/692>

⁵ Charlie Lawrence, "Urbicide: the killing of a city is an attack on the human condition," site of City Monitor, 23/1/2018, <https://citymonitor.ai/environment/urbicide-killing-city-attack-human-condition-3617>

⁶ John Douglas Porteous and Sandra Eileen Smith, *Domicide: The Global Destruction of Home* (McGill-Queen's Press - MQUP, 2001), https://books.google.com/books/about/Domicide.html?id=6t_KSifEnsC

نُشر الكتاب مجتزئاً في الرابط التالي:

https://books.google.com/books?id=6t_KSifEnsC&printsec=frontcover&hl=ar#v=onepage&q&f=false

⁷ John Paul Rathbone, "Military briefing: the Israeli bombs raining on Gaza," site of *Financial Times* newspaper, 6/12/2023, <https://www.ft.com/content/7b407c2e-8149-4d83-be01-72dcae8aee7b>

⁸ Patrick Wintour, "Widespread destruction in Gaza puts concept of 'domicide' in focus," site of *The Guardian* newspaper, 7/12/2023, <https://www.theguardian.com/world/2023/dec/07/widespread-destruction-in-gaza-puts-concept-of-domicide-in-focus>

⁹ John Hudson, Louisa Loveluck, Victoria Bisset and Karen DeYoung, "Unguided 'dumb bombs' used in almost half of Israeli strikes on Gaza," site of *The Washington Post* newspaper, 14/12/2023, <https://www.washingtonpost.com/national-security/2023/12/14/israel-unguided-dumb-bombs-gaza>

¹⁰ Robin Stein et. al., "Times Investigation Tracked Israel's Use of One of Its Most Destructive Bombs in South Gaza," site of *The New York Times* newspaper, 21/12/2023, <https://www.nytimes.com/2023/12/21/world/middleeast/israel-gaza-bomb-investigation.html>

¹¹ Thalif Deen, Israeli 2,000-pound bunker busting bombs, supplied by the United States, may have wiped out Gaza — Global Issues, site of Good Word News, 11/12/2023, <https://goodwordnews.com/israeli-2000-pound-bunker-busting-bombs-supplied-by-the-united-states-may-have-wiped-out-gaza-global-issues/>

Israel dropped 65,000 tonnes of bombs on Gaza in 89 days, site of Middle East Monitor¹² (MEMO), 4/1/2024, <https://www.middleeastmonitor.com/20240104-israel-dropped-65000-tonnes-of-bombs-on-gaza-in-89-days/>

¹³ غال حين، كيف تتقدم مهمة إنشاء المنطقة العازلة على حدود غزة؟، موقع القناة 12، 2024/1/23، في: https://www.mako.co.il/news-military/2024_q1/Article-f4f5dc9e4873d81027.htm (باللغة العبرية) (غل حين، أيך מתקדמת משימת הקמתו של "אזור החיץ" בגבול עזה?)

¹⁴ يوآف زيتون، العملية التفجيرية لإنشاء المنطقة العازلة، والتحرك الرئيسي للمناورة، موقع واينت، 2024/1/24، في: <https://www.ynet.co.il/news/article/rkhvmykpa> (باللغة العبرية) (יואב זיתון، המבצע הנפיץ ליצירת אזור החיץ، והמהלך המרכזי של התמרון)

¹⁵ Loveday Morris, Sarah Cahlan and Jonathan Baran, "What to know about Israel's controversial 'buffer zone' in Gaza," *The Washington Post*, 24/1/2024, <https://www.washingtonpost.com/world/2024/01/24/israel-buffer-zone-gaza-war/>

¹⁶ Dov Lieber, David S. Cloud and Anat Peled, "Israel Builds Buffer Zone Along Gaza Border, Risking New Rift With U.S.," site of *The Wall Street Journal*, 25/1/2024, https://www.wsj.com/world/middle-east/israel-border-gaza-buffer-zone-4131020d?mod=hp_lead_pos7

¹⁷ ليران فاينشتاين، اليوم التالي: إسرائيل تروج لإقامة منطقة عازلة في قطاع غزة، موقع سروجيم، 2024/1/25، انظر: <https://www.srugim.co.il> (باللغة العبرية) (לירן פינשטיין، היום שאחרי: ישראל מקדמת אזור חיץ ברצועת עזה)

¹⁸ John Paul Rathbone, "Military briefing: the Israeli bombs raining on Gaza," *Financial Times*, 6/12/2023.

¹⁹ Gaza Destruction Worse Than In WWII Germany: EU's Borrell, site of Barron's, 11/12/2023, [https://www.barrons.com/news/gaza-destruction-worse-than-in-wwii-germany-eu-s-borrell-a2c970bd, sited from Agence France Presse \(AFP\).](https://www.barrons.com/news/gaza-destruction-worse-than-in-wwii-germany-eu-s-borrell-a2c970bd, sited from Agence France Presse (AFP).)

²⁰ Patrick Wintour, "Widespread destruction in Gaza puts concept of 'domicide' in focus," *The Guardian*, 7/12/2023.

²¹ ميرون رابوبورت، هل تنفذ إسرائيل عملية دوميكايد في غزة؟، موقع مكوميت، 2023/12/31، انظر: <https://www.mekomit.co.il> (باللغة العبرية)

(مירון רפובורט، האם ישראל מבצעת דומיסייד בעזה?، מקומית)

²² On 100th day of Gaza genocide: 100,000 Palestinians killed, missing or wounded, site of Euro-Med Human Rights Monitor, 13/1/2014, <https://euromedmonitor.org/en/article/6093/On-100th-day-of-Gaza-genocide:-100,000-Palestinians-killed,-missing-or-wounded>

²³ تقرير: أوقاف غزة: الاحتلال دمّر ألف مسجد وعشرات المقابر واقتل أكثر من مائة داعية، موقع المركز الفلسطيني للإعلام، 2024/1/21، انظر: <https://palinfo.com/news/2024/01/21/873100>

²⁴ Nina Lakhani, Emissions from Israel's war in Gaza have 'immense' effect on climate catastrophe, *The Guardian*, 9/1/2024, <https://www.theguardian.com/world/2024/jan/09/emissions-gaza-israel-hamas-war-climate-change>

Adam Goldman, Ronen Bergman, Patrick Kingsley and Gal Koplewitz, Israel Uncovers More²⁵ of a Subterranean Fortress Under Gaza, *The New York Times*, 16/1/2024, <https://www.nytimes.com/2024/01/16/us/politics/israel-gaza-tunnels.html>

Nancy A. Youssef, Warren P. Strobel, Gordon Lubold, Israel Weighs Plan to Flood Gaza Tunnels²⁶ With Seawater, *The Wall Street Journal*, 4/12/2024, <https://www.wsj.com/world/middle-east/israel-weighs-plan-to-flood-gaza-tunnels-with-seawater-a375dd0b>

روعي شارون، إغراق أنفاق الإرهاب في غزة: أجرى الجيش الإسرائيلي "تجربة" ناجحة في عدة أنفاق، شبكة كان، 2023/12/14، انظر: <https://www.kan.org.il/content/kan-news/defense/655340> (باللغة العبرية) (روعي شارون، הצפת מנהרות הטרור בעזה: צה"ל ערך "פילוט" מוצלח בכמה מנהרות)

نير دفوري، الجيش الإسرائيلي يكشف عن "برنامج أطلانتس": ضخ المياه "بمعدل مرتفع" إلى أنفاق حماس خلال الحرب، موقع القناة 12، 2024/1/30، انظر: https://www.mako.co.il/news-military/2024_q1/Article-d73b817f41b5d81027.htm (باللغة العبرية) (نير دفوري، צה"ל חושף את "תכנית אטלנטיס": הזרמו מים ב"ספיקה גבוהה" למנהרות חמאס במהלך המלחמה)

Damien Gayle and Nina Lakhani, Flooding Hamas tunnels with seawater risks 'ruining basic²⁹ life in Gaza', says expert, *The Guardian*, 23/12/2023, <https://www.theguardian.com/world/2023/dec/23/israel-flooding-hamas-tunnels-seawater-risks-ruining-basic-life-gaza-expert>

Joshua Frank, The poisoning of Gaza — from above and underground, site of Responsible³⁰ Statecraft, 13/1/2024, <https://responsiblestatecraft.org/gaza-environment>

تقرير: نيبينزيا: إغراق الأنفاق في غزة قد يشكل عمل إبادة جماعية، موقع روسيا اليوم، 2024/1/13، انظر: <https://arabic.rt.com>، نقلاً عن وكالة تاس.

Joshua Frank, The poisoning of Gaza — from above and underground, Responsible Statecraft,³² 13/1/2024.

ميرون رابوبورت، هل تنفذ إسرائيل عملية دومييسايد في غزة؟، موقع مكوميت، 2023/12/31. (باللغة العبرية) المرجع نفسه.

يوعنا غونين، الكارثة المستمرة في غزة حقيقية، إليكم صورة الواقع، موقع صحيفة هآرتس، 2024/1/9، انظر: <https://www.haaretz.co.il/opinions/2024-01-09/ty-article-opinion/.highlight/0000018c-ca18-d0e9-a3de-fed2ecf0000> (باللغة العبرية)

(يوعنا غونين، האסון המתגלגל בעזה ממשי להפליא. הנה גרסת המציאות)

باسل مغربي، أُنزوا غزة تتحول إلى مكان غير صالح للعيش، موقع عرب 48، 2024/1/9، انظر: <https://www.arab48.com>

روعي روبنشتاين ونداف إيال وإيتمار أيجنر، اتهمت جنوب أفريقيا بالحكمة في لاهاي: "الدمار في غزة هو احتفالية للجيش الإسرائيلي.."، واينت، 2024/1/11، في:

<https://www.ynet.co.il/news/article/r1mlmep00t#autoplay> (باللغة العبرية)

(روعي روبنشتاين، נדב איל، איתמר אייגנר، דרום אפריקה האשימה בבית הדין בהאג: "ההרס בעזה הוא חגיגה לצה"ל.."، ידיעות אחרונות)

- ³⁸ تقرير: الأمم المتحدة: إسرائيل جعلت الحياة "غير ممكنة" في غزة، موقع نتسيف نت، 2024/1/15، في: <https://nziv.net/101505> (باللغة العبرية)
- (האו"ם: ישראל הפכה את החיים ל"בלתי אפשריים" בעזה)
- ³⁹ ميرون رابوبورت، هل تنفذ إسرائيل عملية نومييسايد في غزة؟، موقع مكوميت، 2023/12/31. (باللغة العبرية)
- ⁴⁰ ألو ف بن، احتلال مدينة غزة والتهجير المؤقت لسكانها هما كاسر التعادل بالنسبة لإسرائيل، هآرتس، 2023/11/13، في: <https://www.haaretz.co.il/news/politics/2023-11-09/ty-article/.premium/0000018b-af67-df42-a78f-af67bf140000> (باللغة العبرية)
- (אלוף בן, כיבוש העיר עזה והגירוש הזמני של תושביה הם שובר השוויון של ישראל)
- ⁴¹ إيتمار أيجنر، اقتراح إسرائيلي جديد: مصر ستستقبل اللاجئين، وسيتم شطب ديونها للبنك الدولي، واينت، 2023/10/31، في: <https://www.ynet.co.il/news/article/hjiyigczt> (باللغة العبرية)
- (איתמר אייגנר, הצעה ישראלית חדשה: מצרים תקלוט פליטים - ויימחק לה חוב בבנק העולמי)
- ⁴² يوفال أبراهام، ورقة سياسات: بدائل التوجيه السياسي للسكان المدنيين في غزة، الوثيقة الكاملة لوزارة المخابرات: احتلال غزة ونقل كامل لسكانها، موقع مكيموت، 2023/10/28، انظر: <https://www.mekomit.co.il> (باللغة العبرية)
- (נייר מדיניות: חלופות לדירקטיבה מדינית לאוכלוסייה האזרחית בעזה, משרד המודיעין)
- ⁴³ ميخائيل فوآه، لتقويض غزة.. يجب أن تنهار غزة، ويجب طرد السكان الذين نشأ منهم هذا الوحش المسمى حماس، موقع القناة 7 "عروتس شيفع"، 2023/10/29، في: <https://www.inn.co.il/news/618272> (باللغة العبرية)
- (מיכאל פואה, למוטט את עזה - את עזה צריך למוטט, ואת האוכלוסייה שממנה צמחה המפלגת הזו ששמה חמאס, צריך לגרש)
- ⁴⁴ الوزير إياهو عن إسقاط القنبلة الذرية على غزة: "هذا أحد الاحتمالات"، موقع كول باراما، 2023/11/5، انظر: <https://kol-barama.co.il> (باللغة العبرية)
- (השר אליהו על הטלת פצצת אטום על עזה: "זאת אחת האפשרויות" - קול-ברמה)
- ⁴⁵ Danny Danon and Ram Ben-Barak, The West Should Welcome Gaza Refugees, Europe and the U.S. accepted millions who fled earlier wars, *The Wall Street Journal*, 13/11/2023, https://www.wsj.com/articles/the-west-should-welcome-gaza-refugees-asylum-seekers-hamas-terrorism-displacement-5d2b5890?mod=article_inline
- ⁴⁶ أريك فرهاد، عضو كنيسة من الليكود: "النقل الطوعي لسكان غزة والضفة هو لمصلحتهم ويجب علينا طردهم"، موقع صحيفة معاريف، 2023/11/28، في: <https://www.maariv.co.il/news/politics/Article-1055553> (باللغة العبرية)
- (אריק ברחד, ח"כ מהליכוד: "טרנספר מרצון לתושבי עזה ויו"ש זה לטובתם, צריך להעזף אותם")
- ⁴⁷ تصريح فاتوري ضمن تقرير: روعي روبنشتاين ونداف إيال وإيتمار أيجنر، اتهمت جنوب إفريقيا بالمحكمة في لاهاي: "الدمار في غزة هو احتفالية للجيش الإسرائيلي.."، يديعوت أحرونوت، 2024/1/11، انظر موقع يوتيوب، في: https://www.youtube.com/watch?v=_03-nwRpEz4

⁴⁸ شالوم يروشاليمي، اتصالات مع الكونغو لاستقبال آلاف من ما يسمى "الهجرة الطوعية" من غزة، موقع "تايمز أوف إسرائيل"، 2024/1/3، انظر: <https://ar.timesofisrael.com>

⁴⁹ نوعاً شبيغل، في الكنيست لم يعودوا يُخفون: الهدف هو هجرة الفلسطينيين من قطاع غزة واستيطان اليهود فيه، هآرتس، 2024/1/3، في: <https://www.haaretz.co.il/news/politics/2024-01-03/ty-article/>.

premium/0000018c-ce7b-d266-a9bf-efb0e200000 (باللغة العبرية)

(نעה شفيغل، בכנסת כבר לא מסתירים: המטרה היא הגירת פלסטינים מהרצועה ויישובה ביהודים)

⁵⁰ دانيال أدلسون وإيتمار أيجنر، دعا بن غفير وسموترتش إلى تشجيع الهجرة من غزة، واينت، 2024/1/3، في:

<https://www.ynet.co.il/news/article/syentxm06> (باللغة العبرية)

(דניאל אדלסון، ניו יורק، איתמר אייגנר، בן גביר וסמוטריץ' קראו לעודד הגירה מעזה، ידיעות אחרונות)

⁵¹ Israeli ambassador to UK calls for the destruction of every building in Gaza, site of Middle East Eye, 4/1/2024, <https://www.middleeasteye.net/live-blog/live-blog-update/israeli-ambassador-uk-calls-destruction-every-school-and-mosque-gaza>

⁵² تقرير: قبل جلسات الاستماع حول الإبادة الجماعية في لاهاي نائب إسرائيلي يكرر دعوته إلى حرق غزة، موقع "تايمز أوف إسرائيل"، 2024/1/7، انظر: <https://ar.timesofisrael.com>

⁵³ عيدان ماراش، ليس لدينا خيار سوى النصر: لا يمكنك ممارسة الدبلوماسية مع منظمة إرهابية، معارف، 2024/1/9، في: <https://www.maariv.co.il/journalists/opinions/Article-1066357> (باللغة العبرية)

(עידן מאראש، אין לנו אפשרות חוץ מניצחון: עם ארגון טרור לא עושים דיפלומטיה)

⁵⁴ جيورا إيلاند، هذا ليس انتقاماً.. إما نحن أو هم، واينت، 2023/10/11، في:

<https://www.ynet.co.il/yedioth/article/yokra13625377> (باللغة العبرية)

(גיורא איילנד، זו לא נקמה. זה או אנחנו או הם، ידיעות אחרונות)

⁵⁵ ميرون رابوبورت، هل تنفذ إسرائيل عملية دوميبياسيد في غزة؟، موقع مكوميت، 2023/12/31. (باللغة العبرية)

⁵⁶ جلعاد كوهين وموران أزولاي، "لتشجيع الهجرة" وتوقيع "معاهدة تجديد الاستيطان في غزة": المؤتمر مع كبار مسؤولي الائتلاف، واينت، 2024/1/28، في:

<https://www.ynet.co.il/news/article/bjxbswvqa#autoplay> (باللغة العبرية)

(גלעד כהן، מורן אזולאי، לעודד הגירה" וחתימה על "אמנת חידוש ההתיישבות בעזה": הכנס עם בכירי הקואליציה، ידיעות אחרונות)

⁵⁷ Amritansh, "The Palestinian Experience of 'Domicide' and its impact on Human Rights in oPt," site of SSRN, 20/12/2023, <https://ssrn.com/abstract=4657985>

⁵⁸ Charlie Lawrence, "Urbicide: the killing of a city is an attack on the human condition," site of City Monitor, 23/1/2018.

⁵⁹ Third Committee Urges States to Classify Domicide, Conflict-Related Starvation, Poverty Wages as War Crimes, Ramp Up National, Multilateral Responses, site of United Nations (UN), General Assembly, 3rd Committee, 78th Session, 30th & 31st Meetings, GA/SHC/4388, 20/10/2023, <https://press.un.org/en/2023/gashc4388.doc.htm>

Patrick Wintour, "Widespread destruction in Gaza puts concept of 'domicide' in focus," *The Guardian*, 7/12/2023.

Gaza: Destroying civilian housing and infrastructure is an international crime, warns UN expert, site of The Office of the High Commissioner for Human Rights (OHCHR), 8/11/2023, <https://www.ohchr.org/en/press-releases/2023/11/gaza-destroying-civilian-housing-and-infrastructure-international-crime>

⁶² حرب إسرائيل وحماس: ما هو "قتل المنزل" الذي تتهم به الدولة العبرية؟، موقع ويست فرانس، 2023/12/18، في: <https://www.ouest-france.fr/monde/gaza/guerre-israel-hamas-quest-ce-quun-domicide-dont-est-accuse-letat-hebreu-7757a3c6-9da7-11ee-83ae-1fd73f8e6449> (باللغة الفرنسية) domicile-dont-est-accuse-letat-hebreu-7757a3c6-9da7-11ee-83ae-1fd73f8e6449 (Camille Descroix, Guerre Israël-Hamas: qu'est-ce qu'un "domicide", dont est accusé l'État hébreu?)

⁶³ ميرون رابوبورت، هل تنفذ إسرائيل عملية دوميسايد في غزة؟، موقع مكوميت، 31/12/2023. (باللغة العبرية)

Massive Destruction of Gaza Housing a War Crime: UN Expert, Barron's, 8/11/2023, ⁶⁴ <https://www.barrons.com/news/massive-destruction-of-gaza-housing-a-war-crime-un-expert-54209488>, cited from Agence France Presse (AFP).

Rabia Ali, 'Domicide': UN rapporteur pushes for Israel's accountability for Gaza destruction, ⁶⁵ site of Anadolu Agency, 11/12/2023, <https://www.aa.com.tr/en/world/-domicide-un-rapporteur-pushes-for-israel-s-accountability-for-gaza-destruction/3079676>

⁶⁶ نص الاتفاقية باللغة العربية في: ما هي اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية: 7 نقاط أساسية، موقع أخبار الأمم المتحدة، 2024/1/11، في: <https://news.un.org/ar/story/2024/01/1127587>



وزن الشؤون الخارجية في الانتخابات الرئاسية الأمريكية طوفان الأقصى نموذجاً¹

أ. د. وليد عبد الحي

مقدمة:

تمثل الانتخابات الرئاسية الأمريكية في كل أربعة أعوام موضع اهتمام عالمي نظراً للوزن الكبير للولايات المتحدة في الشأن الدولي، ولكن الإشكالية التي تستحق التأمل هي تحديد وزن الشؤون الخارجية (النزاعات الدولية، والاقتصاد العالمي، وتوجهات الرأي العالمي، والعلاقة مع القوى الدولية الكبرى، ومواقف المنظمات الدولية، والقانون الدولي... إلخ) في توجهات الناخب الأمريكي عند انتخاب الرئيس.

ويبدو أن الأدبيات السياسية العربية تولى الشأن الدولي وزناً أكبر من الواقع في تحديد الرئيس الأوفر حظاً في الانتخابات من ناحية، وعند تحليلها لسياسات الرئيس في العام الذي تجري فيه الانتخابات من ناحية ثانية، وهو أمر يستوجب التنبيه له عند التخطيط لإدارة العلاقات مع الولايات المتحدة، ناهيك عن ضرورة إدراك الفروق في وزن الشأن الخارجي بين الديمقراطيين والجمهوريين كما سنوضح لاحقاً، إلى جانب أهمية تلمس القيود التي يفرضها الدستور الأمريكي على الرئيس في إدارته للشأن الخارجي، وهو ما تجسّد في الأدبيات السياسية الأمريكية في منظورين هما منظور ألكسندر هاميلتون Alexander Hamilton الذي يقوم على أن الرئيس هو المقرر الرئيسي للسياسة الخارجية، ومنظور جيمس ماديسون James Madison الذي يجعل من الكونجرس Congress صاحب القول الفصل في السياسة الخارجية.²

وسنسعى في هذه الدراسة إلى مناقشة وزن الشأن الخارجي في الانتخابات الرئاسية الأمريكية في تحديد الفائز في الانتخابات، مع تطبيق ما نذكره بشكل كاف على موضوع "طوفان الأقصى".

أولاً: مؤشرات نماذج التنبؤ بالانتخابات الرئاسية الأمريكية:³

عند استعراض قدر وافر من نماذج التنبؤ بالانتخابات الرئاسية الأمريكية (مثل نموذج ري فاير Ray Fair، أو نموذج آلان ليكتمان Alan Lichtman، أو نموذج إبراموفيتش وكامبل أو نموذج وينك Abramowitz and Campbell/ Wink models، أو نموذج كريستوفر وليزين وروبرت إريكسون Christopher Wlezien and Robert Erikson، أو مايكل لويس-بيك وتشارلز تين Michael Lewis-Beck and Charles Tien... إلخ)،⁴ يتبين لنا أن هناك توافقاً واضحاً بين هذه النماذج عند تحديد المؤشرات الأكبر وزناً في توجهات الناخب الأمريكي على النحو التالي: في "جميع" النماذج التي اطلعنا عليها، يتبين أن المتغير الأكثر وزناً في تحديد سلوك الناخب الأمريكي في الانتخابات الرئاسية هو المتغير الاقتصادي الداخلي (وتتمثل مؤشرات الفرعية في معدل الدخل، والضريبة، والأسعار، والتضخم، والفروق الطبقية... إلخ)،⁵ ولا يولي الناخب أهمية كبيرة للوضع الاقتصادي في الفترات القصيرة السابقة على الانتخابات، بل يُنصبُّ على توقعاته المستقبلية لما ستسير عليه الأوضاع الاقتصادية، ولعل ذلك ليس مفصلاً عن النزعة البراجماتية المسيطرة في الثقافة الأمريكية، فالبراجماتية (التي تقوم على أن الفكرة صالحة بمقدار النفع المترتب عليها)⁶ تمثل سنام منظومة القيم الأمريكية، وليس موضوع حقوق الإنسان والعدالة والحرية، التي يجري الترويج لها في أدبيات الدعاية للسياسة الخارجية الأمريكية بشكل كبير.

ولعل الخلط بين نظريات العلاقات الدولية (فهم الاتجاهات الأعظم Mega-trends لسلوك مختلف وحدات النظام الدولي، كالدولة وما دون الدولة وما فوق الدولة، ونظريات السياسة الخارجية (أسس اختيار بدائل القرار العملي لدولة معينة)، هو الأمر الذي يستدعي التنبيه له خصوصاً في الأدبيات الأمريكية التي تكرر فكرة أن تكون وحدة تحليل السياسة الخارجية هي "الأفعال" لا "الأقوال"، أي أن تحليل السياسة الخارجية للولايات المتحدة يجب أن ينصب على "أفعالها" لا "أدبياتها".⁷ وهو ما يعني في حالتنا هذه، ليس تحليل ما يقوله الرئيس الأمريكي في قضية طوفان الأقصى بل ما يفعله.



1. دلت الدراسات العلمية أنه منذ 2010 إلى مطلع 2024، تراوح وزن الشأن الخارجي بين 1-10% فقط في تحديد اتجاهات التصويت عند الناخب الأمريكي، لكن الملفت للنظر أن وزن هذا المتغير يتزايد في اتجاهه العام نظراً لتماهي المتغيرات الخارجية بالداخلية بفعل آليات العولة، لكن هذا المتغير ما زال قاصراً عن أن يحتل مركز المتغير الحاكم في تحديد سلوك الناخب،⁸ فهو دائماً يأتي في المرتبة الأقل من حيث أهمية تحديد قرار الناخب الأمريكي، بعد عدد غير قليل من الموضوعات الداخلية الأخرى، مثل الوضع الاقتصادي، والجريمة، والبيئة، والحقوق المدنية، وحجم الإدارة الحكومية، والإجهاض، والعنصرية... إلخ، لكن الضرورة تقتضي التنبه إلى تزايد وزن هذا المؤشر بشكل خطي في العقدين الماضيين، وهو ما أكدته الديبلوماسيون الأمريكيون أنفسهم.⁹ والملاحظ أن معركة طوفان الأقصى فرضت نفسها على المناقشات والمواقف داخل المجتمع الأمريكي، وأثّرت على توجهات الطيف السياسي داخل الحزبين الأكثر أهمية كما سنوضح لاحقاً، وهو ما يعزز من أثر التكنولوجيا في "عولة الخبر وتداعياته"، وجعلته شأنًا داخلياً بقدر أكبر مما كان عليه الحال سابقاً، ناهيك عن تزايد وشائج الترابط العضوي بين وحدات المجتمع الدولي.

2. إن قرار الناخب الأمريكي هو نتيجة لصورة تراكمية عن المرشحين وليس نتيجة ظرفية للحظة الانتخاب، أي أن الفكرة السائدة عن المرشح هي الأساس في قرار الناخب، وليس المناظرات والدعاية لحظة الانتخابات، فهذه لم يكن لها طبقاً للدراسات الكمية إلا تأثير هامشي على خيارات الناخب الأمريكي بين المتنافسين على الرئاسة.¹⁰

3. إن الاعتماد على استطلاعات الرأي في تحديد الفائز لا يدل على نتائج يُطمأن إليها في التنبؤ، فعند رصد هذه المسألة خلال الانتخابات الرئاسية منذ سنة 1948 (أي بعد الحرب العالمية) إلى سنة 2020، ومقارنة نتائج استطلاعات الرأي ونتائج الانتخابات طيلة هذه الفترة، أظهرت أن الاستطلاعات كانت صحيحة بنسبة تراوح بين 58-60%.¹¹

4. تأثير المرشحين المستقلين محدود للغاية في التأثير على النتائج، فمنذ 1832 إلى الآن كان معدل حصول المرشحين المستقلين في 13 انتخابات رئاسية شارك فيها مرشح مستقل هو 18.5% من الأصوات، مع ملاحظة أن المستقلين يجذبون أصواتهم

من الطرفين المتنافسين، مما يجعل تأثيرهم على النتيجة النهائية محدوداً. وتشهد الانتخابات الرئاسية هذا العام وجود مرشحين مستقلين أبرزهم روبرت كينيدي Robert Kennedy، والذي يعد الأكثر انحيازاً لـ "إسرائيل".¹²

5. إن الحملات الانتخابية قد تُقلص الفارق بين المتنافسين لكنها لا تقلب النتائج (أي لا تجعل المتقدم يخسر تقدمه لكنها تقلص الفارق بينه وبين ما يليه في المرتبة).¹³

6. تشير المعطيات الكمية إلى أن 22 رئيساً ترشحوا للانتخاب لدورة ثانية، فشل منهم 10 (7 جمهوريين و3 ديمقراطيين)، ونجح 12 (6 لكل حزب من الحزبين).¹⁴ أي أن نسبة احتمالات فوز الرئيس (جو بايدن Joe Biden) هي 55% طبقاً لهذه القاعدة.

7. شكّلت الكلية الانتخابية electoral college موضع نقاش كبير في آليات الانتخابات الرئاسية، فالرئيس الأمريكي لا ينتخب مباشرة من الشعب بل من الكلية الانتخابية، ومن بين 58 جولة من الانتخابات الرئاسية في تاريخ الولايات المتحدة فاز 5 رؤساء عبر الكلية الانتخابية، على الرغم من عدم فوزهم في مجموع الأصوات التي حصلوا عليها شعبياً، وهو ما يعني أن نسبة احتمال تغيير الكلية الانتخابية للنتائج هو 8.6%.¹⁵

8. ومن الملاحظات التي يجب التنبيه لها في الانتخابات الرئاسية الأمريكية أنه منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية بدأ الفارق الكمي في الأصوات في الانتخابات بين المرشحين يتضاءل منذ 1945 إلى 2020، كما يتضح في جدول رقم 1.¹⁶

جدول رقم 1: تراجع الفروق بين المتنافسين في الانتخابات الرئاسية الأمريكية

منذ 1945 إلى 2020

أول عشر انتخابات رئاسية بعد الحرب الثانية	الفائز بفارق أكثر من 9% عن المنافس	الفائز بفارق أكثر من 15% عن المنافس
	6 مرات	4
التسع انتخابات الرئاسية التالية	الفائز بأكثر من 5%	الفائز بأكثر من 5%
	3	1 ¹⁷

ملاحظة: لم يتم حساب الرؤساء الفائزين بالكلية الانتخابية.

ويترتب على انحسار الفارق بين الفائز والخاسر جعل الحراك البسيط في توجهات نسبة محدودة من الرأي العام أمراً قد يغير النتائج كلياً، وهو ما يعطي الشرائح الصغيرة في المجتمع وزناً أكبر، ومن هنا تبدو أهمية تداعيات طوفان الأقصى التي أثّرت على مواقف شرائح معينة في المجتمع الأمريكي، كما سنوضح لاحقاً.

ثانياً: نموذج ليكتمان/بوروك Lichtman/Borok Model

للتنبؤ بالانتخابات الرئاسية:¹⁸

يعد نموذج أستاذ التاريخ الأمريكي آلان ليكتمان Allan Lichtman والجيوفيزيائي الروسي فلاديمير كيليس بوروك Vladimir Keilis-Borok، والذي تمّ نشره سنة 1982، النموذج الأبرز في الدراسات المستقبلية المعنية بالانتخابات الرئاسية الأمريكية، فقد نجح هذا النموذج في التنبؤ الصحيح في تسع انتخابات رئاسية منذ 1984 إلى الآن، أما المرة التي أخطأ فيها فكانت أقرب لنصف الخطأ، لأنه كان صحيحاً في التنبؤ بالانتخاب الشعبي لكن التصويت في "الكلية الانتخابية" أفسد النتيجة (وهي المنافسة بين ألبرت أرنولد غور الابن Albert Arnold Gore Jr المعروف بـ "آل غور Al Gore"، وجورج بوش الابن George W. Bush، حيث كان آل غور فائزاً طبقاً للانتخاب العام الشعبي لكن الكلية الانتخابية غيرت النتيجة، وهو الأمر الذي تكرر سنة 2016 عندما فاز دونالد ترامب Donald Trump بالكلية الانتخابية مقابل فوز هيلاري كلينتون Hillary Clinton بالانتخاب الشعبي، وهو ما تنبأ به نموذج ليكتمان).¹⁹

ويتألف النموذج من 13 مؤشراً تتم الإجابة عليها بنعم أو لا، ويعتمد الفوز على وجود 5 مؤشرات أو أقل ليست في صالح الحزب الحاكم (حزب الرئيس)، وهذه المؤشرات هي:²⁰

1. بعد انتخابات التجديد النصفى لمجلس النواب، يشغل الحزب الحاكم مقاعد في مجلس النواب الأمريكي أكثر مما حصل بعد انتخابات التجديد النصفى السابقة.
2. لا توجد منافسة حادة داخل الحزب الحاكم.
3. مرشح الحزب الحاكم هو الرئيس الحالي.

4. لا يوجد طرف ثالث مهم أو حملة مستقلة.
 5. الاقتصاد ليس في حالة ركود خلال الحملة الانتخابية.
 6. النمو الاقتصادي الفعلي للفرد خلال فترة التنافس يساوي أو يتجاوز متوسط النمو خلال الفترتين السابقتين.
 7. تؤثر الإدارة الحالية على التغييرات الرئيسية في السياسة الوطنية.
 8. لا توجد اضطرابات اجتماعية مستمرة خلال الفترة الراهنة.
 9. الإدارة الحالية غير ملوثة بفضائح كبرى.
 10. لا تعاني الإدارة الحالية من فشل كبير في الشؤون الخارجية أو العسكرية.
 11. تحقيق الإدارة الحالية نجاحاً كبيراً في الشؤون الخارجية أو العسكرية.
 12. مرشح الحزب الحالي يتمتع بشخصية كاريزمية أو بطل قومي.
 13. مرشح الحزب المعارض ليس كاريزمياً أو بطلاً قومياً.
- وعند التمعن في مؤشرات النموذج، يتبين لنا أن المؤشرات الـ 13 موزعة على النحو التالي:

- 5 مؤشرات لها صلة بمؤسسات الدولة.
- 2 مؤشر اقتصادي.
- 2 مؤشر اجتماعي.
- 2 مؤشر في السياسة الخارجية.
- 2 مؤشر شخصي فردي، مع أن النموذج لا يولي المناظرات بين المرشحين أهمية في تحديد النتائج بمقدار تركيزه على المؤهلات العامة للمترشح.

ولعل البيانات السابقة تشير إلى أن نصيب المتغيرات الخارجية هي 2 من 13، أي بنسبة 15.3%، مع الإشارة إلى أن ذلك يستدعي الأخذ في الاعتبار تباين حدة الأزمات الخارجية من فترة لأخرى، فطبيعة الأزمة الخارجية وأثرها على الشأن الداخلي يستوجب التمييز بين حدة وخطورة الأزمة الدولية أو الشأن الخارجي وبين درجة انعكاسها على الشأن الداخلي، فقد تكون هناك أزمة حادة في مكان ما، لكن انعكاسها



على الشأن الداخلي ليس كبيراً (فمثلاً كان تأثير الحرب العربية الإسرائيلية في سنتي 1967 و 1973 على السوق النفطية الأمريكية أكبر كثيراً من فترة طوفان الأقصى).

وعلى الرغم من ترجيح نموذج ليكتمان فوز بايدن في الانتخابات هذه السنة، فإن بعض العوامل قد تؤثر على النتيجة مثل: العمر (مع أن الفارق بين المرشحين ليس كبيراً (78 عاماً لترامب و82 لبaidن)، ثم ترويج الاتهام له بأنه يعاني من ضعف الذاكرة، إضافة إلى الفشل في كبح الهجرة، كما أن 38% يعتقدون أن الوضع الاقتصادي في إدارة بايدن جيد مقابل 65% يقولون أن فترة ترامب كانت أفضل... إلخ.²¹ لكن كل هذه العوامل هي عوامل محلية لا خارجية.

والملاحظة التي تستحق التأمل هنا هي أن تقييم "خبراء" الاقتصاد لفترة بايدن هو تقييم إيجابي خلافاً لتقييم الرأي العام الأمريكي حسب الاستطلاعات، ونعتقد أن الأمر مرتبط بكيفية تقييم الأداء الاقتصادي، فأغلب خبراء الاقتصاد يركزون على إجمالي النمو الاقتصادي والبطالة والتضخم... إلخ من موضوعات الاقتصاد الكلي، بينما ينظر المجتمع لموضوعات الاقتصاد الجزئي إلى جانب قضايا اجتماعية أخرى مثل الإجهاد أو العنصرية أو الجريمة أو بيع السلاح الفردي... إلخ.²²

ثالثاً: طوفان الأقصى والانتخابات الرئاسية الأمريكية:

تتأكد سلبية المجتمع الأمريكي تجاه القضايا الخارجية من مؤشر مدى متابعة هذه القضايا، وفي حالة طوفان الأقصى تبين أن 26% من الأمريكيين يتابعون بشكل كبير أخبار الحرب في غزة، بينما 37% يتابعونها بشكل بسيط ومتفرق، و36% لا يتابعونها،²³ على الرغم من أن المعدل اليومي للضحايا المدنيين في حرب غزة الحالية هو الأعلى في تاريخ الحروب،²⁴ وعلى الرغم من أن عشرات المنظمات الدولية ذات الطابع الإنساني تنشر بياناتها تباعاً حول الأوضاع الإنسانية الرهيبة في قطاع غزة،²⁵ وعلى الرغم من أن معدل المظاهرات بخصوص حرب غزة يصل إلى 639 مظاهرة أسبوعياً (منها 602 تأييداً للفلسطينيين، و37 لتأييد "إسرائيل").²⁶

أشرنا في تحليلنا لنموذج ليكتمان إلى أن وزن المؤشر الخارجي هو نحو 15% في تقرير توجهات الناخب الأمريكي، وهو أمر مقارب لوزن الشأن الخارجي في النماذج الأخرى التي أشرنا إليها أعلاه، وتدل المناقشات في مختلف الانتخابات الأمريكية

(التمهيدية أو التشريعية أو الرئاسية) أن الجمهوريين أكثر عناية بالشأن الخارجي من الديموقراطيين.²⁷

وفي استطلاع للرأي العام الأمريكي حول القضايا السياسية الخارجية، ومقارنة موقف الرأي العام الأمريكي بين 2023 و2024، تبين أن الشأن الاقتصادي المحلي حظي بالأولوية لدى 76% سنة 2024، و75% سنة 2023، بينما حظيت قضايا السياسة الخارجية "مجتمعة" باهتمام نسبي من 38% (سنة 2024) مقابل 18% (سنة 2023)، ولكن عند النظر في القضايا الدولية كل على انفراد تبين أن الشرق الأوسط (حرب غزة) حظيت باهتمام 5% يفوق ما حظيت به قضية أوكرانيا وبفارق 1%.²⁸ ولعل ذلك ما يفسر أن معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي The Institute for National Security Studies نوّه في استنتاجاته المرتكزة على استطلاعات الرأي الأمريكية إلى تأثير طوفان الأقصى في عدد من الشرائح وخصوصاً داخل الحزب الديموقراطي من ناحية، وأن هذا التأثير يشير إلى تزايد واضح مع تطور الأحداث في غزة من ناحية ثانية، ودعا الحكومة الإسرائيلية للتنبه لانعكاسات ذلك في الواقع الداخلي الأمريكي.²⁹

من جانب آخر، لا بدّ من التمعن في توجهات المجتمع الأمريكي من طوفان الأقصى، فقد دلّ استطلاع للرأي العام الأمريكي على نتائج تشير لبعض ملامح التغير في المجتمع الأمريكي تجاه "إسرائيل"، وهو ما يتضح في جدول رقم 2.

جدول رقم 2: موقف المجتمع الأمريكي من "إسرائيل" وحركة حماس بعد عملية

طوفان الأقصى (2023/12/19)³⁰

السؤال	هل ترى أنّ حماس حركة إرهابية؟ %	هل تعتقد أنّ "إسرائيل" تحاول تجنب إيذاء المدنيين؟ %	هل يجب زيادة الدعم الأمريكي لـ "إسرائيل" أو زيادة انتقاداتها؟ %
الإجابة	65 نعم	38 نعم	30 الدعم
	9 لا	33 لا	24 النقد
	26 لست متأكداً	29 لست متأكداً	20 موقف محايد 27 غير متأكد



وعند تحليل استطلاعات الرأي الأمريكية الخاصة بالموقف من طوفان الأقصى، وأثر ذلك على الانتخابات الرئاسية تبين لنا ما يلي:

1. الموقف المجتمعي والحزبي من إدارة بايدن للأزمة في غزة: ما يستحق التأمل هو أن المقارنة بين التوجهات قبل الطوفان وبعده يشير إلى أن نسبة التأييد لـ "إسرائيل" في المجتمع الأمريكي تراجعت بمعدل 7% مقابل ارتفاع التعاطف مع الفلسطينيين بنسبة 3%،³¹ والملفت للنظر أن نسبة تحميل المسؤولية عن ما يجري على الإسرائيليين هي أعلى بكثير من الضعف عند الديموقراطيين قياساً للجمهوريين (50% مقابل 21%)، كما أن الموقف من إدارة بايدن للأزمة يشير إلى انقسام واضح في المجتمع الأمريكي، فنسبة الشباب المؤيدين هي 35% والمعارضين 41%، وعند النظر في مواقف الأحزاب يتبين أن الجمهوريين يرون أن إدارة بايدن للأزمة في غزة غير صحيحة (51% معارضون مقابل 28% مؤيدون) بينما الحزب الديموقراطي (44% مؤيدون مقابل 33% معارضون)،³² ويوافق 30% من الأمريكيين بغض النظر عن الانتماء الحزبي على إدارة بايدن لموضوع الحرب في غزة.³³

2. موقف يهود الولايات المتحدة: يبدو أن مواقف يهود "إسرائيل" تتباين بنسبة معينة عن مواقف يهود الولايات المتحدة في الموقف من المرشحين، إذا أبدى 44% من يهود "إسرائيل" تأييداً لعودة ترامب للرئاسة، بينما ساند 30% بايدن، ولم يحدد 26% موقفه حتى الآن.³⁴

ما سبق يشير إلى عدد من الملاحظات:

1. يجب التنبيه إلى أن الاهتمام بالشأن الخارجي يجب أن يتم فهمه بقدر من الحذر، فعلى سبيل المثال يشير استطلاع للرأي العام الأمريكي حول الشأن الخارجي أن نسبة 20% تهتم بالشأن الخارجي من زاوية محددة وهي "القلق من مزيد من الانغماس الأمريكي في الشؤون الدولية الخارجية"، وبالتالي النزوع نحو إضعاف النزعة التدخلية في الشأن الدولي، وهو الأمر الأكثر وضوحاً في توجهات الجمهوريين (45%) مقابل (33%) في توجهات الديموقراطيين. وعند النظر في طبيعة التدخل الأمريكي رأى 70% أن التدخل التعددي (بمشاركة دول أخرى) هو الأفضل، وهو ما قد يدفع باتجاه سعي الولايات المتحدة أن تتدخل في تداعيات طوفان الأقصى مع أطراف أخرى، وهو أمر يتعزز برغبة 16% فقط من الأمريكيين الذين يطالبون بزيادة

الانتشار العسكري الأمريكي في الخارج،³⁵ أي أن الأمريكيين يروا في طوفان الأقصى مشكلة دولية قد تجر الولايات المتحدة للتدخل الواسع وهو ما لا يريدونه.

2. من الضروري إدراك أن البراجماتية الأمريكية كما أشرنا سابقاً تعني أن الاهتمام بالشرق الأوسط أو غيره مرتبط بوزن المنافع التي تعود على الولايات المتحدة من الموضوع الخارجي، وهنا تتباين مواقف القوى الحقوقية والأفراد والشركات وجماعات الضغط واتجاهات الأحزاب... إلخ، فعلى سبيل المثال من الملاحظ مثلاً أن موقف الرأي العام الأمريكي في كل توجهاته (جمهوريون، وديموقراطيون، ومستقلون) يميل نحو مزيد من النظرة العدائية للصين، وتزداد هذه النظرة بشكل خطي،³⁶ لكن دراسة لغرفة التجارة الأمريكية تكشف أن 50% من الشركات الأمريكية تعد الصين إحدى 3 أولويات لها في مجال الاستثمار، وقال 77% من هذه الشركات إنها لا تفكر في نقل نشاطها الاقتصادي من الصين،³⁷ وهو ما يعني أن اعتناء الأمريكي بالشأن الخارجي مرتبط بدرجة انتفاعه أو ضرره، وليس طبقاً لمنظومة قيم مطلقة. وعليه فإن الاهتمام بموضوع طوفان الأقصى مرتبط بانعكاسات هذا الطوفان على شبكة المصالح الأمريكية، فلو شعرت الشركات الأمريكية أن المقاطعة لمنتجاتها تزداد فإن ذلك سينعكس على توجهات الحكومة والناخبين، أو أن مشتريات السلاح العربية تتناقص من الشركات الأمريكية، أو أن ما يجري يؤثر على الاقتصاد الأمريكي أو يزيد من نسب الاضطراب الاجتماعي... إلخ، فإن الناخب الأمريكي سيولي ذلك اهتماماً نسبياً في توجهات المرشحين للرئاسة.

3. لعل النظرة المتفحصة لانعكاسات طوفان الأقصى على الناخب الأمريكي تظهر في الجوانب التالية:

- مدى اتساع المواجهة والتحول في طوفان الأقصى إلى حروب إقليمية قد يقود إلى مزيد من نشر القوات الأمريكية في المنطقة، وهو ما سيجعل الناخب الأمريكي أكثر اهتماماً بتداعيات الطوفان.
- إن الاضطراب الاجتماعي نتيجة المظاهرات والمظاهرات المضادة (حول تداعيات الطوفان) يعزز الاهتمام الشعبي، ولعل احتلال الولايات المتحدة المرتبة الثانية عالمياً في عدد المظاهرات ضدّ "إسرائيل" خلال معركة طوفان الأقصى سيترك



أثراً نسبياً على الناخب واختياراته.³⁸ ويرى بعض الكتاب الأمريكيين أن تداعيات طوفان الأقصى تشكل اختباراً لفرضية أن الشأن الخارجي يمثل عاملاً هامشياً في الانتخابات الرئاسية الأمريكية نظراً لحدة الأزمة والهواجس الدولية المصاحبة لها، خصوصاً أن شرائح الشباب وأصحاب التوجهات التقدمية أصبحوا أكثر ميلاً لانتقاد السياسات المساندة لـ”إسرائيل”، لكن حجم هذه الشريحة ما زال دون الوزن التأثيري المطلوب.³⁹

• يعتقد بعض الباحثين أن طوفان الأقصى سيؤثر على شريحة أخرى في المجتمع الأمريكي، وهي شريحة ”المسلمين الأمريكيين“ وشريحة العرب الأمريكيين،⁴⁰ مع ضرورة الإشارة إلى أن هذه الشريحة صوّتت لصالح بايدن في سنة 2020 بنسبة عالية جداً وصلت إلى 83%، لكن هذه النسبة ليست ذات دلالة إحصائية عند النظر إلى وزن المجتمع الإسلامي الأمريكي والذي لا يتجاوز تعداداه 1% من إجمالي عدد السكان، وهو ما يجعل وزنهم الانتخابي دون مستوى التأثير الكبير. أما اليهود والذين يشكلون 2.5% من سكان الولايات المتحدة، فقد صوّتوا لصالح بايدن سنة 2020 بنسبة تصل إلى 75%، وهو ما يزيد من محدودية دور الصوت الإسلامي نسبياً حتى لو اتجه أكثره لعدم انتخاب بايدن.⁴¹

• يرى بعض الباحثين أن ما سيتأثر في التوجهات الأمريكية لن يمس المصالح الاستراتيجية الأمريكية، مثل: استمرار التوازن الإقليمي، وكبح انتقال العنف السياسي إلى الأراضي الأمريكية أو إلى أعالي البحار، واستمرار استقرار المعابر البحرية للتجارة والنفط ومنع انتشار السلاح النووي.⁴²

خاتمة:

عند النظر في سياسات المرشح الديمقراطي (بايدن) أو الجمهوري (ترامب)، فإن كليهما لا يخفي اعتباره لـ”إسرائيل“ ذخراً استراتيجياً، لكن المعيار الذي يعتمد عليه الناخب الأمريكي في تفضيل أي منهما هو معيار محلي براجماتي صرف، أي أن الموقف من ”إسرائيل“ لن يكون عاملاً مركزياً في الانتخابات لتحديد الفائز، خصوصاً أن موقف بايدن مقارنة بموقف ترامب هو موقف أكثر ”تمويهاً“ في دعم ”إسرائيل“،

والذي اتضح في استخدام الولايات المتحدة حقّ النقض (الفيتو Veto) في مجلس الأمن ثلاث مرات خلال الأزمة لمنع وقف إطلاق النار (في 2023/10/18، و2023/12/8، و2024/2/20)، ثم الامتناع عن التصويت على قرار يطالب بزيادة إدخال المساعدات في 2023/12/21، ناهيك عن وقف مساعداته لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل لاجئي فلسطين في الشرق الأدنى (الأونروا)، إضافة لتحويل الذخائر التي كانت موجهة لأوكرانيا إلى الجيش الإسرائيلي، والدعم المالي لها بأكثر من 14 مليار دولار من ناحية، ناهيك عن إرسال بعض قطعها الحربية للتصدي لهجمات أنصار الله من اليمن. ويحاول بايدن من ناحية أخرى جذب أصوات المسلمين في الولايات المتحدة من خلال فتح الميناء المؤقت لإيصال المساعدات أو إنزالها جواً لسكان غزة، فهو يستخدم الفيتو ضدّ وقف إطلاق النار من ناحية، ويحاول الظهور بمظهر إنساني من خلال بناء الرصيف البحري أو إنزال المساعدات أو التأكيد على أن خطة اجتياح رفح التي يكررها نتنياهو هو يجب أن "تتضمن أمن المدنيين"،⁴³ بينما ذهب ترامب في تصريحات حديثة له أن على "إسرائيل" أن "تكمل المهمة" أي القضاء على المقاومة.⁴⁴ وقد يكون اتساع نطاق الحرب وانغماس الولايات المتحدة فيها عاملاً مساعداً لبايدن، إذ أن أغلب الرؤساء الذين ترشحوا مرة ثانية خلال الحروب فازوا بها، لكن ذلك يبقى في نطاق محدودية الشأن الخارجي.⁴⁵

والملاحظ أن الانقسام داخل الديموقراطيين في موضوع الحرب في غزة أكثر وضوحاً منه في صفوف الجمهوريين الذين يبدوون أكثر تناغماً في موقفهم من هذه الحرب، فالجناح اليساري في الحزب الديموقراطي وبعض التيارات اليهودية مثل "الصوت اليهودي للسلام Jewish Voice for Peace"، وحركة "إن لم يكن الآن IfNotNow" تشكل قوة قد تؤثر على شعبية بايدن في الانتخابات.⁴⁶

ولعل متغير العمر للناخب يمثل أحد الأبعاد ذات الدلالة، فالملاحظ أن هناك علاقة واضحة بين العمر ودرجة التأييد لـ "إسرائيل"، وهو ما اتضح في معركة طوفان الأقصى، فكلما تقدم الفرد في العمر كان تأييده لـ "إسرائيل" أعلى والعكس صحيح، وهو ما يفسر عدم اتساق الأمريكيين من عمر 30 عاماً فما دون مع مواقف بايدن من الحرب في غزة،⁴⁷ كما أن السود من الأمريكيين أصبحوا أكثر نقداً لـ "إسرائيل"، وهو



تيار تنامي بهدوء منذ حرب 1967، ويعمل على المقارنة بين الاضطهاد والعنف في المجتمع الأمريكي تجاه السود وبين العنف الإسرائيلي تجاه الفلسطينيين.⁴⁸

وعليه، فقد أثرت معركة طوفان الأقصى في مواقف شرائح معينة (المسلمون، والسود، وجماعات يهودية، والشباب، ويسار الحزب الديموقراطي)، لكن الفارق بين المرشحين ضئيل للغاية في آخر الاستطلاعات (49% لبايدن، و47% لترامب)،⁴⁹ وهو ما سيجعل التحول في أي شريحة صغيرة أمراً قد يقلب النتائج، وهو ما يمكن أن يكون عليه الحال بخصوص شريحة ”غير المقررين“ توجهاتهم الانتخابية حتى الآن، والذين يشكلون نحو 17% من الناخبين،⁵⁰ وكلما كان الفارق أقل كلما كانت الجماعات الصغيرة أو جماعات الضغط أكثر قدرة في التأثير على النتائج.

من جانب آخر، إذا كانت بعض الشرائح في المجتمع الأمريكي قد تراجعت عن تأييد بايدن بسبب موقفه من ”إسرائيل“، فإن موقف ترامب من الحرب الأوكرانية الروسية قد يفقده قدراً من تأييد الناخب الأمريكي نظراً لمعارضته مساندة أوكرانيا، إلى جانب مديحه للرئيس الروسي فلاديمير بوتين Vladimir Putin.⁵¹ أما بخصوص أصوات اليهود فإن كلاً من المرشحين (بايدن وترامب) لا يحبذا بقاء نتنياهو في السلطة، وهو ما يؤثر بقدر بسيط على التصويت لأي منهما من قبل اليهود الأمريكيين المساندين لنتنياهو.⁵²

لكن الظرف العام في الولايات المتحدة وشخصية ترامب قد تنطوي على احتمال وقوع ”اضطرابات اجتماعية“ حادة خلال أو بعد الانتخابات، مما يعزز من انكفاء الولايات المتحدة نحو أوضاعها الداخلية، وتتمثل هذه الأوضاع في مؤشرات نوجزها في الآتي:⁵³

1. رعونة ونرجسية ترامب خصوصاً إذا خسر الانتخابات، وهو الأمر الذي لم تستبعده وزارة الأمن الوطني الأمريكية.
2. تنامي مظاهر التطرف السياسي والاستقطاب وتزايد الحساسيات بين الثقافات الفرعية في المجتمع الأمريكي.
3. اتساع قاعدة انتشار السلاح الفردي، إذ يبلغ التسليح الفردي في الولايات المتحدة ما يعادل 40% من مجموع السلاح الفردي في العالم كله، ففي الولايات المتحدة 393 مليون قطعة سلاح فردي.

4. انتشار أطراف متعددة من الميليشيات المسلحة.
 5. تآكل الثقة في المجتمع الليبرالي.
 6. اعتبار ثقافة القوة ركيزة مهمة في الثقافة الأمريكية.
 7. انتشار نظرية المؤامرة بين العديد من شرائح المجتمع الأمريكي.
- إن مسار وتداعيات معركة طوفان الأقصى ما تزال غير واضحة، لكن المؤكد أن تأثيرها على النتائج الانتخابية سيبقى هامشياً، لكنها ستكون أكثر دلالة في نتائجها إذا تأكدت نظرية التراجع الأمريكي العنيف الذي تتزايد مؤشراتته في الأدبيات السياسية الأمريكية.



الهوامش

¹ انظر: وليد عبد الحي، وزن الشؤون الخارجية في الانتخابات الرئاسية الأمريكية طوفان الأقصى نموذجاً، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2024/4/1.

² Joseph M. Bessette and Gary J. Schmitt, "The Hamilton-Madison Split Over Executive Power," site of Social Science Research Network (SSRN), 23/8/2022, pp. 53–85, https://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=4198238

³ John H. Aldrich, John L. Sullivan and Eugene Borgida, "Foreign Affairs and Issue Voting: Do Presidential Candidates "Waltz Before A Blind Audience?," *The American Political Science Review* journal, vol. 83, no. 1, March 1989, pp. 123–126.

⁴ انظر التفاصيل في:

James E. Campbell and Thomas E. Mann, Forecasting the Presidential Election: What can we learn from the models?, site of The Brookings Institution, 1/9/1996, <https://www.brookings.edu/articles/forecasting-the-presidential-election-what-can-we-learn-from-the-models>; List of third-party and independent performances in United States presidential elections, site of Wikipedia, https://en.wikipedia.org/wiki/List_of_third-party_and_independent_performances_in_United_States_presidential_elections; and By the numbers: Second term presidents, site of Cable News Network (CNN), 9/11/2012, <https://edition.cnn.com/2012/11/09/politics/btn-second-term-presidents/index.html>

⁵ Issue Brief: 2023: The Public's Priorities And Expectations, site of The Associated Press-NORC Center for Public Affairs Research, January 2023, https://apnorc.org/wp-content/uploads/2022/12/AP-NORC_2023-Priorities-Brief-V7.pdf

⁶ ول ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة فتح الله المشعشع (بيروت: مكتبة المعارف، 1982)، ص 617–618.

⁷ Ulrich Franke and Gunther Hellmann, "American Pragmatism in Foreign Policy Analysis," site of Oxford Research Encyclopedia of Politics, 26/9/2017, <https://oxfordre.com/politics/display/10.1093/acrefore/9780190228637.001.0001/acrefore-9780190228637-e-356>

⁸ Weekly tracker: Most important issues facing the US, site of YouGov, <https://today.yougov.com/topics/politics/trackers/most-important-issues-facing-the-us>

⁹ Stewart M. Patrick, John Kerry and the Blurring of the Foreign and Domestic, site of The Council on Foreign Relations (CFR), 22/2/2013, <https://www.cfr.org/blog/john-kerry-and-blurring-foreign-and-domestic>

¹⁰ Caroline Le Pennec and Vincent Pons, "How Do Campaigns Shape Vote Choice? Multi-Country Evidence From 62 Elections And 56 TV Debates," Working Paper 26572, site of National Bureau of Economic Research, December 2022, pp. 4–5 and 34–35.

- James E. Campbell and Thomas E. Mann, Forecasting the Presidential Election: What can we learn from the models?, The Brookings Institution, 1/9/1996; Laura Counts, Election polls are 95% confident but only 60% accurate, Berkeley Haas study finds, site of Berkeley Haas, 26/10/2020, <https://newsroom.haas.berkeley.edu/research/election-polls-are-95-confident-but-only-60-accurate-berkeley-haas-study-finds>; Ron Elving, Early polls don't always foretell the fate of a first-term president. Does anything?, site of National Public Radio (npr), 27/1/2024, <https://www.npr.org/2024/01/27/1225563900/polls-predictor-election-inflation-jobless-misery-index-approval-rating>; Nathaniel Rakich, The Polls Were Historically Accurate In 2022, site of FiveThirtyEight, 10/3/2023, <https://fivethirtyeight.com/features/2022-election-polling-accuracy>; and Zhenkun Zhou, Matteo Serafino, Luciano Cohan, Guido Caldarelli and Hernán A. Makse, "Why polls fail to predict elections," *Journal of Big Data*, vol. 8, no. 137, October 2021, <https://journalofbigdata.springeropen.com/articles/10.1186/s40537-021-00525-8>
- Andrew Feinberg and Ariana Baio, Who is running for president in 2024? Meet the candidates, ¹² site of *The Independent* newspaper, 12/3/2024, <https://www.independent.co.uk/news/world/americas/us-politics/presidential-candidates-2024-trump-biden-b2511581.html>
- James E. Campbell and Thomas E. Mann, Forecasting the Presidential Election: What can we learn from the models?, The Brookings Institution, 1/9/1996.
- Wyatte Grantham-Philips, One-term presidents: Trump joins the list of Commanders-in-Chief ¹⁴ denied a second term, site of USA Today, 30/10/2020, <https://www.usatoday.com/story/news/politics/elections/2020/10/30/one-term-presidents-u-s-presidents-who-ran-reelection-but-lost/6085465002>
- Dave Roos, 5 Presidents Who Lost the Popular Vote But Won the Election, site of History, ¹⁵ 23/7/2020, updated 12/3/2024, <https://www.history.com/news/presidents-electoral-college-popular-vote>
- James M. Lindsay, Campaign Roundup: Close Presidential Elections Have Become the Norm, ¹⁶ CFR, 23/2/2024, <https://www.cfr.org/blog/campaign-roundup-close-presidential-elections-have-become-norm>
- ذلك يعني أن هناك 4 انتخابات رئاسية كان الفارق بين الفائز ومنافسه أقل من 5%. ¹⁷
- Cody Combs, What is Allan Lichtman's prediction for the 2024 US presidential election?, ¹⁸ site of The National, 23/3/2021, <https://www.thenationalnews.com/world/the-americas/what-is-allan-lichtman-s-prediction-for-the-2024-us-presidential-election-1.1109868>
- Peter W. Stevenson, Trump is headed for a win, says professor who has predicted 30 years ¹⁹ of presidential outcomes correctly, *The Washington Post* newspaper, 23/9/2016, <https://www.washingtonpost.com/news/the-fix/wp/2016/09/23/trump-is-headed-for-a-win-says-professor-whos-predicted-30-years-of-presidential-outcomes-correctly>
- Allan J. Lichtman, "The Keys to the White House," *Social Education* journal, National Council ²⁰ for the Social Studies, vol. 5, no.76, 2012, p. 234.



Michael Cox, How foreign policy might impact the outcome of the US election, site of Chatham House, 6/3/2024, <https://www.chathamhouse.org/2024/03/how-foreign-policy-might-impact-outcome-us-election> ²¹

Aimee Picchi, Voters remember Trump's economy as being better than Biden's. Here's what the data shows, site of CBS News, 6/3/2024, <https://www.cbsnews.com/news/trump-biden-economy-gdp-wages-inflation> ²²

Report: Americans' Views of the Israel-Hamas War, site of Pew Research Center, 8/12/2023, <https://www.pewresearch.org/politics/2023/12/08/americans-views-of-the-israel-hamas-war> ²³

Bastian Herre, Lucas Rodés-Guirao, Max Roser, Joe Hasell and Bobbie Macdonald, "War and Peace," site of Our World in Data, 2024, <https://ourworldindata.org/war-and-peace> ²⁴

Ilana Feldman, Frederic Wehrey, Andrew Bonney, Aaron David Miller, Sarah Yerkes, Larry Garber and Muriel Asseburg, "Governing Gaza After the War: The International Perspectives," site of Carnegie Endowment for International Peace, 26/2/2024, <https://carnegieendowment.org/2024/02/26/governing-gaza-after-war-international-perspectives-pub-91819> ²⁵

Swords of Iron: An Overview, site of The Institute for National Security Studies (INSS), <https://www.inss.org.il/publication/war-data> ²⁶

C.K. Hickey and Maya Gandhi, 11 Charts That Track the Weight of Foreign Policy in U.S. Primary Debates, site of *Foreign Policy* magazine, 26/6/2019, updated 16/1/2020, <https://foreignpolicy.com/2019/06/26/11-charts-that-track-the-weight-of-foreign-policy-in-us-primary-debates-presidential-election-2020> ²⁷

Will Weissert and Linley Sanders, More Americans think foreign policy should be a top US priority for 2024, an AP-NORC poll finds, site of The Associated Press, 1/1/2024, https://apnews.com/article/2024-top-issues-poll-foreign-policy-israel-d89db59deb07f53382cc9292b49f4d1c?utm_campaign=TrueAnthem&utm_medium=AP&utm_source=Twitter; Jonathan Weisman, Ruth Igielnik and Alyce McFadden, Poll Finds Wide Disapproval of Biden on Gaza, and Little Room to Shift Gears, site of *The New York Times* newspaper, 21/12/2023, <https://www.nytimes.com/2023/12/19/us/politics/biden-israel-gaza-poll.html>; and Christopher Preble, Evan Cooper, Kelly A. Grieco, Aude Darnal, Emma Ashford and Robert A. Manning, Testing Assumptions About US Foreign Policy in 2024, site of Stimson Center, 16/1/2024, <https://www.stimson.org/2024/testing-assumptions-about-us-foreign-policy-in-2024> ²⁸

Jesse R. Weinberg, Rebecca Meller and Inbar Noy-Freifeld, "A Growing Divide in American Public Opinion of Israel," INSS Insight No. 1835, INSS, 12/3/2024, <https://www.inss.org.il/publication/opinion-polls-usa> ²⁹

From everything you've seen and heard, do you think that Hamas are or are not a terrorist organization?, YouGov, <https://today.yougov.com/topics/overview/survey-results/daily/2023/12/19/c72d2/3> ³⁰

Stephen Gundle, Rodman's North Korean trip: why dictators go for glamour, site of The Conversation, 13/1/2014, <https://theconversation.com/us-election-jewish-and-muslim-votes-probably-dont-have-the-power-to-change-the-outcome-despite-backlash-on-gaza-policy-219448>

Report: Americans' Views of the Israel-Hamas War, Pew Research Center, 8/12/2023.³² Mark Murray, Poll: 20-point deficit on handling economy highlights Biden's struggles against Trump, site of NBC News, 4/2/2024, <https://www.nbcnews.com/politics/2024-election/poll-biden-trump-economy-presidential-race-rcna136834>; and Jesse R. Weinberg, Rebecca Meller and Inbar Noy-Freifeld, "A Growing Divide in American Public Opinion of Israel," INSS Insight No. 1835, INSS, 12/3/2024.

By 44% to 30%, Israelis prefer Trump to Biden as next US president, site of The Times of Israel, 12/3/2024, <https://www.timesofisrael.com/poll-finds-44-of-israelis-prefer-trump-over-biden-as-next-us-president>

Elaine Kamarck and Jordan Muchnick, One year into the Ukraine war — What does the public think about American involvement in the world?, The Brookings Institution, 23/2/2023, <https://www.brookings.edu/articles/one-year-into-the-ukraine-war-what-does-the-public-think-about-american-involvement-in-the-world>

William A. Galston, A momentous shift in US public attitudes toward China, The Brookings Institution, 22/3/2021, <https://www.brookings.edu/articles/a-momentous-shift-in-us-public-attitudes-toward-china>

Ma Jingjing, US firms see China as global priority: AmCham survey, site of *Global Times*³⁷ newspaper, 1/2/2024, <https://www.globaltimes.cn/page/202402/1306514.shtml>; Evan Cooper, Kelly A. Grieco, Aude Darnal, Emma Ashford and Robert A. Manning, Testing Assumptions About US Foreign Policy in 2024, Stimson Center, 16/1/2024.

ينظر 81% من الجمهوريين إلى الصين كعدو، مقابل 59% من المستقلين، و56% من الديمقراطيين. انظر: Michael Cox, How foreign policy might impact the outcome of the US election, Chatham House, 6/3/2024.

Swords of Iron: An Overview, INSS, <https://www.inss.org.il/publication/war-data>³⁸ Ian Lesser, Could the Middle East Affect the US Election?, site of GMF, 19/1/2024, <https://www.gmfus.org/news/could-middle-east-affect-us-election>³⁹

Josh Wingrove and David Welch, Biden's Stance on Israel-Hamas War Sows Reelection Risks,⁴⁰ site of Bloomberg, 27/2/2024, <https://www.bloomberg.com/news/articles/2024-02-27/election-2024-biden-s-israel-hamas-war-stance-divides-voters>

Stephen Gundle, Rodman's North Korean trip: why dictators go for glamour, The Conversation,⁴¹ 13/1/2014; and Josh Wingrove and David Welch, Biden's Stance on Israel-Hamas War Sows Reelection Risks, Bloomberg, 27/2/2024.

Pierre Bousset, As war in Gaza drags on, the U.S. weighs its options, site of Geopolitical Intelligence Services (GIS), 7/3/2024, <https://www.gisreportsonline.com/r/gaza-israel-u-s>⁴²

Jordan Tama, Jeffrey A. Friedman, Sahar Khan, Ali Wyne, Christopher Preble and Mir Mohiuddin, ⁴³ Will Foreign Policy Matter in the 2024 Presidential Election?, site of Inkstick, 11/3/2024, <https://inkstickmedia.com/will-foreign-policy-matter-in-the-2024-presidential-election>

Vaughn Hillyard and Allan Smith, Trump breaks silence on Israel's military campaign in Gaza: ⁴⁴ 'Finish the problem', NBC News, 6/3/2024, <https://www.nbcnews.com/politics/donald-trump/trump-israel-gaza-finish-problem-rcna141905>

Will Foreign Policy Matter in the 2024 Presidential Election?, Inkstick, 11/3/2024. ⁴⁵
2024 Presidential Contest: Biden and Trump Competitive in Early 2024 Matchup Despite ⁴⁶
Legal Woes, site of Marist Institute for Public Opinion, 4/10/2023, <https://maristpoll.marist.edu/polls/2024-presidential-contest>; and Alaa Elassar, 'Not in our name': Jewish peace activists across the US call for immediate ceasefire and justice for Palestinians, CNN, 23/10/2023, <https://edition.cnn.com/2023/10/23/us/jewish-palestinian-protest-israel-gaza/index.html>
Jeffrey M. Jones, Americans' Views of Both Israel, Palestinian Authority Down, site of Gallup, ⁴⁷
4/3/2024, <https://news.gallup.com/poll/611375/americans-views-israel-palestinian-authority-down.aspx>

Jérôme Viala-Gaudefroy, Israel-Hamas War: What political consequences for Joe Biden?, The ⁴⁸
Conversation, 12/11/2023, <https://theconversation.com/israel-hamas-war-what-political-consequences-for-joe-biden-216684>

2024 Presidential Contest: Biden and Trump Competitive in Early 2024 Matchup Despite Legal ⁴⁹
Woes, Marist Institute for Public Opinion, 4/10/2023.

Matt Loffman, These new poll numbers show why Biden and Trump are stuck in a 2024 dead ⁵⁰
heat, site of PBS NewsHour, 4/3/2023, <https://www.pbs.org/newshour/politics/these-new-poll-numbers-show-why-biden-and-trump-are-stuck-in-a-2024-dead-heat>

Ron Kampeas, What would Donald do? Here's what we know about how Trump would handle ⁵¹
Israel and Gaza, The Times of Israel, 2/3/2024, <https://www.timesofisrael.com/what-would-donald-do-heres-what-we-know-about-how-trump-would-handle-israel-and-gaza>

Chuck Freilich and Eldad Shavit, The United States and the "Swords of Iron" War: An Interim ⁵²
Assessment, INSS, <https://www.inss.org.il/publication/us-israel-interim>

Bruce Hoffman and Jacob Ware, Opinion: Is the US on the brink of another civil war?, CNN, ⁵³
16/3/2024, <https://edition.cnn.com/2024/03/16/opinions/us-brink-of-civil-war-hoffman-ware/index.html>; and Barbara F. Walter, *How Civil Wars start and How to Stop Them* (USA: Penguin Books, 2022), pp. 102–128.

وتحاول هذه الدراسة التي قامت بدراسات ومقابلات مع أعضاء الحركات المسلحة (ومن بينها حركة حماس كما تقول في صفحة 12 من المقدمة)، أن تحدد ملامح التحول في المجتمع الأمريكي، وخصوصاً ما تعده إرهابات حرب أهلية قد لا تبدأ على أساس الأسس نفسها التي حصلت في الحرب الأهلية الأولى (1861–1865)، بل قد تبدأ باضطرابات اجتماعية ثم تتسع بفعل ما أطلقت عليه مصطلح التسارعية accelerationism، والذي يعني ضرورة الاستعجال في استبدال النظام القائم نظراً للمأزق الذي وصل إليه النظام الليبرالي المعاصر، وهي دعوة تتكئ على توجهات اليمين المتطرف.

أزمة الموقف الأوروبي من طوفان الأقصى¹

أ. د. وليد عبد الحي

مقدمة:

يضمّ الاتحاد الأوروبي European Union 27 دولة عضو، ويصل إجمالي عدد سكانه إلى نحو 449 مليون نسمة، ويبلغ إجمالي ناتجه المحلي نحو 19.35 تريليون دولار (الإسمي)، ونحو 26.64 تريليون دولار (المعادل الشرائي)، أي إنه قوة بشرية واقتصادية ضخمة، ناهيك عن أنه يشكّل الحضور الأكبر في حلف شمال الأطلسي (الناتو) North Atlantic Treaty Organization (NATO)؛ ذلك يجعل منه قوة دولية يجب وضعها في الاعتبار عند تناول القضايا الدولية، خصوصاً الشرق الأوسط، بحكم الروابط الجغرافية مع المنطقة، حيث يشكل البحر المتوسط نقطة الترابط هذه، والروابط التاريخية القديمة والحديثة والمعاصرة؛ ناهيك عن أن هناك عدة ملايين من العرب، بين 4-5 مليون نسمة، يعملون في دول الاتحاد أو يحملون جنسياتها؛ إلى جانب أن التجارة بين الطرفين تمثل 30% من التجارة العربية.² ذلك يعني أن الاتحاد الأوروبي يمثل كتلة لها أهميتها في تطورات النزاعات الشرق أوسطية، والتي يمثل طوفان الأقصى آخر جولة من جولاتها.

لكن البحث في درجة التناغم في السياسة الخارجية بين الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي؛ خصوصاً تجاه قضايا الشرق الأوسط وتحديد اتجاه القضية الفلسطينية يكشف عن أزمة على قدرٍ من التعقيد الكبير، وبشكل يجعل القدرة الأوروبية على التأثير أكثر ضيقاً، وهو ما سنتناوله في هذه الدراسة، من خلال تحديد مؤشرات التباين في المواقف الأوروبية عبر عدة مؤشرات، وهي:



أولاً: التباين في المواقف الأوروبية الرسمية: الإنحادية والقطرية:³

يمكن رصد الموقف الأوروبي من خلال بيانات الاتحاد الأوروبي الجماعية أو تصريحات الممثل الأعلى للاتحاد الأوروبي للشؤون الخارجية والسياسة الأمنية جوزيب بوريل Josep Borrell من ناحية أو من خلال رصد البيانات الرسمية الصادرة عن دول الاتحاد بشكل فردي من ناحية أخرى. ومن الضروري فهم مؤسسات الاتحاد الأوروبي ذات الصلة باتخاذ القرارات، فهناك البرلمان الأوروبي European Parliament الذي يمثل مجتمعات الدول الأعضاء في الاتحاد، وهناك مجلس الاتحاد الأوروبي Council of the European Union الذي يمثل "حكومات" الدول الأعضاء، وهناك المفوضية الأوروبية European Commission التي تمثل المصلحة العامة للاتحاد، ومن المفترض طبقاً لإجراءات اتخاذ القرار أن تتناغم هذه المؤسسات الثلاث عند أخذ القرار. وتقوم المفوضية بتحضير تقرير عن الموضوع المراد مناقشته ويسمى التقرير "تقييم التأثير Impact Assessment"، حيث يتم استعراض المصالح والنتائج المختلفة للموضوع المطروح، ويتم أخذ "البيانات Data" من الحكومات ومن هيئات المجتمع المدني المختلفة في الدول الأعضاء، ومن الممكن أن يمتنع البرلمان الأوروبي عن مناقشة الموضوع إذا رأى أن من الأفضل مناقشته على المستوى المحلي (أي في كل دولة لوحدها). وما إن تقدم المفوضية تقريرها، يقوم البرلمان والمجلس بتقديم اقتراحاتهما أو طلب تعديلات على المشروع أو التقرير المقدم من المفوضية، فإذا تضارب موقف المفوضية مع مطالب التعديل فإن القرار يصبح بيد المجلس للقبول أو الرفض شريطة الإجماع في اتخاذ القرار، وفي هذه الحالة إذا لم يتحقق الإجماع يمكن أن تسحب المفوضية تقريرها، وعليه فإن القرار الأوروبي مرهون بموافقة كل من البرلمان والمجلس.

ذلك يعني أن القرار الأوروبي يحتاج لصدوره التوافق بين مصالح الدول الأعضاء، والتوافق بين المجلس الأوروبي والبرلمان مع مقترحات المفوضية، وهو أمر ليس السهل تمريره خصوصاً أن الموافقة لا بد أن تكون بالإجماع وهو ما يزيد الأمور تعقيداً.⁴

وفي ظلّ هذه الملابسات في آليات اتخاذ القرار الأوروبي يمكن عرض الاضطراب الأوروبي تجاه الموقف من عملية طوفان الأقصى على النحو التالي:

1. **الموقف من عملية طوفان الأقصى:** يلاحظ في هذا البعد ثبات الموقف الأوروبي القائم على "إدانة" الهجوم الذي قامت به المقاومة الفلسطينية ووصفه "بالإرهاب والهمجية"، وهو موقف لم يصبه أي تغيير من بداية الطوفان حتى هذه اللحظة، ويلاحظ في هذا الجانب غياب أو تحليل دوافع الطوفان عن البيانات والتحليلات الأوروبية الرسمية، ولم تتم الإشارة إلى أن قطاع غزة محاصر منذ الانسحاب الإسرائيلي منه سنة 2005، ناهيك عن الهجمات الإسرائيلية المتلاحقة على قطاع غزة، وخصوصاً العمليات العسكرية الكبرى؛ كما جرى في السنوات 2005-2007، و2008/2009، و2012، و2014، و2021، والتي تجاوز عدد القتلى الفلسطينيين فيها نحو 4,756 شهيداً.⁵ ناهيك عن عمليات الاغتيال لقيادات فلسطينية داخل القطاع.

ذلك يعني أن الموقف الأوروبي من الطوفان هو موقف منبت الصلة تماماً عن الأسباب التاريخية الدافعة له، وتمّ تقديمه كما لو أنه "مجرد هجوم للهجوم فقط"، بل إن التذكير المستمر بالطوفان—كعمل إرهابي—يرد في أغلب البيانات الأوروبية الجماعية والفردية الرسمية بل ونسبة غير هينة من وسائل الإعلام الأوروبية.⁶ فإذا استثنينا هذا الجانب من الموقف الأوروبي، يمكننا تقسيم مواقف الدول الأوروبية إلى ثلاثة:⁷

- دول التأييد التام لـ "إسرائيل": والذي يتمثل في الانحياز التام للموقف الإسرائيلي، ويتم التعبير عن ذلك من خلال مؤشرات تبدأ برفع الأعلام الإسرائيلية على المباني الحكومية أو التأييد التام للعمليات الإسرائيلية داخل غزة، بل وتبرير القتل الواسع للمدنيين الفلسطينيين، وتجنب أي انتقادات لأيّ سياسات إسرائيلية، وتتصدر هذا الموقف كل من التشيك والنمسا وهنغاريا وإلى حدّ ما ألمانيا.

- دول المواقف المعتدلة: وهو الذي ينتقد عملية الطوفان ولكنه يؤيد تحقيق السلام ويطالب بوقف إطلاق النار، وتتضمن بيانات هذه الدول نقداً لانتهاكات "إسرائيل" للقانون الدولي الإنساني، ويتمثل هذا الفريق بكل من بلجيكا وإسبانيا وإيرلندا ويمكن اعتبار فرنسا قريبة من هذه الدول بقدر ما خصوصاً في المراحل الأخيرة.



• دول التيار المتحفظ الذي يساند "إسرائيل" ولكن بقدر من الحذر، وهو الموقف الذي يغلب على توجهات بقية دول الاتحاد.

• أما الموقف البريطاني، بالرغم أنها ليست عضواً في الاتحاد الأوروبي، فهو يتماهى بقدر كبير مع الموقف الأمريكي، وإن أصابه بعض التغير الطفيف في المراحل الأخيرة.

والملاحظ أن الموقف الأوروبي في اتجاهه العام هو أقرب للموقف الإسرائيلي، أما بعض التصريحات من بعض الشخصيات الأوروبية الرسمية التي تتضمن إدانة واضحة لـ "إسرائيل" واتهامها بالتمييز العنصري والدعوة لفرض عقوبات عليها بل ومقاطعتها، مثل بيان نائبة رئيس الوزراء الإسباني يولندا دياز Yolanda Díaz فهي تصريحات شخصية لا تمثل موقف الحكومة بشكل دقيق.⁸ ناهيك عن أن الموقف الفردي لدولة معينة لا يمثل الاتحاد الأوروبي.

2. الموقف من الرد الإسرائيلي: تكاد مواقف التيارات الثلاثة السابقة تُقرأ بشكل واضح على ما يُسمى "حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها"، كما أنها تُدين بقوة عملية طوفان الأقصى، ومع إنها في البداية كانت تدعو إلى تأمين الاحتياجات الإنسانية للمدنيين في غزة إلا أن ذلك لم يكن يُشير بشكل واضح وصريح لمسؤولية "إسرائيل" عن ذلك، وهو ما ينطبق على تكرار الدعوة للإفراج عن الرهائن الإسرائيليين، دون الإشارة إلى آلاف المعتقلين الفلسطينيين في السجون الصهيونية.⁹

3. الموقف من البعد الإنساني خلال المعارك: تعددت زيارات المسؤولين الأوروبيين ومسؤولي الاتحاد الأوروبي إلى المنطقة، وكان التركيز في هذه الزيارات على مسألتين هما موضوع المساعدات من ناحية وموضوع الرهائن الإسرائيليين من ناحية أخرى، وتتضح المواقف الأوروبية بخصوص أبعاد المواجهة بين طرفي الصراع من خلال بعض المؤشرات مثل:¹⁰

• نص البيان الأول للاتحاد الأوروبي في 2023/10/15 والذي امتنعت هنغاريا عن توقيعه على "إدانة بأقصى العبارات لهجوم حماس.. والتأكيد على حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها.. وضرورة حماية المدنيين.. وإطلاق فوري للرهائن دون أي شروط مسبقة.. وتوفير المساعدات للمدنيين وعدم إساءة استخدامهما من قبل المنظمات "الإرهابية"، والتأكيد على الالتزام بتحقيق سلام دائم على أساس حلّ

الدولتين.. والتعامل مع السلطة الشرعية الفلسطينية التي يمكن أن يكون لها دور إيجابي“. وتكرر هذا الموقف تقريباً بمضمونه كله في بيان القادة الأوروبيين في 2024/3/11 مع إضافة فقرة تدعو ”إسرائيل“ إلى الامتناع عن الهجوم على رفح، وتُدين بعض تصرفات المستوطنين الإسرائيليين تجاه الفلسطينيين في الضفة الغربية.¹¹ وفي 2024/4/3 أصدرت المفوضية بياناً يخصّ قتل الجيش الإسرائيلي سبعة من العاملين في ”المطبخ المركزي العالمي World Central Kitchen“ الذي يشارك في تقديم المساعدات الإنسانية للمدنيين في القطاع، وطالبت المفوضية الأوروبية بإجراء ”تحقيق شامل وضمن محاسبة المسؤولين عن ذلك“.¹² ومن الضروري هنا التنويه أن القرارات الأوروبية لا تتضمن أي إجراءات عقابية لـ”إسرائيل“ على الرغم من هول المآسي الإنسانية في قطاع غزة، بل وأحياناً في الضفة الغربية، واقتصرت الإجراءات الأوروبية على خطوات متواضعة مثل فرض لجنة العقوبات الأوروبية لحقوق الإنسان لعقوبات على أربعة أفراد من المستوطنين وجماعتين من تنظيمات المستوطنين المتطرفة، بسبب مشاركتهم في التعذيب للفلسطينيين أو الاعتداء على ممتلكاتهم في الضفة الغربية والقدس، إلى جانب مطالبة الاتحاد في بيانه في آذار/ مارس 2024 بضمان حرية وصول الفلسطينيين إلى الأماكن المقدسة في القدس، إلى جانب إدانة الاستمرار في سياسة الاستيطان في الضفة الغربية.¹³

• استمرار التضارب في تصريحات قادة الاتحاد الأوروبي، ففي تشرين الأول/ أكتوبر 2023 قال المستشار الألماني أولاف شولز Olaf Scholz بأن ”إسرائيل دولة ديمقراطية تهتدي بالمبادئ الإنسانية، وهو ما يؤكد لنا أن الجيش الإسرائيلي سيحترم القواعد المنبثقة من القانون الدولي في كل ما يقوم به.. وأنا لا يساورني الشك في ذلك“، بينما انتقد كل من جوزيب بوريل وتشارلز مايكل Charles Michel رئيس مؤتمر القمة الأوروبي ”الإغلاق الشامل لغزة ومهاجمة البنى التحتية المدنية“، وعده مناقضاً للقانون الدولي.¹⁴ وهو ما يخالف أقوال المستشار الألماني.

أما البرلمان الأوروبي والذي يفترض بأنه يمثل الإرادة الشعبية الأوروبية فقد فشل في اتخاذ قرار بخصوص الأزمة، ولم يتمكن من الاتفاق على قرار إلا بعد أكثر من ثلاثة شهور على القتال، ففي كانون الثاني/ يناير 2024 اتخذ البرلمان الأوروبي قراراً



يدعو إلى وقف إطلاق النار، لكن القرار يربط بين وقف إطلاق النار وبين شرطين هما "تفكيك حركة حماس واستعادة الرهائن الإسرائيليين دون أي شروط"،¹⁵ وهو ما يعني تحقيق الأهداف العسكرية الإسرائيلية المعلنة دون أن تتحمل "إسرائيل" أيّ خسائر. كما أن الاتحاد الأوروبي دعا في بيان وافقت عليه 26 دولة "لوقف إنساني" للقتال في شباط/فبراير 2024، ولم تعترض على القرار إلا هنغاريا.¹⁶ مما حال دون صدور القرار، وهو ما سعت له "إسرائيل".

4. التصور الأوروبي لتسوية الحرب في غزة والتسوية للصراع العربي الصهيوني: يشير تتبع المواقف الأوروبية إلى تحولات تدريجية وبطيئة إلى حدّ ما في المواقف الأوروبية خلال طوفان الأقصى وخلال الصراع التاريخي، وهو ما يتضح في المؤشرات التالية:

- التحول في التصويت في الأمم المتحدة United Nations: عند مقارنة التصويت في الجمعية العامة United Nations General Assembly على مشروعات تسوية تتضمن وقف إطلاق النار الإنساني بعد طوفان الأقصى، لم يصوت لصالح القرار الأول في 2023/10/27 سوى 8 دول أوروبية من بينها فرنسا، من بين الـ 27 عضواً في الاتحاد الأوروبي، بينما عارض أو امتنع عن التصويت بقية الأعضاء، وفي قرار الجمعية في 2023/12/12 صوتت غالبية الدول الأوروبية لقرار الدعوة لوقف إطلاق النار باستثناء كل من النمسا وجمهورية التشيك وهما الأكثر تأييداً للموقف الإسرائيلي، وهو ما يتضح من الجدول التالي:

جدول رقم 1: التحولات في التصويت الأوروبي في الجمعية العامة
حول طوفان الأقصى¹⁷

الدول	قرار 2023/12/12	الدول	قرار 2023/10/27
بلجيكا، اليونان، كرواتيا، إيرلندا، قبرص، لاتفيا، الدنمارك، لوكسمبورغ، مالطا، إستونيا، فنلندا، بولندا، فرنسا، البرتغال، سلوفينيا، إسبانيا، السويد	17	فرنسا، بلجيكا، إيرلندا، لوكسمبورغ، مالطا، البرتغال، سلوفينيا، إسبانيا	تأييد: 8
النمسا، التشيك	2	النمسا، كرواتيا، التشيك، هنغاريا	رفض: 4
بلغاريا، ألمانيا، هنغاريا، إيطاليا، ليتوانيا، سلوفاكيا، رومانيا، هولندا	8	بلغاريا، قبرص، الدنمارك، إستونيا، فنلندا، ألمانيا، اليونان، إيطاليا، لاتفيا، ليتوانيا، هولندا، بولندا، سلوفاكيا، السويد، رومانيا	امتناع: 15

• أما في مجلس الأمن الدولي United Nations Security Council، فقد صدرت 3 قرارات عنه أولها في 2023/11/15 (أقره 12 عضواً) ويدعو لهدنة إنسانية، وفي 2023/12/22 (أقرته 13 دولة) صدر قرار بزيادة المساعدات الإنسانية وفتح المعابر لقطاع غزة، أما القرار الثالث فكان في 2024/3/25 فدعا لوقف إطلاق النار والإفراج غير المشروط عن الرهائن. وأجهضت الولايات المتحدة مشروع قرار قدمته الجزائر في مجلس الأمن الدولي في 2024/4/19 للاعتراف بفلسطين كدولة كاملة العضوية في الأمم المتحدة.



• وعند مراقبة التصويت الأوروبي يتبين لنا:¹⁸

1. في القرار الأول امتنع الأوروبيون عن التصويت؛ سويسرا وفرنسا وبريطانيا ومالطا.

2. في القرار الثاني نال تأييد فرنسا وبريطانيا ومالطا وسويسرا.

3. القرار الثالث نال تأييد بريطانيا وفرنسا وسلوفينيا ومالطا.

4. مشروع القرار الذي أجفضه الفيتو الأمريكي، أيده فرنسا ومالطا وسلوفينيا من ناحية، وامتنعت الدول الأوروبية من غير الأعضاء في الاتحاد عن التصويت؛ بريطانيا وسويسرا.¹⁹

وتدل المقارنة في التصويت أن عدد الدول التي اتجهت لموقف أقرب نسبياً للموقف الفلسطيني تزايدت خصوصاً في الجمعية العامة ومجلس الأمن، كما أن الموقف الفرنسي والبريطاني في مجلس الأمن اتسم ببعض التغير في الاتجاه ذاته.

وعند إلقاء نظرة تاريخية على السلوك التصويتي للاتحاد بشكل خاص وأوروبا بشكل عام، نجد أن صفة التباين تبقى قائمة، وهي مسألة تأثرت بتزايد عدد أعضاء الاتحاد الأوروبي؛ فقد زاد عدد الأعضاء من 11 عضواً قبل انهيار الاتحاد السوفييتي إلى 27 عضواً الآن، من ناحية وبطبيعة التحولات التي أصابت النظام الدولي من ناحية ثانية. وتدل الدراسات الكمية أن موضوع الصراع العربي الإسرائيلي يحتل المرتبة الثانية من حيث درجة التوافق بين الدول الأوروبية (بعد موضوع الديمقراطية) في التصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة خلال الفترة من 1987-2005، وكانت نسبة التوافق العامة هي 73% ولكنها تراجع بعد ذلك، وتتغير نسبة التوافق من موضوع لآخر، وبلغت في قطاع التوافق على قرارات الأمم المتحدة في الصراع العربي الإسرائيلي 48%.²⁰ وتتباين في الموضوعات الأخرى بشكل واضح لا سيما بين النظم الفرعية داخل الاتحاد الأوروبي.²¹

ثانياً: تعددية المواقف بين مؤسسات الاتحاد الأوروبي :

أشرنا أعلاه إلى الهيئات المركزية في عملية صنع واتخاذ القرار الأوروبي (المفوضية والبرلمان والمجلس)، وإلى إشكالية قاعدة الإجماع في اتخاذ القرار، ونلاحظ هنا أن التضارب في المواقف ينعكس بين مؤسسات الاتحاد من ناحية وبين الدول الأعضاء من ناحية أخرى، ناهيك عن أن ضرورة الإجماع تعطي أي دولة ما يعادل حق النقض "الفيتو veto" على أي قرار، وقد اتضح ذلك بشكل جلي في مؤتمر القمة الأوروبي الذي تمّ عقده في منتصف كانون الأول/ ديسمبر 2023، حيث فشل المؤتمر في إصدار بيان حول الأزمة بالرغم من السعي الجاد من قبل بلجيكا وإيرلندا ومساندة كل من سلوفينيا وإسبانيا للدعوة لوقف إطلاق النار، كما اتسم موقف رئيسة المفوضية الأوروبية أورسولا لين Ursula von der Leyen والمنتمية للحزب المسيحي الديمقراطي الألماني Christian Democratic Union of Germany، بقدر من التشدد لصالح "إسرائيل". أما على المستوى الاستراتيجي لتسوية النزاع العربي الصهيوني، فبقي الاتحاد الأوروبي يكرر دعواته لتبني حل الدولتين دون الخوض في تفاصيل هذا الحل أو إجراءات تطبيقه.²²

ثالثاً: التباين الأوروبي تجاه وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين :

بعد أن ادعت "إسرائيل" أن 12 موظفاً من موظفي وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) United Nations Relief and Works Agency for Palestine Refugees in the Near East (UNRWA) في قطاع غزة شاركوا في طوفان الأقصى، اتخذت 18 دولة، من بينها بعض الدول الأوروبية، في مطلع كانون الثاني/ يناير 2024 قراراً بتعليق إسهامها في ميزانية الوكالة، وكان من بين الدول الأوروبية فرنسا وألمانيا وإيطاليا والنمسا وفنلندا وبريطانيا، بينما أصرت كل من إسبانيا وإيرلندا ولوكسمبورغ على استمرار إسهامها في موازنة الوكالة، لكن الاتحاد الأوروبي عاد وأقر في مطلع آذار/ مارس 2024 تخصيص 68 مليون يورو يتم دفعها للفلسطينيين عبر الصليب الأحمر الدولي International Committee of the Red Cross وغيره من المنظمات الإنسانية إلى جانب الـ 82 مليون يورو المخصصة



أصلاً لسنة 2024، لكن الاتحاد اشترط بعض الشروط لتطبيقها على العاملين الذين يتمّ توظيفهم في الوكالة بما يضمن عدم انخراطهم في أعمال "إرهابية".²³

وعلى الرغم من أن تحقيقاً دولياً أو أوروبياً لم يجرِ حول الادعاء الإسرائيلي، إلا أن دولاً وازنة كألمانيا وفرنسا وإيطاليا ومعهم بريطانيا سارعت لاتخاذ إجراء بتعليق المساعدة، وعلى الرغم من أن عدد موظفي وكالة الغوث لللاجئين الفلسطينيين يقارب 30 ألف موظف، فإن مخالفة (لو صح هذا الادعاء) أقل من 0.04 % من الموظفين لا يبرر معاقبة مؤسسة دولية بهذا الحجم كما ذكر كاتب ياباني.²⁴ وقد انتقد عدد كبير من خبراء القانون الدولي في لجنة حقوق الإنسان الأممية القرار بتعليق المساعدات للوكالة، ورأوا أن تحميل الوكالة مسؤولية مخالفات بعض موظفيها—إنْ صحت—هو أمر غير جائز لأنه يرتب نتائج ضارة للغاية على حقوق الإنسان، وهو الموقف الذي ساندته محكمة العدل الدولية International Court of Justice،²⁵ وقد أدى غياب أي أدلة على الزعم الإسرائيلي إلى بداية إعادة النظر في قرار وقف المساعدات من عدد من الدول.

لكن موقف بعض الدول الأوروبية خصوصاً الكبرى منها يكشف سرعة اللجوء الأوروبي للإجراءات العقابية، حين الادعاء من الطرف الإسرائيلي، حتى لو لم يتم التحقق من هذا الادعاء، بينما يكون التلكؤ هو القاعدة في أي ادعاءات فلسطينية، حتى لو جرى التحقق من صحتها، ويعود ذلك في تقديرنا إلى ثلاثة أسباب هي:²⁶

1. التكيف الأوروبي مع السياسة الأمريكية في إطار التنافس القطبي مع كل من الصين وروسيا، وهو ما يتجلى في هامشية الدور الأوروبي في اللجنة الرباعية لتسوية الصراع وهيمنة الولايات المتحدة على عمل اللجنة، وفي عدم المشاركة في مفاوضات تسوية الوضع في الحرب الحالية في غزة وترك ذلك للدور الأمريكي.
2. التباينات الأوروبية التي أشرنا لها بين مؤسسات الاتحاد من ناحية وبين مصالح الدول الأوروبية غير المتناغمة من ناحية ثانية.
3. التشرذم الإقليمي الذي يتضح جلياً في تباين المواقف العربية من ناحية، وتباين بعض المواقف العربية مع إيران، التي تمثل أحد أهم أركان النظام الإقليمي الشرق أوسطي من ناحية ثانية، وهو ما يجعل الدور الأوروبي أقل فاعلية.

رابعاً: الموقف الأوروبي من الهجوم الإيراني على "إسرائيل":

اتسم ردّ الفعل من الاتحاد الأوروبي، وبريطانيا، تجاه الهجوم الإيراني على أهداف عسكرية إسرائيلية في 13/4/2024 بأبعاد ثلاثة:²⁷

1. مشاركة عسكرية فعلية خصوصاً من فرنسا وبريطانيا في التصدي للصواريخ والمسيرات الإيرانية لحماية "إسرائيل"، وخصوصاً في المجال الجوي الأردني.
2. دعم التوجه نحو مزيد من العقوبات على إيران، خصوصاً في مجال التكنولوجيا العسكرية.
3. التأكيد على منع تصاعد المواجهات على المستوى الإقليمي.

وبتحليل المواقف الأوروبية الثلاثة نشير إلى ما يلي:

1. سرعة الاستجابة الأوروبية للرد على الموقف الإيراني بينما لم يتخذ الاتحاد الأوروبي أيّ إجراءات تجاه أيّ أفعال إسرائيلية مهما كانت، أي أن الاتحاد الأوروبي يعتمد "العتاب الدبلوماسي" لـ "إسرائيل" بينما يسارع لرد الفعل الإجمالي تجاه أي طرف يرى الاتحاد أنه معادٍ لـ "إسرائيل"، ففي الوقت الذي شاركت قوى أوروبية في التصدي للهجوم الإيراني وبدأت في مناقشة فرض العقوبات على إيران مباشرة بعد الهجوم، فإن الاتحاد الأوروبي اكتفى بـ "إدانة" الهجوم الإسرائيلي على القنصلية الإيرانية في دمشق دون اتخاذ أي إجراء، على الرغم من أن الهجوم الإسرائيلي تجاوز جوهر القانون الدولي في شقه الدبلوماسي، بالهجوم على بعثة دبلوماسية، وفي شقه السياسي بالاعتداء على سيادة دولة مستقلة وعضو في الأمم المتحدة، سورية، ناهيك عن أن الهجوم على البعثة الإيرانية ترتب عليه وقوع ضحايا مدنيين وعسكريين.

2. التأكيد على التباينات داخل الاتحاد الأوروبي خصوصاً في مجال السياسة الخارجية، ففي الوقت الذي تبنت فيه هولندا والتشيك والسويد دعوة لتصنيف الحرس الثوري الإيراني Islamic Revolutionary Guard Corps كمنظمة إرهابية، أبدت فرنسا وألمانيا تردداً في قبول الاقتراح بذريعة أن الأخذ بهذا القرار يستوجب إثبات قيام الحرس الإيراني بأعمال تمسّ الأمن الداخلي لدول الاتحاد، وهو أمر لا أدلة عليه.



خامساً: التحول في اتجاهات الرأي العام الأوروبي:

تراوحت المواقف الأوروبية بين التأييد الخجول للموقف الفلسطيني وبين التأييد الواسع على الرغم من أن بعض الدول الأوروبية الكبرى مثل ألمانيا منعت مظاهر التأييد لفلسطين، وبعضها الآخر اتخذ إجراءات قمعية ضدّ مظاهر التأييد للفلسطينيين مثل رفع الأعلام أو ارتداء الكوفية الفلسطينية وهو ما جرى في 12 دولة أوروبية، بل وتمّ تسجيل حالات استخدام عنف تمّ توثيقها في سبع دول أوروبية.²⁸ لكن المتابعة تشير إلى أن بعض الدول مثل فرنسا وسويسرا واجهت مشكلات مع الهيئات القضائية المحلية في محاولات منع مظاهرات التأييد للفلسطينيين.²⁹ وتكاد خريطة توزيع المظاهرات في أوروبا المؤيدة لفلسطين تغطي بشكل واضح على التأييد لـ "إسرائيل".³⁰ ولعل ذلك يشير إلى التأييد الشعبي الأوروبي الواسع للموقف الفلسطيني، إذ تدل متابعتنا لاستطلاعات الرأي الأوروبي بخصوص طوفان الأقصى أن هناك قدراً من عدم التناغم بين المسؤولين في الاتحاد الأوروبي وبين القطاعات الشعبية بخصوص الموقف من عملية طوفان الأقصى، ويكفي أن نقارن بين مواقف أورسولا لين الداعمة لـ "إسرائيل" دون أيّ تحفظات، ومواقف كلاً من رئيس المجلس الأوروبي تشارلز مايكل البلجيكي، وممثل الشؤون الخارجية للاتحاد الأوروبي جوزيب بوريل، الأكثر نقداً للمواقف الإسرائيلية من ناحية، ثم المقارنة بين الموقف الرسمي والموقف الشعبي الأوروبي تجاه الأزمة. فعلى سبيل المثال، في الوقت الذي يمثل الموقف الهولندي الرسمي الموقف الأكثر انحيازاً لـ "إسرائيل" فإن 55% من المجتمع الهولندي يطالبون بمزيد من النقد للسياسات الإسرائيلية، مقابل 6% فقط يؤيدون دعمها، وفي ألمانيا التي تقف في المعسكر الأكثر عداء للموقف الفلسطيني فإن 61% من المجتمع الألماني يرفض مبررات السياسات الإسرائيلية مقابل 25% يؤيدونها.³¹

وتشير استطلاعات الرأي الأوروبي، بما فيها بريطانيا، إلى أن استمرار الحملة العسكرية الإسرائيلية دفعت مستويات التعاطف مع "إسرائيل" لدى الجمهور الأوروبي إلى التراجع بمعدل 9% خلال الفترة من تشرين الأول/ أكتوبر إلى كانون الأول/ ديسمبر 2023، كما أن القطاع الشعبي المتعاطف مع أي من الطرفين، فلسطين أو "إسرائيل"، يكشف عن انشطار واضح في الموقف الشعبي الأوروبي،

فمثلاً أبدى ما بين 24-31% تعاطفاً مع الطرفين، أي بمعدل 28% تقريباً، كما أن ما بين 27-37% من الأوروبيين "غير متأكد من تعاطفه"، وهو ما يعني أن 32% من الأوروبيين لا يُعرف أيهما أقرب لموقفه، وأن نحو 30% من الأوروبيين ليس مع أي طرف.³²

أما عملية طوفان الأقصى تحديداً وردّ الفعل الإسرائيلي عليها فقد كشفت الاستطلاعات الأوروبية عن ما يلي:³³

جدول رقم 2: توجهات الرأي العام الأوروبي تجاه تبرير الحرب على غزة بحسب الاستطلاع الذي أُجري في منتصف تشرين الثاني/ نوفمبر 2023

هجوم حماس في 7 تشرين الأول/ أكتوبر	بريطانيا	فرنسا	ألمانيا*	إيطاليا	إسبانيا	الدنمارك	السويد
غير مبرر	75	64	75	70	80	76	70
مبرر	4	11	8	7	7	6	8
لا أعرف	21	26	17	23	13	19	22
الهجوم الإسرائيلي على قطاع غزة	بريطانيا	فرنسا	ألمانيا*	إيطاليا	إسبانيا	الدنمارك	السويد
غير مبرر	44	37	44	56	59	42	41
مبرر	29	34	35	18	25	34	32
لا أعرف	27	29	21	26	16	25	28

* ما عدا ألمانيا التي أُجري الاستطلاع بها أوائل كانون الأول/ ديسمبر 2023.

1. يلاحظ أن أعلى نسبة نقد لعملية الطوفان كانت بين الإسبان على الرغم من أن حكومتهم الأكثر قرباً من الموقف الفلسطيني، وكان الأقل نقداً للعملية الشارع الفرنسي على الرغم من أن الموقف الإسباني الرسمي متقدم بشكل واضح مقارنة بالموقف الرسمي الفرنسي.

2. كانت أعلى نسبة رفض لرد الفعل الإسرائيلي على الطوفان في المجتمع الإسباني أيضاً، بينما كانت نسبة أقل نقد في الشارع الفرنسي.

3. إن معدل رفض عملية الطوفان بين الأوروبيين هو 77.9% بينما معدل النقد للهجوم الإسرائيلي هو 46%.

أما بخصوص دعوة "إسرائيل" لوقف إطلاق النار فكانت النتائج كما يوضح الجدول التالي:

جدول رقم 3: موقف الرأي العام من توقف أو استمرار "إسرائيل" في حملتها العسكرية

إيطاليا	إسبانيا	بريطانيا	فرنسا	ألمانيا	الدنمارك	السويد	
73	70	59	59	57	57	55	عليها أن توقف إطلاق النار
8	16	19	22	23	22	42	يجب أن تستمر في عملياتها العسكرية
19	14	22	19	20	21	21	لا يعرف

والملاحظ، إن أعلى نسبة تأييد "إسرائيل" للاستمرار في عملياتها العسكرية هو في السويد 42%، وأقلها في إيطاليا، كما أن الرأي العام في كل من إيطاليا وإسبانيا أكثر ميلاً بشكل واضح إلى ضرورة وقف "إسرائيل" لإطلاق النار، بينما بقية الدول الأوروبية تراوحت نسب تأييد شعوبها لوقف إطلاق النار بين 55 و59%.

أما بخصوص حلّ الدولتين فكانت النتائج كما يوضح الجدول التالي:

جدول رقم 4: موقف الرأي العام الأوروبي من حلّ الدولتين

ألمانيا	إسبانيا	إيطاليا	دنمارك	بريطانيا	السويد	فرنسا	الموضوع
70	70	69	67	66	63	60	مع حل الدولتين
11	13	11	11	7	13	14	ضدّ حل الدولتين
18	18	21	22	27	25	26	غير متأكد

يلاحظ بخصوص حل الدولتين أن التأييد الأقل بين الفرنسيين 60%، بينما يصل إلى 70% بين سكان ألمانيا وإسبانيا، وهو ما يعني أن أكثر من ثلثي المجتمعات الأوروبية تؤيد حل الدولتين.

ومن الواضح أن المؤشرات الكمية السابقة تشير إلى تباعد المسافة السياسية بين بعض مواقف الحكومات الرسمية وبين شعوبها، وهو ما يجعل المشهد الأوروبي أكثر إرباكاً وأقل يسراً لاتخاذ القرار.

الارتباك الأوروبي:

أشرنا في الصفحات السابقة إلى معسكرات أو أجنحة متباينة تماماً في مواقف أوروبا الرسمية، فهناك تباين في مواقف الحكومات من الطوفان، وهناك تباين في التصويت في الأمم المتحدة من مرحلة لأخرى، وتباين في مواقف الرأي العام الأوروبي، وتباين في درجة اتساق الرأي العام في كل دولة مع توجهات حكومة هذه الدولة، وهو أمر ينطبق لا على دول الاتحاد فقط بل وعلى بريطانيا كدولة فاعلة في السياسات الأوروبية.³⁴

واللافت للنظر، أن التباعد بين مواقف الدول الأوروبية ليس هامشياً، ويكفي مقارنة الموقف الإيرلندي والإسباني من ناحية مع موقف النمسا وجمهورية التشيك من ناحية ثانية، فإيرلندا أعلنت في الأسبوع الأول من نيسان/ أبريل 2024، على سبيل المثال، بأنها تسعى للانضمام إلى دعوى جنوب إفريقيا في محكمة العدل الدولية؛ "لإدماج موضوع عرقلة المساعدات الإنسانية ضمن مقومات الإبادة الجماعية"، خلافاً للموقف التشيكي أو الهنغاري.³⁵

خلاصة:

1. اتساع القبول الأوروبي بوقف إطلاق النار حسب قرارات الأمم المتحدة، الجمعية العامة ومجلس الأمن.
2. اتساع قاعدة النقد والرفض للموقف الإسرائيلي من المجتمع الأوروبي.
3. التراجع السريع عن وقف مساعدة وكالة الغوث للاجئين الفلسطينيين.
4. صعوبة اتخاذ القرار الموحد داخل الاتحاد الأوروبي بخصوص فلسطين.
5. مسارعة الدبلوماسية الأوروبية لاتخاذ إجراءات عملية ضد الطرف العربي في حالة الخلاف حول موضوع معين، بينما يتسم الموقف الأوروبي بالتلكؤ والمماطلة



والذرائعية أمام المخالفات الإسرائيلية حتى الواضحة منها، ويتضح ذلك في غلبة الامتناع عن التصويت أوروبياً في مثل هذه المواقف.

6. إن التنافس القطبي على المنطقة، والتباينات الداخلية الأوروبية، والتشرذم الإقليمي عوامل تجعل وزن القرار الأوروبي أقل مركزية في الصراع العربي الصهيوني، بالرغم من القوة السكانية والاقتصادية والعسكرية والعلمية الأوروبية.

الهوامش

¹ انظر: وليد عبد الحي، أزمة الموقف الأوروبي من طوفان الأقصى، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2024/5/2.

² Pinar Tat , Abdullah Altun and Halit Yanikkaya, MENA trade patterns and the pursuit of growth, site of The Forum, 31/10/2023, <https://theforum.erf.org.eg/2023/10/30/mena-trade-patterns-and-the-pursuit-of-growth/>

³ What the EU stands for on Gaza and the Israeli-Palestinian conflict, site of European Union- External Action, 15/11/2023, https://www.eeas.europa.eu/eeas/what-eu-stands-gaza-and-israeli-palestinian-conflict_en

⁴ How EU policy is decided, site of European Union (EU), https://european-union.europa.eu/institutions-law-budget/law/how-eu-policy-decided_en

⁵ Gaza-Israel conflict, site of Wikipedia, https://en.wikipedia.org/wiki/Gaza%E2%80%93Israel_conflict; Timeline: Israel's attacks on Gaza since 2005, site of Aljazeera.net, 7/8/2022, <https://www.aljazeera.com/news/2022/8/7/timeline-israels-attacks-on-gaza-since-2005>; and Ismaeel Naar, Timeline: Major military operations between Israel and Gaza, site of The National News, 7/10/2023, <https://www.thenationalnews.com/mena/2023/10/07/timeline-major-military-operations-between-israel-and-gaza>

⁶ Critique of German media's handling of Gaza Conflict, Al Jazeera Journalism Review, site of Aljazeera Media Institute, 16/11/2023, <https://institute.aljazeera.net/en/ajr/article/2428>

⁷ Martin Konečný, The EU's Response to the Gaza War Is a Tale of Contradiction and Division, Winter 2024, site of The Cairo Review of Global Affairs, <https://www.thecaireview.com/essays/the-eus-response-to-the-gaza-war-is-a-tale-of-contradiction-and-division>

⁸ Ibid.

⁹ European Council conclusions on Middle East, 26 October 2023, site of European Council, 26/10/2023, <https://www.consilium.europa.eu/en/press/press-releases/2023/10/26/european-council-conclusions-on-middle-east-26-october-2023>

¹⁰ Statement of the Members of the European Council on the situation in the Middle East, European Council, 15/10/2023, <https://www.consilium.europa.eu/en/press/press-releases/2023/10/15/statement-agreed-by-the-27-members-of-the-european-council-on-the-situation-in-the-middle-east/>

¹¹ Barbara Moens and Claudia Chiappa, EU leaders plan to demand 'sustainable cease-fire' in Gaza, site of Politico, 12/3/2024, <https://www.politico.eu/article/eu-call-sustainable-cess-fire-in-gaza/>

¹² Gaza/Israel: Joint Statement by High Representative and Commissioner for Crisis Management on killing of humanitarian workers, site of the European Commission, 3/4/2024, https://civil-protection-humanitarian-aid.ec.europa.eu/news-stories/news/gazaisrael-joint-statement-high-representative-and-commissioner-crisis-management-killing-2024-04-03_en



Extremist settlers in the occupied West Bank and East Jerusalem: Council sanctions four¹³ individuals and two entities over serious human rights abuses against Palestinians, European Council, 19/4/2024,

<https://www.consilium.europa.eu/en/press/press-releases/2024/04/19/extremist-settlers-in-the-occupied-west-bank-and-east-jerusalem-council-sanctions-four-individuals-and-two-entities-over-serious-human-rights-abuses-against-palestinians/#:~:text=2024%2014%3A30,Extremist%20settlers%20in%20the%20occupied%20West%20Bank%20and%20East%20Jerusalem,Global%20Human%20Rights%20Sanctions%20Regime>

Gabriela Baczyńska and Andrew Gray, EU leaders urge pauses in Gaza bombing to get aid in,¹⁴ site of Reuters News Agency, 26/10/2023, <https://www.reuters.com/world/eu-leaders-tackle-middle-east-war-aim-keep-up-ukraine-support-2023-10-26/>

Mared Gwyn Jones, Israel Hamas war: In a first, the European Parliament calls for a “permanent¹⁵ ceasefire,” site of Euronews, 18/1/2024, <https://www.euronews.com/my-europe/2024/01/18/israel-hamas-war-in-a-first-the-european-parliament-calls-for-a-permanent-ceasefire>

26 EU countries call for immediate ‘humanitarian pause’ in Gaza, site of France24, 19/2/2024,¹⁶ <https://www.france24.com/en/middle-east/20240219-%F0%9F%94%B4-live-israel-vows-to-finish-the-job-in-gaza-sets-ramadan-deadline-for-rafah>

EU Overwhelmingly Votes at UN for Humanitarian Ceasefire in Gaza, site of United Nations¹⁷ Regional Information Centre for Western Europe, 13/12/2023, <https://unric.org/en/eu-overwhelmingly-votes-at-un-for-humanitarian-ceasefire-in-gaza/>

UN Security Council Passes Gaza Aid Resolution as US Abstains, *The New York Times* newspaper,¹⁸ 22/12/2023, <https://www.nytimes.com/live/2023/12/22/world/israel-hamas-war-gaza-news>; UN Security Council adopts resolution calling for humanitarian pauses, corridors in Gaza, site of Xinhua, 16/11/2023, <https://english.news.cn/20231116/0abc23221c854c47b38bd9ff560a506e/c.html>; UN Security Council passes resolution calling for Gaza ceasefire, site of British Broadcasting Corporation (BBC), 25/3/2024, <https://www.bbc.com/news/world-middle-east-68658415>; Security Council Meetings in 2023, site of Dag Hammarskjöld Library, <https://research.un.org/en/docs/sc/quick/meetings/2023>; and <https://documents.un.org/doc/undoc/pro/n23/358/03/pdf/n2335803.pdf?token=NygGGapOSoZJax4A1i&fe=true>

Julian Borger, US vetoes Palestinian request for full UN membership, *The Guardian* newspaper,¹⁹ 18/4/2024, <https://www.theguardian.com/us-news/2024/apr/18/us-veto-palestine-membership-request-united-nations-council>

Gabriele Birnberg, “The Voting Behaviour of the EU Members States in the UN general²⁰ Assembly” (PhD dissertation, The London School of Economics and Political Science, 2009), pp. 132–141, https://etheses.lse.ac.uk/23/1/Birnberg_The_voting_behaviour_of_the_European_Union_member_states_in_the_United_Nations_General_Assembly.pdf

Rodrigo Barros de Albuquerque and Christian de Almeida Brandão, “The European Union²¹ Foreign Policy: voting cohesion through Europeanization of the Nordic countries and the Netherlands in the UN General Assembly, 1993-2018,” *Carta Internacional* journal, vol. 18, no. 2, 2023, pp. 11–20.

Mared Gwyn Jones, No EU call for Gaza ceasefire despite Belgium and Ireland’s pleas,²² Euronews, 15/12/2023, <https://www.euronews.com/my-europe/2023/12/15/no-eu-call-for-gaza-ceasefire-despite-belgium-and-irelands-pleas>

Mared Gwyn Jones and Laszlo Seres, EU to continue funding UNRWA as it probes alleged staff²³ involvement in Oct 7 attacks, Euronews, 1/3/2024, <https://www.euronews.com/2024/03/01/eu-to-continue-funding-unrwa-as-it-probes-alleged-staff-involvement-in-oct-7-attacks>

Hold UNRWA accountable — but don’t harm those in need, site of The Japan Times, 2/2/2024,²⁴ <https://www.japantimes.co.jp/editorials/2024/02/02/unrwa-employees/>

States must reinstate and strengthen support to UNRWA amid unfolding genocide in Gaza: UN²⁵ experts, site of Office of the UN High Commissioner of Human Rights, 2/2/2024, <https://www.ohchr.org/en/press-releases/2024/02/states-must-reinstate-and-strengthen-support-unrwa-amid-unfolding-genocide>

Sinem Akgul Acikmese and Soli Ozel, “EU Policy Towards the Israel-Palestine Conflict: The²⁶ Limitations of Mitigation Strategies,” *The International Spectator* journal, vol.59, no.1, 2024, pp.62–68.

EU Working To Expand Iran Sanctions After Attack On Israel: Borrell, site of Barron’s,²⁷ 16/4/2024,

<https://www.barrons.com/news/eu-working-to-expand-iran-sanctions-after-attack-on-israel-borrell-8f9ff7c0>; US and EU prepare fresh sanctions against Iran after Israel attack, *Financial Times* newspaper, 16/4/2024, <https://www.ft.com/content/d77fe00d-e1d7-4504-b3d3-4fc5aadc5bfb>; and Iran: Statement by the Spokesperson on the attack in Damascus, European Union-External Action, 3/4/2024, https://www.eeas.europa.eu/eeas/iran-statement-spokesperson-attack-damascus_en

European bans on pro-Palestinian protests and Prompt Claims of Bias, *The Washington Post*²⁸ newspaper, 27/10/2023, <https://www.washingtonpost.com/world/2023/10/26/palestine-protest-ban-france-germany/>; and Solidarity protests with Palestinian people banned in at least 12 EU countries, finds new analysis, six months on from the horrific Hamas attack on 7 October, site of European Civic Forum, 4/4/2024, <https://civic-forum.eu/press/solidarity-protests-with-palestinian-people-banned-in-at-least-12-eu-countries-finds-new-analysis-six-months-on-from-the-horrific-hamas-attack-on-7-october>

Europe: Right to protest must be protected during latest escalations in Israel/OPT, site of²⁹ Amnesty International, 20/10/2023, <https://www.amnesty.org/en/latest/news/2023/10/europe-right-to-protest-must-be-protected-during-latest-escalations-in-israel-opt/>

Swords of Iron: An Overview, Data Analytics Desk, site of The Institute for National Security Studies (INSS), <https://www.inss.org.il/publication/war-data>

Martin Konečný, The EU's Response to the Gaza War Is a Tale of Contradiction and Division,³¹ Winter 2024, site of The Cairo Review of Global Affairs.

Matthew Smith, Israel-Palestine: fundamental attitudes to the conflict among Western Europeans, site of YouGov, 20/12/2023, <https://yougov.co.uk/politics/articles/48218-israel-palestine-fundamental-attitudes-to-the-conflict-among-western-europeans>; How public opinion on the Israel-Hamas war has shifted, *Financial Times*, 20/11/2023, <https://www.ft.com/content/6bf4f6ed-b705-4e66-ac6f-59b5ef6c0c77>; and Gaza war agitates a divided Europe, *Financial Times*, 9/3/2024, <https://www.ft.com/content/2cb745a9-66e4-4151-a9d5-e71bfb9b5da9>

تمّ تجميع الأرقام من:³³

Claudia De Martino & Ruth Hanau Santini, The Gaza war: a new cleavage for Europe, site of Aspenia online, 28/12/2023, <https://aspeniaonline.it/the-gaza-war-a-new-cleavage-for-europe/>; Matthew Smith, Israel-Palestine: fundamental attitudes to the conflict among Western Europeans, YouGov, 20/12/2023; Bojan Pancevski, Antisemitism Among Muslim Migrants Unsettles a Germany Haunted by the Holocaust, site of The Wall Street Journal, 18/10/2023, <https://www.wsj.com/world/europe/antisemitism-among-muslim-migrants-unsettles-a-germany-haunted-by-the-holocaust-ff359e73>; and How public opinion on the Israel-Hamas war has shifted, *Financial Times*, 20/11/2023.

Martin Konečný, EU's Gaza War Response: A Tale of Contradiction and Division, site of *Clingendael Spectator* magazine, 16/3/2024, <https://spectator.clingendael.org/en/publication/eus-gaza-war-response-tale-contradiction-and-division>

Sam Jones, Rory Carroll and Lisa O'Carroll, How Spain and Ireland became the EU's sharpest critics of Israel, *The Guardian*, 5/4/2024, <https://www.theguardian.com/world/2024/apr/05/spain-ireland-eu-critics-israel-warfare-gaza>

المسلمون غير العرب وطوفان الأقصى¹

أ. د. وليد عبد الحي

مقدمة:

يشكل المسلمون في مجموعهم السكاني نحو 24.9% من سكان العالم بعدد يقارب 1.907 مليار نسمة، ويتوزعون في 48 دولة ذات "أغلبية" إسلامية، كما أن أغلب دول العالم تحتوي على أقليات إسلامية، بل إن بعض الأقليات الإسلامية كما هو الحال في الهند يفوق عددها أغلب الدول ذات الأغلبية الإسلامية. ففي الهند يصل عدد المسلمين نحو 211 مليون نسمة لكنهم لا يمثلون إلا 14.7% من إجمالي السكان،² وتكاد أن تكون مظاهرات الجامعة الإسلامية University Jamia Milia Islamia هي الأبرز في نشاطات هذه الأقلية الكبرى في الهند لمناصرة فلسطين،³ ويشكل مسلمو إقليم جنوب شرق آسيا والهادئ العدد الأكبر بنحو 59.7% من إجمالي عدد المسلمين.⁴ وتضم منظمة المؤتمر الإسلامي 57 دولة عضواً بينها 48 دولة ذات أغلبية سكانية إسلامية، أما أكبر عشر دول إسلامية، غير عربية، من حيث عدد السكان فهي:

جدول رقم 1: عدد السكان المسلمين في أكبر عشر دول غير عربية ذات أغلبية مسلمة⁵

الدولة (أغلبية سكانية مسلمة)	عدد السكان المسلمين بالمليون (إحصاء 2021)
إندونيسيا	229.6
باكستان	200.5
بنغلاديش	153
نيجيريا	104.7
إيران	80.9
تركيا	79.1
أفغانستان	40.6
أوزبكستان	30.8
ماليزيا	22.1
النيجر	21.7



ويبلغ إجمالي الناتج المحلي لمجموع دول منظمة التعاون الإسلامي نحو 8% من إجمالي الناتج المحلي الإسمي العالمي، فإذا حذفنا الاقتصاد النفطي فإن إسهام الدول الإسلامية يساوي نحو 4% من الإجمالي العالمي.⁶

أولاً: توجهات الدول والمجتمعات الإسلامية تجاه تطورات الصراع العربي الصهيوني: حالة طوفان الأقصى:

عندما تدخلت القوات السوفييتية في كانون الأول/ ديسمبر 1979 في أفغانستان، تولت دول عربية وإسلامية الدعوة للتدخل من منظور إسلامي، وشرعت هذه الدول في حملات إعلامية واسعة والدعوة للتطوع للقتال ضد القوات السوفييتية، وبدأت بفتح صناديق التبرعات الشعبية والرسمية لمناصرة "مجاهدي أفغانستان"، واتسق هذا الموقف مع الموقف الأمريكي الذي كان يسعى لهزيمة السوفييت.

لكن مقارنة ردة الفعل الإسلامية تجاه طوفان الأقصى وتداعياته لا يتوازى مع ردة الفعل على الغزو السوفييتي لأفغانستان على الرغم من العمق الإسلامي لموضوع القدس، ويبدو أن الفارق الرئيسي بين الواقعتين هو الفارق في الموقف الأمريكي، فواشنطن كانت حريصة على حشد بعض القوى المحسوبة نظرياً على التيارات الإسلامية معها، وعملت على تقديم الأمر بأنه مسّ بالمنظومة الدينية الإسلامية، لكن الأمر مخالف تماماً لموقفها في فلسطين.

لقد بلغ عدد المتطوعين الإسلاميين الذين انضموا لمقاتلي أفغانستان طبقاً لبعض التقديرات نحو 35 ألف متطوع، بينما بلغت التبرعات المالية أكثر من 400 مليون دولار سنوياً خلال الفترة من بداية الغزو إلى سنة 1989، ناهيك عن الدعم الإعلامي الواسع.⁷ وللتأكد من هذا الفارق يكفي أن نتابع ردود الفعل الإسلامية في طوفان الأقصى من خلال النقاط التالية:

السياسات الرسمية للدول الإسلامية غير العربية:

على الرغم من أن منظمة التعاون الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي سابقاً) تأسست كرد فعل على موضوع فلسطيني هو اشتعال النيران في المسجد الأقصى على يد متطرف صهيوني سنة 1969، إلا أن مستوى التفاعل الإسلامي في دول هذه

المنظمة حول طوفان الأقصى يثير تساؤلات حول وزن ونجاعة الحركات الإسلامية في هذه البلاد تجاه القضية الفلسطينية بكل رمزياتها الدينية. كما أن دور منظمة التعاون الإسلامي في مواجهة تداعيات طوفان الأقصى اقتصر في كل بياناته واجتماعات وزراء الخارجية للدول الأعضاء على المناشدات والإدانة للسلوك الإسرائيلي دون اتخاذ أي إجراءات عملية ذات دلالة تتوازي مع حجم العنف الإسرائيلي، ومع قداسة القضية الفلسطينية ومركزيتها حتى في أدبيات أغلب هذه الدول، وهو ما يستدعي التذكير أن من بين الـ 57 دولة إسلامية في منظمة التعاون الإسلامي هناك 10 دول إسلامية غير عربية فقط لا تعترف بـ "إسرائيل" (أفغانستان، وبنغلاديش، وبروناي، وإندونيسيا، وإيران، وماليزيا، والمالديف، ومالي، والنيجر، وباكستان)، بينما هناك 23 دولة إسلامية (غير عربية) تعترف بـ "إسرائيل"، أي أن الاعتراف بـ "إسرائيل" من الجانب الرسمي الإسلامي (العربي وغير العربي) هو 23 دولة إسلامية غير عربية بالإضافة إلى 6 دول عربية،⁸ وهو عدد يشكل نسبة تساوي 50.9% من العضوية في منظمة التعاون الإسلامي مقارنة باعتراف دولي عالمي بـ "إسرائيل" يساوي نحو 85% من مجموع دول العالم الأعضاء في الأمم المتحدة.⁹

ومن الضروري الإشارة بداية إلى أن صورة "إسرائيل" لدى المجتمع الدولي تراجعت خلال الشهور الثلاثة الأولى من معركة طوفان الأقصى بمعدل كلي يصل إلى 18.5% وتواصل التراجع بعد ذلك، وإن التراجع باتجاه الصورة السلبية كان في 42 دولة من بين 43 دولة جرى القياس لرأيها العام، وكانت الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة التي بقيت تنظر إلى "إسرائيل" بإيجابية على الرغم من تراجع نسبة هذه الصورة الإيجابية في أمريكا أيضاً، حيث تراجعت بنسبة 2.2%،¹⁰ وهي مؤشرات تستدعي التساؤل: لماذا ما زال رد الفعل من الدول الإسلامية دون المستوى المطلوب؟

إن مراجعة بيانات منظمة التعاون الإسلامي بعد طوفان الأقصى والصادرة عن المنظمة في تشرين الثاني/نوفمبر 2023 (في السعودية)، وفي أيار/مايو 2024 (في غامبيا)، تشير إلى دعوات لوقف إطلاق النار ولتقديم المساعدات وإدانة الإبادة الجماعية من طرف "إسرائيل"، لكن هذه البيانات لا تتضمن أي إجراءات عملية ضد "إسرائيل" سواء بقطع العلاقات الدبلوماسية مع "إسرائيل" أم بالتعهد الواضح بتقديم المساعدات "غير الشكلية" للشعب الفلسطيني بشكل محدد.¹¹



فإذا انتقلنا إلى المواقف الرسمية للدول الإسلامية غير العربية بشكل عام، يمكن بداية تقسيم هذه الدول إلى ستة أقاليم هي:

- جنوب شرق آسيا والهادئ (ويشمل خمس دول هي: إندونيسيا، وماليزيا، وبروناي، ومالديف، ويضم بعض الباحثين دولة بنغلاديش لهذه المجموعة).
- دول آسيا الوسطى (ويشمل ست دول هي: كازاخستان، وقرغيزيا، وطاجيكستان، وتركمانستان، وأوزبكستان وأذربيجان).
- دول غرب آسيا (باكستان، وإيران، وأفغانستان، وتركيا).
- الدول الإفريقية الإسلامية غير العربية الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي (وتضم 17 دولة هي: نيجيريا، وأوغندا، وموزمبيق، والنيجر، وساحل العاج، والكاميرون، وبوركينا فاسو، وتشاد، والسنغال، وغينيا، وبنين، وتوغو، وسيراليون، وغينيا بيساو، وغامبيا، والغالبون، ومالي).
- إقليم أمريكا اللاتينية ويضم كلاً من غويانا (7% من سكانها مسلمون)، وسورينام (14% من سكانها مسلمون)، وهما عضوان في منظمة التعاون الإسلامي.
- دول البلقان (ألبانيا).¹²

ويمكن إضافة بعض الدول ذات الأغلبية الإسلامية ولكنها ليست عضواً في منظمة التعاون الإسلامية، مثل دولة البوسنة والهرسك (مراقب في المنظمة الإسلامية)، ودولة كوسوفو، ولكنهما تقيمان علاقات دبلوماسية كاملة مع "إسرائيل". وكانت كوسوفو من ضمن الدول الأولى التي نقلت سفارتها إلى القدس، ويبدو أن هناك اتجاهًا في حكومتها يسعى للانضمام لمنظمة التعاون الإسلامي.¹³

وعند رصد هذه الأقاليم الجيوسياسية الإسلامية سنجد تبايناً واضحاً في المواقف السياسية من طوفان الأقصى وتداعياته، ففي منطقة جنوب شرق آسيا (آسيان The Association of South-East Asian Nations—ASEAN)، تشير استطلاعات الرأي في هذا الإقليم أن 46.5% من سكان جنوب شرق آسيا يرون الصراع في غزة بأنه الحدث الجيوسياسي المعاصر الأكثر أهمية بالنسبة لهم، وتفوق هذه النسبة نسبة المستجوبين الذين أعطوا الأهمية لأزمة بحر الصين الجنوبي أو الحرب الروسية الأوكرانية على الرغم من أنهما مسألتان ملحتان ولهما تأثير في جنوب شرق آسيا،

لكن ذلك يعني من ناحية مقابلة أن المجتمع الإسلامي في هذا الإقليم له هموم تبدو لدى أكثر من 54% أكثر أهمية من الصراع العربي الإسرائيلي على الرغم من أولويته.¹⁴

فإذا انتقلنا إلى بنغلاديش التي يراها البعض جزء من هذا الإقليم، نجد الموقف الرسمي في هذه الدولة يؤكد على الموقف المؤيد لفلسطين، لكن حذف الحكومة في نهاية 2020 لعبارة ترد في إحدى صفحات جوازات السفر البنغالية وتنص على أنه "مسموح السفر لكل الدول باستثناء إسرائيل"، أثارت شكوكاً حول دلالات إلغائها، لا سيما وأن بعض المقالات اللاحقة لهذه الخطوة في الإعلام البنغالي انطوت على بعض المقالات التي لا ترى ضيراً من الاعتراف بـ "إسرائيل".¹⁵

وبشكل عام يمكن تصنيف المواقف الرسمية للدول الإسلامية غير العربية إلى ثلاثة مواقف:¹⁶

- دول أبدت تأييدها التام للطرف الفلسطيني (مثل إيران، وتركيا، وباكستان، وماليزيا، وبروناي، وبنغلاديش، وأفغانستان، ومالي، والنيجر... إلخ)، بل إن بعضها مثل التشاد استدعت سفيرها من "إسرائيل"، وشاركت بنغلاديش في رفع الدعوى في المحكمة الجنائية ضد "إسرائيل" بتهمة ممارسة الإبادة الجماعية.
- دول أقرب في موقفها من الموقف الإسرائيلي: وهو ما يتضح في مواقف دول إسلامية في آسيا الوسطى. ويمكن اعتبار أذربيجان وكازاخستان هي الأكثر وضوحاً في هذا الجانب، بينما امتنعت طاجيكستان عن إدانة الطوفان، ومالت أوزبكستان إلى الدعوة لوقف التصعيد، مع ملاحظة أن جميع دول هذا الإقليم تقيم علاقات دبلوماسية مع "إسرائيل"، وهي الأكثر قرباً للموقف الإسرائيلي مقارنة بالأقاليم الأخرى.
- دول حاولت الموازنة بين الطرفين بقدر ما، وهو الموقف الذي التزمت به بشكل عام بعض الدول الإفريقية خصوصاً نيجيريا، كما أن إعلان تركيا "تعلق" تجارتها مع "إسرائيل" والتي تبلغ 6.8 مليار دولار سنة 2023 يشكل خطوة مهمة لا سيما أن تركيا تعدّ الشريك التجاري الأول لـ "إسرائيل" في الشرق الأوسط، ناهيك عن استمرار العلاقة الدبلوماسية بين الطرفين إلى جانب التقارير عن تسهيلات لإيصال البترول للموانئ الإسرائيلية سواء من آسيا الوسطى أم من كردستان العراق.¹⁷



ثانياً: توجهات الرأي العام الإسلامي والمظاهرات الشعبية:

عرفت أغلب دول العالم، خصوصاً الغربية، نشاطاً ملحوظاً في التظاهر ضدّ الموقف الإسرائيلي عقب طوفان الأقصى، خصوصاً في الجانب الخاص بقتل المدنيين، وتدمير البنى التحتية، وعرقلة دخول المساعدات الى قطاع غزة، ويدل رصد هذه المظاهرات بشكل قاطع على اتّساع معدلات التأييد لفلسطين، كما يتضح من الجدول التالي:

جدول رقم 2: مقارنة بين المظاهرات الشعبية في العالم:

المؤيدة لفلسطين والمؤيدة لـ"إسرائيل"

في الفترة تشرين الأول/ أكتوبر 2023 – نيسان/ أبريل 2024¹⁸

الشهر	تشرين الأول/ أكتوبر 2023	تشرين الثاني/ نوفمبر 2023	كانون الأول/ ديسمبر 2023	كانون الثاني/ يناير 2024	شباط/ فبراير 2024	آذار/ مارس 2024	نيسان/ أبريل 2024
مع فلسطين	4,000	3,116	1,773	1,505	1,505	1,773	1,281
مع "إسرائيل"	402	186	29	36	7	7	13
نسبة التأييد لـ"إسرائيل" مقارنة بالتأييد لفلسطين	10.05	5.9	1.6	2.3	0.46	0.39	1

وعند مقارنة "المعدل الشهري" العام للمظاهرات يتبين أن المعدل لصالح فلسطين هو 2,133 مظاهرة في العالم مقابل 97 مظاهرة لصالح "إسرائيل". لكن المفارقة هي أن الفروق بين الدول الإسلامية في التظاهر تأييداً للمقاومة الفلسطينية واضحة بشكل ملفت للنظر، فلو قارنّا عدد المظاهرات في تركيا (1,082 مظاهرة) وفي إيران (895 مظاهرة) مع دول إسلامية أخرى مثل دول آسيا الوسطى الإسلامية أو دول جنوب شرق آسيا، نجد أن المعدل في هذه الدول يتراوح بين صفر إلى ثلاث مظاهرات منذ بداية الطوفان، مع الإشارة إلى أن نسبة التأييد العالمي لـ"إسرائيل" يساوي 3.1% من نسبة التأييد لفلسطين، طبقاً للمعدل الشهري للمظاهرات المؤيدة لكل من طرفي الصراع.¹⁹ وفي الجامعات، فإن الأحداث التي توصف بأنها معادية لـ"إسرائيل" تصل في معدلها الشهري إلى نحو 97 حدثاً.²⁰ بينما لا نجد في أغلب الدول الإسلامية غير العربية مثل هذه النسب.

وتشير المقارنة بين تفاعل العالم بشكل عام وبين تفاعل المجتمعات الإسلامية بقياس التظاهر الجماهيري في آخر البيانات المتوفرة، إلى أن عدد المظاهرات في كل دول العالم المؤيدة لفلسطين حتى نهاية نيسان/ أبريل 2024 هو 14,931 مظاهرة، منها 8,762 مظاهرة في أربع دول إسلامية وعربية هي: اليمن والمغرب وتركيا وإيران. أما في الأقاليم الإسلامية الأخرى، فتكاد المظاهرات تغيب تماماً في دول آسيا الوسطى الإسلامية (كازاخستان، وأوزبكستان، وتركمانستان، وطاجيكستان)، باستثناء مظاهرات قليلة جداً ومحدودة المشاركة بشكل واضح في قرغيزيا التي غلب على توجهاتها الرسمية المساندة لـ "إسرائيل"، بل إن المظاهرات في أذربيجان كانت لصالح "إسرائيل"، ولم يتجاوز عدد المظاهرات في الدول "الإسلامية غير العربية" مجتمعة حتى نيسان/ أبريل 2024 الثلاثين مظاهرة تقريباً.²¹

أما في جنوب شرق آسيا، فقد اتّسمت المظاهرات بقلة عددها وعدم تناسب المشاركين مع أعداد السكان باستثناء بعض المظاهرات الكبرى، لكن تكرارها محدود للغاية كما جرى في إندونيسيا (أكبر دولة إسلامية في العالم)، أو في ماليزيا على الرغم من أنها اتخذت قراراً بمنع السفن الإسرائيلية من الرسو في موانئها، إلى جانب مشاركة شعبية رمزية في بروناي. أما في إفريقيا الإسلامية غير العربية، فإن أكبر عدد للمسلمين في نيجيريا (أكثر من مئة مليون مسلم يشكلون ما بين 50-52% من السكان)، لكن عدد المظاهرات بقي محدوداً، بل ووقعت اشتباكات بين الأمن النيجري والمتظاهرين المناصرين لفلسطين، كما جرت مظاهرات قليلة وصغيرة في السنغال. أما في آسيا (غير تركيا وإيران)، فوقعت بعض المظاهرات في باكستان (نحو 5 مظاهرات)، وبنغلاديش (3 مظاهرات)، وأفغانستان (3 مظاهرات).²²

كما تباينت مستويات الخطاب السياسي للحركات والهيئات الإسلامية غير العربية تجاه طوفان الأقصى، ففي حين أبدت حركة طالبان الباكستانية، والحركة المحمدية الإندونيسية، والجمعية الطلابية الباكستانية تأييدها التام للطوفان، ركّزت حركة داعش (وهي حركة إسلامية هجينة من حيث الانتماء القومي) في بياناتها على نقد حركة حماس "لتركيزها على القضية الفلسطينية دون غيرها من ناحية ولعلاقاتها مع إيران من ناحية ثانية"، بينما شدّت التنظيمات الإسلامية اليوغورية (الأقلية المسلمة



في الصين) عن بقية الحركات، إذ وصفت بعض هذه التنظيمات (مثل لجنة حقوق الإنسان اليوغورية والمؤتمر اليوغوري العالمي) الطوفان بأنه ”هجوم بربري على إسرائيل“.²³

إضافة لما سبق، يمكن الإشارة في تحليل موقف الدول والمجتمعات الإسلامية غير العربية إلى:²⁴

- إن 62% من احتياجات ”إسرائيل“ للبترول يتم الحصول عليها من دولتين إسلاميتين هما كازاخستان (93 ألف برميل يومياً)، وأذربيجان (45 ألف برميل يومياً)، أي ما مجموعه 138 ألف برميل يومياً.
- يصل حجم التجارة الإسرائيلية السلعية مع الدول الإسلامية ”غير العربية“ الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي حتى نهاية سنة 2021 نحو 7 مليار دولار.²⁵
- اقتصار المساندة للمقاومة الفلسطينية على المناشدات الخطابية، كما هو الحال في بعض الدول الإسلامية مثل باكستان التي ناشد زعيم الجماعة الإسلامية فيها الشيخ سراج الحق حكومة بلادة، كحكومة عقائدية، مساندة للفلسطينيين.

ثالثاً: الإسهام في ميزانية وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل لاجئي فلسطين في الشرق الأدنى (الأونروا):

إذا استثنينا الدول العربية من بين أعضاء الدول الإسلامية، فإن تركيا تحتل المرتبة الأولى بين الدول الإسلامية في مساعداتها لوكالة الأونروا UNRWA، لكنها بالمقارنة مع الدول غير الإسلامية فهي تحتل المرتبة 13 بين الدول المتبرعة لسنة 2023، تليها إندونيسيا في المرتبة 33، ثم ماليزيا وكازاخستان في المرتبة 35. ولو نظرنا في إجمالي مساعدات الدول الإسلامية غير العربية فإن إسهامها لا يصل 1.5% من إجمالي ميزانية وكالة الأونروا،²⁶ بل إن مقارنة إجمالي الناتج المحلي (على أساس المعادل الشرائي بالأسعار الجارية) بحجم مساعدات الدول الإسلامية للوكالة، نجد المفارقة التي يظهرها الجدول التالي:²⁷

جدول رقم 3: إسهامات لعينة من الدول الإسلامية للأونروا (2023)

الدولة	إجمالي الناتج المحلي (المعادل الشرائي) (مليار دولار)	حجم المساعدة للأونروا (ألف دولار)
إندونيسيا	4,720.54	600
بنغلاديش	1,619.8	50
ماليزيا	1,305.94	200
كازاخستان	693.415	10
أوزبكستان	401.838	0
أذربيجان	199.195	0

وبعد الاتهامات الإسرائيلية لبعض موظفي الوكالة بمشاركتهم في طوفان الأقصى، علّقت بعض الدول إسهاماتها، لكن أغلبها عادت للدفع، خصوصاً أن الاتهام الإسرائيلي للوكالة لم يصل إلى حدّ الإقناع، لذا فإن 7 دول رئيسية أعادت التمويل بينما ما زالت 11 دولة أخرى (بما فيها الاتحاد الأوروبي) قيد النظر حتى تاريخ نهاية نيسان/ أبريل 2024، لكن ليس بين هذه الدول أي دولة إسلامية.²⁸ أي أن الدول الإسلامية غير العربية لم تلتزم بقطع مساعداتها للوكالة، لكن حجم مساعداتها متواضع بشكل كبير كما أشرنا.

رابعاً: التصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة على موضوعات طوفان الأقصى:²⁹

عند مقارنة تصويت الدول الأعضاء على القرارات الخاصة بالحرب في غزة، يتبين أن الدول الإسلامية كلها صوّتت لصالح الموقف الذي تسانده المقاومة في 2023/12/12، بينما امتنعت 3 دول إسلامية عن التصويت على قرار الجمعية في 2023/10/27 (وهي: ألبانيا، والعراق، وتونس). ذلك يعني أن المواقف الرسمية في التصويت في الأمم المتحدة تشير إلى توافق كبير بين الدول الإسلامية، لكن أغلب هذه القرارات لا تتجاوز حدود "التوصيات" غير الملزمة.



خامساً: السياسة الخارجية للدولة الإسلامية الأكبر في عدد السكان: إندونيسيا:

يمكن رصد محددات السياسة الخارجية الإندونيسية تجاه الصراع العربي الصهيوني على النحو التالي:³⁰

1. الإسلام: على الرغم من تباعد الموقع الجغرافي بين إندونيسيا وفلسطين، فإن الإسلام يشكل الرباط المركزي مع المنطقة العربية، فهي أكبر دولة إسلامية، بل وتشكل نحو 13% من مجموع المسلمين في العالم بعدد سكاني "إجمالي" يصل إلى 279 مليون نسمة، ويصل إجمالي الناتج المحلي (طبقاً للمعادل الشرائي بالأسعار الجارية) نحو 4.72 تريليون دولار، وهو ما يضعها في المرتبة السابعة عالمياً. ومن الضروري التنويه إلى التعديلات الدستورية في إندونيسيا، فقد تمّ حذف النص الصريح المرتبط بالإسلام من الدستور، وبقيت قيمة الشريعة ضمنية كما هو مبين في المادتين 1/29 و2/29 من دستور 1945، والفقرة 3 من ديباجة دستور 1945.

2. الترابط مع إندونيسيا من خلال حركة عدم الانحياز، فكل دول الشرق الأوسط ترتبط بهذه الحركة باستثناء تركيا و"إسرائيل".

3. مبدأ الحرية والنشاط Free and Active: أي عدم الوقوف مع أي طرف في النزاعات الدولية من ناحية دون الامتناع عن تأييد التسويات السلمية من ناحية أخرى، ويبدو طبقاً لبعض التقارير أن إندونيسيا تسير في اتجاه احتمال مقايضة اعترافها بـ"إسرائيل" مقابل ضمان تأييد "إسرائيل" لعضوية إندونيسيا في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية Organization for Economic Co-operation and Development.

خلاصة:

تشير المعطيات السابقة بخصوص وزن الكتلة الإسلامية غير العربية في مساندة طوفان الأقصى إلى ما يلي:

1. أن الحجم البشري والقوة الاقتصادية والمساحة الجغرافية والكتلة التصويتية في الأمم المتحدة لا تتناسب ومستوى التأثير المحدود للغاية في التفاعلات الناتجة عن طوفان الأقصى.
2. من الواضح أن وزن الحركات والأحزاب الإسلامية في هذه الدول محدود في تأثيره على سياسات حكومات بلادها تجاه القضية الفلسطينية، وهو ما يعني أن الثقافة الإسلامية في هذه المجتمعات لم تتحول إلى فعل سياسي ذي دلالة.
3. أن مستوى الإسهام المادي (مثل المعونات الإنسانية أو الإسهام في ميزانية وكالة الأونروا)، والإسهام المعنوي (من خلال المظاهرات أو الفعاليات السياسية) لدعم النضال الفلسطيني لا يتناسب مع الحد الأدنى لما تمتلكه هذه الدول.
4. من الواضح أن التطبيع العربي مع "إسرائيل" أعفى أغلب الدول الإسلامية من الحرج في العلاقة مع "إسرائيل"، وهو ما يتضح في نسبة الدول الإسلامية المعترفة بـ "إسرائيل"، ناهيك عن شبه المعترفة أو تستعد للاعتراف بها.
5. أن مسلمي آسيا الوسطى هم الأقل تعاطفاً مع الموقف الفلسطيني، وهو ما يستوجب البحث في كيفية معالجة هذه الظاهرة.
6. يعدّ الموقف الإيراني هو الموقف الأكثر تقدماً مقارنة بالدول الإسلامية غير العربية.
7. أن المقارنة بين ردة الفعل الإسلامية على الغزو الروسي لأفغانستان كان أكثر حدة بشكل كبير منه في حالة طوفان الأقصى.



الهوامش

¹ انظر: وليد عبد الحي، المسلمون غير العرب وطوفان الأقصى، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2024/6/4.

² انظر التفاصيل في:

Top 25 countries with the largest number of Muslims in 2022 (in millions), site of statista, 13/10/2023, <https://www.statista.com/statistics/374661/countries-with-the-largest-muslim-population>; and Countries in the world by population (2024), site of Worldometer, 16/7/2023, https://www.worldometers.info/world-population/population-by-country/#google_vignette

Where pro-Palestinian university protests are happening around the world, site of Cable³ News Network (CNN), 3/5/2024, <https://edition.cnn.com/2024/05/03/world/pro-palestinian-university-protests-worldwide-intl-hnk/index.html>

Religious Composition by Country, 2010–2050, site of Pew Research Center, 21/12/2022,⁴ <https://www.pewresearch.org/religion/feature/religious-composition-by-country-2010-2050>

Muslim Population by Country 2024, site of World Population Review,⁵

<https://worldpopulationreview.com/country-rankings/muslim-population-by-country>

Muslim states make thin contribution to global economy, site of The Express Tribune newspaper,⁶ 21/9/2016, <https://tribune.com.pk/story/1186109/trailing-behind-muslim-states-make-thin-contribution-global-economy>

Ahmed Rashid, *Taliban: Militant Islam, Oil and Fundamentalism in Central Asia* (New Haven,⁷ 2000), p. 129; Darryl Li, “‘Afghan Arabs,’ Real and Imagined,” *Middle East Report* magazine, No. 260, Fall 2011, <https://merip.org/2011/08/afghan-arabs-real-and-imagined>; and Michael Rubin, “Who is Responsible for the Taliban,” *Middle East Review of International Affairs* journal, Vol. 6, No. 1, March 2002, p. 8.

Countries that Recognize Israel 2024, World Population Review,⁸

<https://worldpopulationreview.com/country-rankings/countries-that-recognize-israel>

Bruno Venditti, Mapped: Recognition of Israel by Country, site of Visual Capitalist, 10/11/2023,⁹ <https://www.visualcapitalist.com/recognition-of-israel-map>; and Chris Dickert, Mapped: Which Countries Recognize Israel or Palestine, or Both?, Visual Capitalist, 24/11/2023, <https://www.visualcapitalist.com/recognition-of-israel-and-palestine-map>

هناك بعض الدول الإسلامية غير العربية قطعت العلاقات مع “إسرائيل” ثم أعادتها مثل تشاد وغينيا، وهي قضية تثير جدلاً في دلالاتها خصوصاً إشكالية الاعتراف بالدولة أو بالنظام السياسي، انظر:

Michael Rossi and Jaume Castan Pinos, “Introduction to Inconvenient Realities: The Emergence and Resilience of Parastates,” *Nationalities Papers* journal, Cambridge University Press, vol. 48, special issue, January 2020, pp. 12–23.

New Polling Shows How Much Global Support Israel Has Lost, site of *TIME* magazine,¹⁰ 17/1/2024, <https://time.com/6559293/morning-consult-israel-global-opinion>

Resolution on the Issue of Palestine and al-Quds Ash-Sharif, Adopted by the 15th Session of¹¹ The Islamic Summit Conference, Under the Theme: “Enhancing Unity and Solidarity Through Dialogue for Sustainable Development”, Banjul, Republic Of The Gambia, OIC/SUM-15/2024/PAL-RES/FINAL, 4–5/5/2024, site of Organisation of Islamic Cooperation (OIC), <https://new.oic.org/Lists/ConferenceDocuments/Attachments/2619/Palestine%20Final%20Resolution.pdf>

أسماء الدول الإسلامية في إفريقيا، موقع موضوع، 2022/10/6، انظر: <https://mawdoo3.com>؛ وانظر أيضاً: Member States, OIC, <https://new.oic-oci.org/SitePages/MemberStates.aspx>

¹³ حول سياسات كوسوفو، انظر:

Kosovo’s Membership into OIC: An Opportunity or a Dangerous Road?, Prishtina Institute of Political Studies, No. 4, November 2018, pp. 22–27; OIC Secretary-General Receives the Ambassador of Kosovo to the Kingdom of Saudi Arabia, OIC, 26/1/2023, https://www.oic-oci.org/topic/?t_id=38303&t_ref=26176&lan=en; and OIC Rejects Opening of Embassies in Occupied Al-Quds, site of United Nations Information System on the Question of Palestine (UNISPAL), 14/9/2020, <https://www.un.org/unispal/document/oic-rejects-approval-of-serbia-and-kosovo-to-open-embassies-in-occupied-al-quds-press-release>

Israel-Hamas conflict top geopolitical concern in S-E Asia: ISEAS survey, site of *The Straits Times* newspaper, Singapore, 2/4/2024, <https://www.straitstimes.com/asia/se-asia/israel-hamas-conflict-top-geopolitical-concern-in-s-e-asia-iseas-survey>

Sabyasachi Karmaker, Israel’s infatuation with Bangladeshi recognition, site of The Business Standard, 25/5/2021, <https://www.tbsnews.net/feature/panorama/israels-infatuation-bangladeshi-recognition-250516>

¹⁶ حول هذه المواقف انظر:

Summer Said, Israel-Hamas War: Chad Recalls Its Ambassador From Israel, site of *The Wall Street Journal*, 6/11/2023, <https://www.wsj.com/livecoverage/israel-hamas-war-gaza-strip-2023-11-04/card/chad-recalls-its-ambassador-from-israel-vZ8ZEA1mFMmsRn7D0Ikb>; Is the relationship between the US and South Africa strained due to Israel’s actions in Gaza?, site of globe echo, 28/3/2024, <https://globeecho.com/is-the-relationship-between-the-us-and-south-africa-strained-due-to-israels-actions-in-gaza>; Nigeria Reacts To Israel, Palestine Hostilities, Calls For De-escalation, site of *LEADERSHIP* newspapers, <https://leadership.ng/nigeria-reacts-to-israel-palestine-hostilities-calls-for-de-escalation>; UN News (@UN_News_Centre), site of X (Twitter), 27/10/2023, 10:47 p.m., https://twitter.com/UN_News_Centre/status/1717991362010792164; Bangladesh, 4 other nations charge Israel of committing war crimes in Palestine, The Business Standard, 18/11/2023, <https://www.tbsnews.net/world/israel-committing-war-crimes-palestinian-five-nations-charge-741390>; Palestinian-Israeli conflict. Kyrgyzstan calls on the parties to cease hostilities, AKIpress News Agency, 9/10/2023, https://akipress.com/news:735822:Palestinian-Israeli_conflict_Kyrgyzstan_calls_on_the_parties_to_cease_hostilities; and The enemy within: Arab states that trade with Israel, site of The Cradle, 31/1/2024, <https://thecradle.co/articles-id/21350>



Turkey halts all trade with Israel, cites worsening Palestinian situation, Reuters News Agency, 2/5/2024, <https://www.reuters.com/world/middle-east/israel-says-turkeys-erdogan-is-breaking-agreements-by-blocking-ports-trade-2024-05-02>

Swords of Iron: An Overview, Data Analytics Desk, site of The Institute for National Security Studies (INSS), <https://www.inss.org.il/publication/war-data>

Ibid. 19

Ibid. 20

21 إذا استثنينا كلاً من تركيا وإيران، فإن بقية الدول الإسلامية غير العربية بقيت أعداد مظاهراتها محدودة؛ حيث تراوح العدد في كل من باكستان، وإندونيسيا وماليزيا ونيجيريا من 2-4 مظاهرات، أما باقي الدول فجرى فيها ما بين مظاهرة واحدة إلى اثنتين، مثل السنغال، وأفغانستان، وبنغلاديش، وقرغيزيا. أما في الهند فجرت مظاهرتان أحدهما في جامعة جواهر لال نهرو. إن أغلب هذه المظاهرات في كافة الدول الإسلامية كانت استجابة لأحزاب أو اتحادات طلابية، بينما لا نجد نشاطاً ذا معنى في دول آسيا الوسطى (جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابقة)، إلى جانب أن موقف أندريجان هو أقرب للموقف الإسرائيلي. انظر:

Israel-Hamas war protests, site of WIKIPEDIA, https://en.wikipedia.org/wiki/Israel%E2%80%9393Hamas_war_protests; and Richard Seymour, The pro-Palestine movement has exposed the cynicism of political elites. Where will that energy go next?, site of The Guardian, 19/3/2024, <https://www.theguardian.com/commentisfree/2024/mar/19/palestine-movement-politics-gaza-war-protest>

22 Swords of Iron: An Overview, Data Analytics Desk, INSS, <https://www.inss.org.il/publication/war-data>; and Thousands in Muslim countries around the world demonstrate over Israeli airstrikes, site of EL PAÍS, 20/10/2023, <https://english.elpais.com/international/2023-10-20/thousands-in-muslim-countries-around-the-world-demonstrate-over-israeli-airstrikes.html>

23 انظر تفاصيل هذه المواقف في:

Al-Qaida and IS call on followers to strike Israeli, US and Jewish targets, The Guardian, 22/10/2023, <https://www.theguardian.com/world/2023/oct/22/al-qaida-and-is-call-on-followers-to-strike-israeli-us-and-jewish-targets>; Tehreek-e-Taliban Pakistan (TTP) Urges Muslims Worldwide To Aid Palestinians, Hails Hamas Attack On Israel: 'This Is An Extremely Joyous And Encouraging News About The Oppressed Muslim Ummah', site of The Middle East Media Research Institute (MEMRI), 8/10/2023, <https://www.memri.org/jttm/tehreek-e-taliban-pakistan-ttp-urges-muslims-worldwide-aid-palestinians-hails-hamas-attack>; Uyghur groups condemn Hamas's terror attacks on Israeli civilians, site of Uyghur Times, 10/10/2023, <https://uyghurtimes.com/uyghur-groups-condemn-hamass-terror-attacks-on-israeli-civilians>; An Israeli is stabbed in Beijing, while Uyghurs slam Hamas violence, site of AsiaNews, 14/10/2023, <https://www.asianews.it/news-en/An-Israeli-is-stabbed-in-Beijing%2C-while-Uyghurs-slam-Hamas-violence-59357.html>; Indonesia's MER-C condemns Israeli strikes killing its staff in Gaza, site of ANTARA News Agency, 8/10/2023, <https://en.antaranews.com/news/295563/indonesias-mer-c-condemns-israeli-strikes-killing-its-staff-in-gaza>; and Mercy Malaysia on high alert as Gaza conflict intensifies, aiming to alleviate suffering, site of New Straits Times, 7/10/2023, <https://www.nst.com.my/news/nation/2023/10/964232/mercy-malaysia-high-alert-gaza-conflict-intensifies-aiming-alleviate>

Hypocritical Arab and Muslim countries help Israel kill more Palestinians while condemning it, site of Middle East Monitor (MEMO), 18/4/2024, <https://www.middleeastmonitor.com/20240418-hypocritical-arab-and-muslim-countries-help-israel-kill-more-palestinians-while-condemning-it>; JI calls upon Muslim countries to support Palestine, The Express Tribune, 8/10/2023, <https://tribune.com.pk/story/2439961/Siraj>; Thousands in Muslim countries and beyond demonstrate over Israeli airstrikes, site of The Associated Press (AP), 21/10/2023, <https://apnews.com/article/israel-palestinian-protests-us-embassy-0a8d106163346b53c0125777e78e8e13>; Anti-Israel demonstrations held across Muslim world amid Israel-Hamas war, site of The Times of Israel, 21/10/2023, <https://www.timesofisrael.com/anti-israel-demonstrations-held-across-muslim-world-amid-gaza-war-against-hamas>; Muslims protest around world to demand end to Israel's Gaza campaign, Reuters, 21/10/2023, <https://www.reuters.com/world/muslims-protest-around-world-demand-end-israels-gaza-campaign-2023-10-20>; Protesters in Malaysia, Indonesia Come Out in Support of Palestine, site of The Diplomat, 16/10/2023, <https://thediplomat.com/2023/10/protesters-in-malaysia-indonesia-come-out-in-support-of-palestine>; Pro-Palestine protests held around the world as Gaza war nears 100 days, site of Al Jazeera, 13/1/2024, <https://www.aljazeera.com/news/2024/1/13/pro-palestine-demonstrations-around-the-world-as-gaza-war-nears-100-days>; Nigeria: a pro-Palestinian demonstration leaves one dead, site of africanews, 17/11/2023, <https://www.africanews.com/amp/2023/11/17/nigeria-a-pro-palestinian-demonstration-leaves-one-dead>; Senegal: people demonstrated in support of Palestinians, africanews, 6/11/2023, <https://www.africanews.com/2023/11/05/senegal-people-demonstrated-in-support-of-palestinians>; Indonesia to Send Rp31.9 Billion Additional Aid to Palestine, site of tempo.co, 6/10/2023, https://en.tempo.co/read/1793122/indonesia-to-send-rp31-9-billion-additional-aid-to-palestine?tracking_page_direct; Kyrgyzstan: Authorities sanction Palestine solidarity, while keeping lid on pro-Israel sentiment, site of Eurasianet, 31/10/2023, <https://eurasianet.org/kyrgyzstan-authorities-sanction-palestine-solidarity-while-keeping-lid-on-pro-israel-sentiment>; and The enemy within: Arab states that trade with Israel, The Cradle, 31/1/2024.

Israel trade balance, exports and imports by country 2021, site of World Integrated Trade Solution (WITS), <https://wits.worldbank.org/CountryProfile/en/Country/ISR/Year/LTST/TradeFlow/EXPIMP/Partner/by-country>

تم استبعاد بعض المتبرعين من الخواص أو الهيئات دون الدولة أو فوق الدولة من الترتيب، انظر: 2023 Confirmed Pledges to UNRWA's Programmes (Cash and In-kind), Overall Donor Ranking as 31 Dec. 2023, site of United Nations Relief and Works Agency for Palestine Refugees (UNRWA), https://www.unrwa.org/sites/default/files/overall_donor_ranking_.pdf 2023 Confirmed Pledges towards UNRWA's Programmes as 31 December 2023, UNRWA, https://www.unrwa.org/sites/default/files/list_of_2023_confirmed_pledges_by_all_donors.pdf; and World Economic database: April 2024, site of International Monetary Fund, =



<https://www.imf.org/en/Publications/WEO/weo-database/2024/April/weo-report?c=512,914,612,171,614,311,213,911,314,193,122,912,313,419,513,316,913,124,339,638,514,218,963,616,223,516,918,748,618,624,522,622,156,626,628,228,924,233,632,636,634,238,662,960,423,935,128,611,321,243,248,469,253,642,643,939,734,644,819,172,132,646,648,915,134,652,174,328,258,656,654,336,263,268,532,944,176,534,536,429,433,178,436,136,343,158,439,916,664,826,542,967,443,917,544,941,446,666,668,672,946,137,546,674,676,548,556,678,181,867,682,684,273,868,921,948,943,686,688,518,728,836,558,138,196,278,692,694,962,142,449,564,565,283,853,288,293,566,964,182,359,453,968,922,714,862,135,716,456,722,942,718,724,576,936,961,813,726,199,733,184,524,361,362,364,732,366,144,146,463,528,923,738,578,537,742,866,369,744,186,925,869,746,926,466,112,111,298,927,846,299,582,487,474,754,698,&s=PPPGDP,&sy=2024&ey=2025&ssm=0&scsm=1&ssc=0&ssd=1&ssc=0&sic=0&sort=country&ds=.&br=1>

UPDATED: List of Countries Suspending and Reinstating UNRWA Funding, site of UN Watch, 30/4/2024, <https://unwatch.org/updated-list-of-countries-suspending-unwra-funding> ²⁸
UN News, (@UN_News_Centre), X (Twitter), 12/12/2023, 11:28 p.m., https://twitter.com/UN_News_Centre/status/1734686801699491975/photo/1; and UNGA calls for humanitarian truce in Israel-Gaza war: How countries voted, Al Jazeera, 27/10/2023, <https://www.aljazeera.com/news/2023/10/27/unga-calls-for-humanitarian-truce-in-israel-hamas-war-how-countries-voted> ²⁹
Siti Mutiah Setiawati, "The role of Indonesian government in middle east conflict resolution: consistent diplomacy or strategic shifts?," *The Policy and Practice Review*, Vol. 6, March 2024, pp. 1–5; and World Economic database: April 2024, International Monetary Fund, https://www.imf.org/en/Publications/WEO/weo-database/2024/April/weo-report?c=536,&s=NGDP_RPCH,NGDPD,PPPGDP,NGDPDPC,PPPPC,&sy=2023&ey=2029&ssm=0&scsm=1&ssc=0&ssd=1&ssc=0&sic=0&sort=country&ds=.&br=1; and Indonesia agrees to normalize ties with Israel: Report, The Cradle, 11/4/2024, <https://thecradle.co/articles-id/24352> ³⁰

الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة تهجير الفلسطينيين هدف أول¹

د. عباس إسماعيل*

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على واقع الحرب الإسرائيلية الحالية على قطاع غزة، وذلك من خلال معالجة لفرضية السعي الإسرائيلي لتهجير الفلسطينيين من قطاع غزة كجزء من الأهداف غير المعلنة للحرب.

وقد تطرقت الدراسة إلى فكرة تهويد الحرب على غزة من خلال البعد الديني التوراتي المتعلق بأسطورة "أرض إسرائيل" الكاملة، ومن خلال التطرق للجذور وأبرز المحطات التاريخية للترانسفير. كما توقفت الدراسة عند أبرز المواقف والتصريحات الإسرائيلية في الخطاب السياسي ذات الصلة بطرد سكان غزة، بالإضافة إلى المؤتمرات الإسرائيلية لإعادة استيطان غزة، وترحيل الفلسطينيين، والدعوات لتنفيذ الإبادة الجماعية لكل سكان القطاع.

وقد توصلت هذه الدراسة إلى أنه على الرغم من عدم تبني الحكومة الإسرائيلية لهدف التهجير بشكل رسمي كأحد أهداف الحرب المعلنة لكونه يُمثّل جريمة حرب واضحة، إلا أنّ حجم تأييده ازداد وكشفت عن مكنونات الفكر الصهيوني المكبوت، حيث فُتحت شهوة الانتقام لدى عدد كبير من الإسرائيليين من خلال توجيه الضربات إلى الفلسطينيين من دون تمييز، وتشمل "سلّة الانتقام" الإسرائيلية فرض عقوبات متنوعة، منها القتل والقصف دون تمييز، كما يشهد واقع حال غزة المدمرة اليوم، بالإضافة إلى دعوات التهجير، وإعادة بناء المستوطنات داخل القطاع انسجماً مع تقاليد الاحتلال في الضفة الغربية، حيث يتمّ بناء بؤر استيطانية في مواقع العمليات الفلسطينية في محاولة للانتقام من الفلسطينيين وردعهم.

* أستاذ مساعد في الجامعة اللبنانية وباحث في الشؤون الإسرائيلية.



وقد خَلُصَت الدراسة إلى أنَّ عملية ”طوفان الأقصى“ قد أحدثت تحوُّلاً استراتيجياً في مرتكزات التفكير الإسرائيلي، ووضعت ”إسرائيل“ أمام مُعضلات ذات أبعاد وجودية، لكنَّها في المقابل، أوجدت نافذة لفرص استثنائية أمام تيار واسع في ”إسرائيل“ من أجل إعادة الروح إلى فكرة ”أرض إسرائيل الكبرى“، وضمان ”يهودية الدولة“ من خلال وضع حدٍّ لاختلال الميزان الديموجرافي بين اليهود والفلسطينيين على مساحة فلسطين التاريخية، وذلك من خلال الدفع باتجاه عملية ترحيل واقتلاع جديدة للفلسطينيين من قطاع غزة، وتوسُّل السبل كافة، وعلى رأسها السبل العسكرية والسياسية وارتكاب المجازر، وتنفيذ حملة تدمير غير مسبوقة بما يجعل خيار ”التهجير“ أمراً واقعاً وخياراً مفضلاً، وإن مؤقتاً، على أمل تحوُّله إلى خيار دائم، وهو ما يجب تضافر كلَّ الجهود لمنعهِ وإسقاطه.

مقدمة:

ثمة اتفاق واسع، داخل ”إسرائيل“ وخارجها على أنَّ أهداف الحرب الإسرائيلية المعلنة على حركة حماس، ومن معها من فصائل المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، سقطت، ولم تتحقّق بعد أكثر من ستة أشهر من بدء الحرب. ومعروف أنَّ الحكومة الإسرائيلية برئاسة بنيامين نتنياهو Benjamin Netanyahu حدّدت ثلاثة أهداف لتلك الحرب، وكُرِّرتها عشرات المرات، من على كلِّ منبر ومنصة، ولم توقّر مناسبة في سبيل ذلك، وهذه الأهداف هي:

1. القضاء على البنية العسكرية والسلطوية لحماس.

2. تحرير الأسرى الإسرائيليين لدى حماس.

3. إزالة التهديد الذي يشكّله قطاع غزة على ”إسرائيل“.

غير أنَّه يُمكن القول أنَّ الأهداف الثلاثة المعلنة للحرب، هي الفرع، وأنَّه ثمة هدف أعلى لها، هو الأصل، لكنَّه غير معلن، ألا وهو تهجير الفلسطينيين من قطاع غزة، وتحقّق هذا الهدف هو شرط واجب لتحقيق الهدفين المتعلّقين بالقضاء على حماس، وإزالة التهديد؛ وبسقوطه يستحيل إنجازهما، ذلك أنَّ بقاء السكان الفلسطينيين، أي

البيئة الحاضنة، يضمن بقاء حركة حماس، ومعها فصائل المقاومة الفلسطينية، ليس كمشروع وفكرة ورؤية فحسب، بل كقوة مدنية وعسكرية حتى لو تعرضت لضربات قاسية، لأنّ حركة حماس، ومعها فصائل المقاومة، جزء عضوي لا يتجزأ عن الشعب الفلسطيني، ولا يمكن الفصل بينهما أو تفكيكهما؛ وعليه بقاء الفلسطينيين في غزة يعني حكماً بقاء المقاومة وبنيتها المدنية والعسكرية، وفي الوقت نفسه، بقاء التهديد على "إسرائيل". من هنا يمكن القول أنّ نجاح الحرب الإسرائيلية أو فشلها متعلّق حصراً بنجاح مشروع تهجير الفلسطينيين من قطاع غزة، أو سقوطه.

وبما أنّ الفرضية الأساسية لهذه الدراسة تتلخّص بأنّ تهجير الفلسطينيين كان الهدف الأكبر والأكثر أهمية لأصحاب القرار في "إسرائيل"، حتى وإن كان غير معلن وغير مدرج ضمن ثلاثية الأهداف المعلنة للحرب، فإنّ السؤال الذي يطرح، هل تهجير الفلسطينيين كان مشروعاً فعلاً، وهدفاً عملياً له ومن أجله قادة "إسرائيل"؟ إيجاد جواب معلّل على هذا السؤال سيكون موضوع هذا البحث.

لمعالجة فرضية السعي الإسرائيلي لتهجير الفلسطينيين من قطاع غزة، سيتمّ التطرّق إلى الادّعاءات الدينية اليهودية بشأن قطاع غزة، وتجنّد النهج الاستقصائي بحقّ الفلسطينيين في الفكر الصهيوني تاريخياً، واستمراره راهناً، حيث يمكن العثور على مصاديق كثيرة له في تصريحات كبار المسؤولين ومواقفهم، والوثائق الرسمية الصادرة عن الجهات الحكومية المعنية، وأوراق العمل والدراسات الصادرة عن مراكز أبحاث فاعلة ومؤثرة، وفي المؤتمرات التي انعقدت لهذه الغاية، إضافة إلى نشاط هيئات وجمعيات من المجتمع المدني، تجاهر بدعوتها إلى تهجير الفلسطينيين ليس من قطاع غزة فقط، بل من كلّ ما تعدّه "أرض إسرائيل التاريخية"، ولا سيّما من الضفة الغربية. كما أنّ التهجير داخل القطاع لنحو مليوني فلسطيني والدمار الرهيب في القطاع، حيث المساكن لم تعد صالحة للسكن أبداً، وخطط الجيش الإسرائيلي بمنع عودة النازحين إلى بيوتهم، وحملة الإبادة الفعلية، كلّ هذا يشير إلى وجود مخطّط للتهجير إلى خارج القطاع موضوعة مسبقاً.



أولاً: تهويد الحرب على غزة: البُعد الديني – التوراتي:

1. قطاع غزة و”أرض إسرائيل الكاملة” حسب التوراة:

قالت وزيرة الاستيطان أوريت ستروك Orit Struk، من حزب الصهيونية الدينية Religious Zionism، في تصريح لها، إنّ ”العودة إلى منطقة غزة منوطة بعدد كبير من الضحايا، لكن لا شك في أنّه بنهاية المطاف هي جزء من ”أرض إسرائيل“، وسيأتي اليوم الذي نعود فيه إليها“.²

كلام ستروك يفتح الباب على مسألة مكانة قطاع غزة من الناحية الدينية، وما إذا كان جزء من ”أرض إسرائيل“ وفق الرواية التوراتية أم لا.

قضية حدود ”أرض إسرائيل“ وتحديدها، هي قضية معقّدة وصعبة، ومع أنّ العهد القديم يشير بدقّة إلى حدودها تفصيلياً، إلا أنّه يصعب تحديد أسماء الأماكن، وعليه فقد كثرت الشروح حول هذا الموضوع، بالإضافة إلى رأي يقول بأنّه حيث تطأ أقدام إسرائيلي تصبح الأرض لـ”شعب إسرائيل“: ”كُلُّ موضعٍ تدوسُهُ أقدامُ أقدامِكُم يكونُ لَكُم، مِنَ الْبَرِّيَّةِ جنوباً إلى لبنانَ شمالاً، وَمِنْ نَهْرِ الْفُرَاتِ شرقاً إلى البحرِ غرباً“ (التثنية 11:24)؛ وفي سفر هوشع: ”كُلُّ مكانٍ تدوسُهُ أقدامُكُم أُعطيه لَكُم، كما قلتُ لموسى. تمتدُّ حُدُودُكُم عَبْرَ جميعِ أرضِ الحِثِّيِّينَ مِنَ الْبَرِّيَّةِ جنوباً إلى جبالِ لبنانَ شمالاً، وَمِنْ نَهْرِ الْفُرَاتِ الكبيرِ شرقاً إلى البحرِ“.

وبحسب الحاخام صموئيل شابيرو Shmuel Shapira، فإنّه لا خلاف على أنّ غزة جزء لا يتجزأ من ”أرض إسرائيل“ الكاملة، وأنّه لا يوجد بين ”فقهاء الشريعة اليهودية“ وحاخاماتها من يشكّك في ذلك، وأنّ حدود أرض إسرائيل ذُكرت في التوراة عدّة مرّات.³

وذكرت غزة على أنّها الحدود الجنوبية الغربية لـ”إسرائيل“ في ذروة حكم سليمان، (1 ملوك 5: 4). ويُعتقد أنّه بعد أن هزم داود الفلسطينيين، تمّ كسر غزة أيضاً، ورفعت الضرائب إلى ملوك يهودا، لكنّها استمرّت في الحفاظ على حكمها الداخلي كمدينة فلسطينية أجنبية.⁴

وبناء على ما تقدم، ووفق ”وعد الرب لأبراهام“، بحسب التوراة، ”لِنَسْلِكَ أَهْبُ هَذِهِ الْأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ“، أي بين الفرات والنيل، وبعض

المفسرين يرون أنّ وادي العريش هو الحدود الجنوبية وليس النيل، وفي الحالتين: ”لا جدال في أن غزّة هي بالتأكيد جزء من أرض إسرائيل الكاملة وليس في الشريعة ما يخالف أو يشكك في ذلك، حيث حُدّدت حدود إسرائيل في التوراة عدة مرات“.⁵

وبحسب العديد من الباحثين، على سبيل المثال: فيكتور جيرن Victor Guérin، الذي وصف ”أرض إسرائيل“ في منتصف القرن التاسع عشر، فإن المنطقة الواقعة بين دير البلح وخان يونس هي أرض جرار، حيث وقع الصراع على الآبار بين إبراهيم وإسحق وملوك جرار. ويترتب على ذلك أن الصراع الأول على ”أرض إسرائيل“ كان في جوش قطيف. وليس هذا فحسب، فقد تمّ هناك عقد أول اتفاق سلام مع إبراهيم، الاتفاق الذي سُميت باسمه بئر السبع؛ وهناك تمّ عقد اتفاقية السلام مع إسحق، الاتفاقية التي سُميت مدينة رحوفوت باسمها.⁶

ووفقاً للباحث David Kimhi، هناك نبوءة تفيد أنه في المستقبل ستكون غزّة تحت سيطرة ”إسرائيل“؛ ”ويضيع ملك غزّة“ – ”ستضيع المملكة التي كانت له في ذلك الوقت، هو ومملكته سيكونان لإسرائيل“.⁷

2. عندما تسقط غزّة سيأتي الخلاص ويُبنى الهيكل:

منذ بدء الحرب على قطاع غزّة، جرت الكثير من الإسقاطات اليهودية لنبوءات توراتية وتفسيرات على الأحداث في قطاع غزّة، وكلّها تشير إلى أنّها الحرب الأخيرة التي يتمّ فيها القضاء على الفلسطينيين، وعندها يأتي الخلاص ”للشعب اليهودي“ ويتمّ ”بناء الهيكل“. على أنّ المتابع لما يحدث ويُنشر، لا يجد أيّ صعوبة في إدراك أنّ ما يجري من قتل وتدمير له خلفيّة ومبررات دينيّة يستندون فيها إلى نصوص توراتية هي بمثابة ”إجازة من الرب للقتل والإبادة“ ضدّ الفلسطينيين خصوصاً، وضدّ كلّ من هو عدوّ لـ ”شعب الله المختار“.

وقد وردت الكثير من الأمثلة الحديثة على ذلك، من بينها ما قاله الرائد يائير بن ديفيد Yair Ben David، قائد سرية إسناد، في أمسية ختام نشاط عملياتي للكتيبة 2908 في بيت حانون:

شعب إسرائيل تلقّى في (يوم عيد) فرحة التوراة (7 أكتوبر 2023) ضربة مؤلمة. مسّوا بكرامة شعبنا. الكتيبة 2908 دخلت إلى بيت حانون وقامت بما قام به (ابنا يعقوب) شمعون [Shimon] وليفي (لاوي) [Levi] في مدينة



نابلس (أيام العهد القديم). صحيح أنه يحكي القصة بصورة مختصرة جداً، لا تتصل بعمق الأمور ذات البدايات التاريخية ومغزاها والخوض في تفاصيل الأمور، لكنه يقدّم الخلاصة. المهمة لم تنته، ما يزال لدينا غزّة كاملة لنفعل بها كما فعلنا ببیت حانون. كي تخاف كل الأمم من حولنا... التي تعتقد أنه يمكن المس بكرامة شعب إسرائيل.⁸

يستند الرائد في كلامه إلى قصة اغتصاب دينا ابنة يعقوب الواردة في الإصحاحات 33، 34، و35، من سفر التكوين، والانتقام من أهل نابلس وإبادتهم، وأبرزها هذه "الآيات" من الإصحاح 34:

...أخذَ كُلًّا مِنْ ابْنَيْ يَعْقُوبَ، شِمْعُونَ وَلاوِي أَخَوَي دِينَةَ، سَيْفَهُ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ آمِنِينَ. فَقَتَلَ كُلَّ ذَكَرٍ، {26} وَمِنْهُمْ حَمُورٌ وَشَكِيمٌ أَبْنَاهُ، وَأَخَذَا دِينَةَ مِنْ بَيْتِ شَكِيمَ وَخَرَجَا. {27} ثُمَّ دَخَلَ بَنُو يَعْقُوبَ كُلُّهُمْ عَلَى الْقَتْلَى وَنَهَبُوا مَا فِي الْمَدِينَةِ أَنْتِقَامًا لِتَدْنِيسِ أُخْتِهِمْ، {28} وَأَخَذُوا غَنَمَهُمْ وَبَقَرَهُمْ وَحَمِيرَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ وَمَا فِي الْحُقُولِ. {29} وَسَبَّوْا وَغَنِمُوا جَمِيعَ ثَرَوَتِهِمْ وَكُلَّ أَطْفَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَسَائِرَ مَا فِي الْبُيُوتِ.

في العموم، الكثير من قصص القتل والتدمير واردة في أخبار داود الذي خاض الكثير من الحروب، أبرزها حربان كبيران مع موآب Moab وآرام Aram، حيث تبرز الطريقة القاسية التي قاتلهم بها، ثم مع البلشتيم (الفلسطينيين)، بينها الواردة في سفر صموئيل الثاني، الإصحاح الثامن.

نبوءة حزقيال عن غزّة (نبوءة عن "الفلسطينيين"):

بالإضافة إلى أنّ سفر حزقيال يُعدّ الأبرز فيما خصّ نبوءات آخر الزمان، النبوءة التالية تُعدّ أساسيّة في قراءتهم للأحداث، ووردت في الإصحاح 25:

{15} وَقَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: "وَمَا أَنَّ الْفِلِسْطِينِ أَنْتَقَمُوا مِنْ يَهُوذَا أَنْتِقَامًا فَظُلِعًا بِقُلُوبٍ خَبِيثَةٍ وَأَكْثَرُوا التَّدْمِيرَ فِي أَرْضِ عَدُوِّ قَدِيمٍ، {16} لِذَلِكَ أَمْدُ يَدِي عَلَى الْفِلِسْطِينِ وَأَقْطَعُ الْكِرْيَتَيْنِ وَأُبِيدُ بَقِيَّةَ سَكَّانِ سَاحِلِ الْبَحْرِ، {17} وَأُجْرِي عَلَيْهِمْ أَنْتِقَامًا رَهيبًا وَأُنْزِلُ بِهِمْ عِقَابًا شَدِيدًا، فَيَعْلَمُونَ حِينَ أَحْلُ أَنْتِقَامِي عَلَيْهِمْ أَنِّي أَنَا هُوَ الرَّبُّ".

تفسير الحاخام شموئيل إياهو Shmuel Eliyahu، يقول:

إن الفلسطينيين عاثوا فساداً في شعب إسرائيل، لديهم خبث رهيب، غضب وكرهية، ولذلك قال الرب لحزقيال لذلك أمدُّ يدي على الفلسطينيين وأقطعُ الكريتيين - والكريتيين هم أصل الفلسطينيين - وأبدي بقية سكان ساحل البحر - حتى البقية، يقول الرب سأبدي بقيتهم. وأجري عليهم انتقاماً رهيباً وأنزل بهم عقاباً شديداً - بغضب كبير الرب تقدس وتبارك يقول وأجري عليهم انتقاماً رهيباً وأنزل بهم عقاباً شديداً، فيعلمون حين أحل انتقامي عليهم أنني أنا هو الرب. هذه نبوءة يكتبها حزقيال، ونحن نفهم اليوم كل كلمة مكتوبة فيها. وهذا ليس مجرد كلام، بل الرب القدوس المتبارك يعطينا أمراً لفعل هذا. كيف ينتقم الرب القدوس المتبارك منهم؟ يعطينا القوة للانتقام.. إن الرب يقول لشعب إسرائيل... لديك إمكانية لضربهم، إلى حد إبادة بقية سكان ساحل البحر، والانتقام منهم انتقاماً رهيباً وعقاباً شديداً، أي لديك كل شيء ولا ينقصك شيء - فقم به. آمين.⁹

بالإضافة إلى النبوءات والآيات، هناك أيضاً إسقاطات لتفسير أهمها:

ما ورد في "توراة هليفي Torah Halevi"، للحاخام ليفي إسحق شنيرسون Levi Yitzchak Schneerson، في الصفحة 452، الذي كتب: عندما تسقط غزة، سيأتي الخلاص الكامل وسيبنى الهيكل. ووفق تفسيراتهم، وباعتبار أن بناء الهيكل هو فعل إلهي يأتي بعد سقوط غزة، فلا بد أن يكون سقوط غزة فعل إلهي، كما يقولون: "هذا في مقابل هذا. هناك قداسة ضدها نجاسة، عندما تسقط، عندما تسقط مدينة غزة، سيقوم الهيكل بعون السماء. نجاسة البلشتم (الفلسطينيين) تعرقل شعب إسرائيل إلى يومنا هذا من الفوز بالخلاص الكامل".¹⁰

ويضيف الحاخام: "ما هي العلاقة بين الفلسطينيين ومدينة غزة؟ يكتب داوود الملك في المزمور 83 أن بني إسماعيل سيختلطون فيما بينهم، فلسطين وعماليق الذين هم أرحام، وأيضاً إسماعيليين معاً. لذلك من سيؤخر شعب إسرائيل هو الفلسطينيون من مدينة غزة. لذلك أراد شمشون البطل في موته أن ينتقم على عين واحدة من أصل اثنتين، وطلب الانتقام من القدوس تبارك على عين واحدة. لماذا؟ لأن الفلسطينيين فقأوا عينيه، ثم قال: لأنتقم لإحدى عيني من الفلسطينيين. ومكتوب، فكان الموتى الذين قتلهم في موته أكثر من الذين قتلهم في حياته" (سفر القضاة، إص 16، آية 30).



ويكتب الحاخام شلومو يتسحاقي Shlomo Yitzchaki المقدس، أن "جزاء العين الثانية سيأتي في المستقبل، سريعاً في أيامنا آمين وآمين"، أي أنهم يدعون ربهم لكي يكون ما يجري في غزة هو جزاء العين الثانية لشمشون، ويضيف الحاخام يتسحاقي: "عندما تسقط غزة، سيأتي الخلاص، وسيبنى الهيكل، وسنحظى برؤية مخلصنا الصديق، سريعاً في أيامنا بعون السماء، لأن غزة ستكون مهجورة، يقول النبي، في يومنا هذا بعون الرب. فليد جميع أعدائك يا رب" (سفر القضاة، إص 5، آية 32).¹¹

ثانياً: الجذور التاريخية للترانسفير:

فكرة ترحيل السكان الفلسطينيين، وهو التعبير بلباقة عن طرد العرب من فلسطين، هي فكرة شائعة في "إسرائيل"، ومفهوم راسخ في الصهيونية ومتأصل في النظرة الصهيونية باعتبار "أرض إسرائيل" حقاً وراثياً لليهود، وملكاً حصرياً لهم، وهذا ما يتبناه معظم اليهود في "إسرائيل"، وهذا يقود طبعاً إلى الاستنتاج أن الفلسطينيين غرباء وأن عليهم أن يرحلوا. لذلك رافقت فكرة ترحيل العرب، أي طردهم وإبعادهم، طوعاً أو قسراً، كل مراحل المشروع الصهيوني قبل تأسيس "الدولة اليهودية" وبعده، فهذه الفكرة ذات جذور عميقة نجدها في النص الديني اليهودي، فنقتبس منها: "وأما مدن أولئك الأمم التي يعطيها لك الرب إلهك ميراثاً فلا تستبق فيها نسمة ما بل تحرمها تحريماً".¹²

"وإذا أدخلك الرب إلهك الأرض التي أنت صائر إليها لترثها واستأصل أمماً كثيرة من أمام وجهك... وأسلمهم الرب إلهك بين يديك وضربتهم فأبسلهم إبسالاً. لا تقطع معهم عهداً ولا تأخذ بهم رافة".¹³

لقد صدرت دعوات إلى طرد العرب من فلسطين في الكتابات الصهيونية المبكرة، وقد صدرت هذه الدعوات عن زعماء صهاينة بارزين، حيث قام الكاتب الأنجلو-يهودي، يسرائيل زنگويل Yisrael Zingwell، بالترويج للشعار الذي طرحه اللورد البريطاني شافتسوري Shaftesbury والقائل أن فلسطين "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض".¹⁴ وقد وردت إشارة إلى فكرة "البلد الخالي" عيناها على لسان حاييم وايزمن

Chaim Weizman، غير أن الأعمق دلالة من ذلك كله هو حادثة رواها وايزمن لرئيس دائرة الاستيطان في الوكالة اليهودية The Jewish Agency for Israel، آرثر روبين Arthur Rubin، عن الطريقة التي حصل وايزمن بها على الوعد من بلفور Balfour سنة 1917، حيث قال: "لقد أخبرنا البريطانيين أن ثمة بضع مئات الألوف من (الزنج)، وليس لهؤلاء أية قيمة".¹⁵

وفي معرض تأمله الانتقال من حال "جمعيّة اليهود" إلى حال "الدولة"، كتب ثيودور هرتزل Theodor Herzl في يومياته ما يلي:

ينبغي لنا أن نترقّق في استملاك الأملاك الخاصّة في الأراضي المعيّنة لنا، سنسعى لتشجيع السكّان المعدمين على عبور الحدود بأن نجد لهم عملاً في البلاد التي يمرّون بها، مع الامتناع التام عن تشغيلهم في بلدنا... يجب أن تتمّ كلا عمليّتي الاستملاك وإبعاد الفقراء بأقصى درجات التأنّي والاحتراس.¹⁶

ثمّة أدلّة وفيرة تؤكّد أنّ فكرة "ترحيل" الفلسطينيين، كحلّ صهيوني لمشكلة بلد أهل بالسكّان، كانت أكثر من مجرد فكرة خطرت ببال الأعضاء المؤسّسين للنخبة السياسيّة الصهيونيّة. ذلك بأنّ هذه النخبة قد عبّرت عن خطتها للعمل المستقبلي وبرامجها العمليّة للاستيطان في نطاق المجالس الداخليّة للحركة الصهيونيّة، والتي كانت تخطّط لاقتلاع وترحيل الفلسطينيين بصورة منتظمة، وتوطينهم في البلاد المجاورة تمهيداً لتنفيذ المشروع الصهيوني. وكانت هذه الشخصيات تنتمي إلى طيف عريض من التنظيمات السياسيّة الصهيونيّة على اختلاف أنواعها.¹⁷

ويرى المؤرخ الإسرائيلي بني موريس Benny Morris، بأن القيادة الصهيونيّة في أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات دعمت، بإجماع وإصرار تقريباً، فكرة "الترانسفير"، سواء أكانت طوعية أم قسرية لحل المشكلة العربية، وأضاف بأن هناك جبلاً من البراهين تثبت ذلك.¹⁸

وبأن فترة الانتداب البريطاني، اعتمد القادة الصهاينة سياسة تستند على الاستفادة من العلاقة القائمة مع البريطانيين، فأجروا محادثات مع المسؤولين البريطانيين من أجل التوصل إلى حلّ "مشكلة السكّان العرب" في فلسطين، عن طريق نقلهم إلى البلاد العربية. ويمكن التماس البينة على مثل هذه الاتصالات الخاصة بالمسؤولين البريطانيين في مراجعة ونستون تشرشل Winston Churchill للشؤون



الفلسطينية في تشرين الأول/ أكتوبر 1919؛ فقد كتب ينتقد المطامع الصهيونية: ”وهناك اليهود الذين تعهدنا بإدخالهم إلى فلسطين، والذين يعتبرون إجلاء السكّان المحليين بما يلائم مطالبهم أمراً مفروغاً منه“.¹⁹

وفي سنة 1930، خطا حاييم وايزمن، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية World Zionist Organization، خطوة أبعد في المسعى الصهيوني لإيجاد ”حلّ جذري“ لمشكلتي ”الأرض“ و”السكّان العرب“، بأن تقدّم بخطة لترحيل العرب، عُرضت على وزارة المستعمرات، واقتُرحت أن يُمنح قرض قدره مليون ليرة فلسطينية يُجمع من أصحاب رؤوس الأموال اليهود، من أجل توطين جماعات الفلاحين الفلسطينيين في إمارة عبد الله في شرقي الأردن.²⁰

وفي 1937/10/5، كتب ديفيد بن جوريون David Ben-Gurion إلى ابنه قائلاً: ”لا بدّ أن نطرد العرب ونستولي على أماكنهم.... وأن نستعمل القوة إذا اضطررنا إلى ذلك“.²¹ وقد كانت مسألة ترحيل العرب إحدى أهم نقاط البحث على رأس جدول أعمال المؤتمر العالمي لـ”إيحد بوعالي تسيون“ (”وحدة العمل - عمال صهيون Unity of Labour-Workers of Zion“)، أعلى هيئة في حركة الصهيونية العمالية العالمية السائدة، وكذلك على جدول أعمال المؤتمر الصهيوني العشرين، اللذين عُقدا في زوريخ في آب/ أغسطس 1937، وقد عبّر معظم المندوبين البارزين إلى المؤتمر عن تأييدهم لفكرة الترحيل.

وبين سنة 1937 وسنة 1948، صيغت وقُدّمت عدة خطط ترحيل صهيونية، منها: خطة سوسكين للترحيل القسري (سنة 1937)، وخطة فايتس للترحيل (كانون الأول/ ديسمبر 1937)، وخطة بونيه (تموز/ يوليو 1938)، وخطة روبين (حزيران/ يونيو 1938)، وخطة الجزيرة (1938-1942)، وخطة إدوارد نورمان للترحيل إلى العراق (1934-1948)، وخطة بن - حورين (1933-1938)، وخطة يوسف شختمان للترحيل القسري (1948). وفي أثناء الفترة نفسها أُلّفت ثلاث ”لجان ترحيل“ أنيطت بها مهمة مناقشة وتصميم الطرق العملية لترويج خطط الترحيل.²²

إن هذه الخطط والمشاريع تدل على أن مشكلة ”اللاجئين“ الفلسطينيين قد تولّدت من تخطيط مسبق، فالتغيير العرقي الديني السكاني لفلسطين العربية، المشفوع

بـ “ترحيل” أكبر عدد ممكن من سكانها الأصليين إلى خارج “الدولة اليهودية الموعودة”، قد تطوّر من حلم صهيوني عبر الخطط والمقترحات (ابتداء من سنة 1937 فصاعداً)، إلى خطط عملانية (كخطة دالت)، ثم إلى سياسة فعلية سنة 1948.

بعد مرحلة التأسيس والتخطيط لطرد العرب جاء دور التنفيذ، وذلك خلال حرب سنة 1948 التي تميّزت بالعمليات العسكرية التي نفّذها الصهاينة، وأهمها الخطة دالت، والتي شملت 13 عملية لكل منها مكان وزمان محدد يختلفان عن الأخرى. وتُعرّف المصادر الإسرائيلية الخطة دالت بأنها أول خطة استراتيجية وضعتها الهاجاناه Haganah بغرض احتلال مناطق على نطاق قُطري واسع والسيطرة عليها، ومن ضمن ما تهدف إليه تطهير القرى العربية، وطرد العرب من المناطق المختلفة وحتى من أحياء معينة. واستهدفت الخطة مدن صفد، وطبريا، وحيفا، وتل أبيب، ويافا، والقدس، ونيس تسيونا (تقع في اللواء الأوسط غرب مدينة الرملة على أنقاض قرية وادي حنين العربية).²³ ولقد ثبت من خلال إحدى الوثائق، التي قام بتحضيرها فرع الاستخبارات في وزارة الأمن الإسرائيلية، والتي تناولت موضوع هجرة العرب من فلسطين في الفترة 1945/12/1 – 1948/6/1، والتي وقعت بين يدي بني موريس، ونشرتها مجلة “ميدل إيست شذر”، بأن العمليات العسكرية من قبِل العصابات الصهيونية كانت السبب المباشر في طرد 75% من السكان الذين غادروا فلسطين.²⁴

عاملت “إسرائيل” الفلسطينيين، بعد إقامتها، الذين بقوا داخل “حدودها” كالأجانب تقريباً. وحاولت السلطات الإسرائيلية على الرغم من ذلك استخدام كافة الوسائل الآيلة إلى دفع العرب على مغادرة أراضيهم، عن طريق إعداد مشاريع الترحيل الطوعية والقسرية تارة، وطوراً عن طريق طرد العرب بالقوة، وساعدها على ذلك فرض الحكم العسكري على السكان العرب. وقد حكمت مجموعة من الاعتبارات العسكرية – الاستراتيجية، والديموجرافية – الاستيطانية، والأيدولوجية الصهيونية، نشاطات الترحيل بعد سنة 1948 وبعض عمليات الطرد خلال الخمسينيات، وهو ما يدفع إلى البحث عن تفسير لاستمرار الطرد الجماعي على الرغم من إقامة “الدولة”، وطرد الأكثرية. إن الإجابة عن هذا التساؤل يكمن جزئياً في الشعور الواسع الانتشار لدى القادة الصهاينة بأن ثمة “عرباً كثيرين” بقوا في “إسرائيل”، وهو شعور مستمد من



المقدمات والأصول الأساسية للصهيونية وخصوصاً مبدأ "الدولة اليهودية المتجانسة ديموجرافياً" "ذات الأرض الأكثر تحت السيطرة اليهودية والعدد الأقل من العرب".

إن مثل هذا الشعور يمكن تحسسه من خلال التصريحات العديدة والتي سنعرض عينة متنوعة منها، فقد همس يغانيل يادين Yigael Yadin، رئيس أركان الجيش الإسرائيلي (1949-1952)، في أذن رئيس الحكومة الإسرائيلية بن جوريون: "إن الأقلية العربية تشكل خطراً على الدولة، في أيام السلم كما في أيام الحرب".²⁵ وفي إحدى الجلسات قال يتسحاق بن تسفي Yitzhak Ben Zvi، رئيس "دولة إسرائيل" 1952-1963: "يوجد في البلد عرب أكثر من اللزوم"، وذلك في اجتماع، لأمانة سر حزب العمل Labor Party، فيما قال عضو الكنيست Shlomo Knesset شلومو لافي Lavi: "يقلقني هذا العدد الكبير من العرب، إذ قد ينشأ وضع نكون فيه نحن الأقلية في دولة إسرائيل".²⁶ وقال عضو الكنيست يحئيل دوفدني Yehiel Duvdevani: "إذا كان هناك طريقة لحل المشكلة بترحيل الـ 170 ألف عربي المتبقين فإننا سنفعل ذلك". وأضاف زئيف أون Ze'ev Onn، أمين سر حزب العمل وقائد بارز في الهستدروت Histadrut: "إن المشهد الطبيعي أكثر جمالاً أيضاً - أنا أستمتع به، خصوصاً عند السفر بين حيفا وتل أبيب، ولا يرى عربي واحد هناك".²⁷

إن من يقرأ هذه التصريحات وغيرها الصادرة عن كبار القادة الصهاينة العسكريين والسياسيين، لن يحتاج إلى جهد كبير لكي يكتشف الروحية التي حكمت تصرفهم تجاه الفلسطينيين، وهذه التصريحات لم تبقى مجرد كلام في الهواء، بل وجدت صدى لها من خلال عمليات الطرد الفعلي للسكان العرب في كل مناسبة سمحت فيها لهم الظروف بالقيام بطرد العرب، سواء عبر استغلال الأجواء التي أمنها فرض الحكم العسكري، أم نتيجة لبعض الظروف الأمنية التي سادت المنطقة.

لم تكتفِ الحكومات الإسرائيلية بتطبيق سياسة الطرد الجماعي ضدّ البقية الباقية من السكان العرب في "إسرائيل"، حتى أنها وضعت في موازاة عمليات الطرد العديد من الخطط والمشاريع لترحيل العرب إلى أماكن أخرى في العالم، مبررة ذلك لنفسها بحصول سوابق تاريخية مثل عمليات نقل السكان التي حصلت في القرن العشرين لليونانيين والأتراك والهنود والباكستانيين والألمان والأوروبيين الآخرين، معتبرة أنّ عملية اقتلاع الفلسطينيين ونقلهم إلى البلاد العربية بشكل خاص ستشكل مجرد إعادة توطين.

انطلاقاً من هذه الخلفية، واستكمالاً لسياستها الهادفة إلى ترحيل العرب، سعت السلطات الإسرائيلية عبر مؤسساتها المتنوعة إلى تأمين الظروف الملائمة لتحقيق هدفها، فعمدت إلى وضع عدد من الخطط والمشاريع لترحيل العرب، وبعض هذه الخطط حاول دفع العرب لمغادرة بلادهم وأرضهم عن طريق تقديم المغريات والمحفزات إضافة إلى إجراءات التضييق المتبعة.

وإذا كانت فكرة ترحيل فلسطيني 48 واكبت، قولاً وفعلاً، كل مراحل المشروع الصهيوني، وإذا كان ثمة من حاول في السابق تلطيف هذا المفهوم أو التغطية عليه، فإن التطورات التي شهدتها هذه الفكرة حوّلتها إلى حزب سياسي أولاً، هو حزب "موليديت Moledet"، الذي أسسه رحبعام زئيفي Rehavam Zeevi سنة 1988، والذي تبني أيديولوجية "الترانسفير"، ثم إلى "تراث" صهيوني يجب تدريسه ضمن المناهج التعليمية ليس لليهود فقط، بل للطلاب العرب أيضاً، وذلك في ضوء قرار وزيرة المعارف في الحكومة الإسرائيلية، ليمور ليفنات Limor Livnat، تدريس "تراث" رحبعام زئيفي في المدارس الإسرائيلية. وزئيفي، كما ورد أعلاه، هو مؤسس حزب "موليديت" الذي تبني أيديولوجية "الترانسفير"، وهو الذي قال في هذا المجال إنَّ "الصهيونية كلها صهيونية ترانسفير"، و"إذا كان الترانسفير غير أخلاقي، فالصهيونية أيضاً غير أخلاقية"، ومن أقواله المشهورة: "العمال الفلسطينيون مثل القمل يجب التخلص منهم، العمال الفلسطينيون ينتشرون مثل السرطان".²⁸ وأهمية أقوال زئيفي تكمن في أنه قال بصوت عالٍ ما فكر به قادة الليكود: "في أرض إسرائيل مكان لشعب واحد فقط هو شعب إسرائيل".²⁹

محطات تاريخية: الفترة التي تلت سنة 1967:

في حزيران/يونيو 1967، وفي تكرار لما حدث سابقاً، تمّ طرد نحو 300 ألف فلسطيني من الضفة الغربية إلى الأردن، والعقيدة الصهيونية ذاتها التي لها اتصال وثيق بفكرة "الترانسفير"، أي القدر الأكبر من الأرض والأقل من العرب، هي التي طبقت بكلّ وضوح من جانب حزب العمل الحاكم آنذاك في الأراضي المحتلة سنة 1967، وإنشاء المستوطنات اليهودية فيها، ولا سيّما في الضفة والقطاع بعد سنة 1967 مباشرة. كما أنّ هذه العقيدة هي التي اتخذت شكلاً غير رسمي في خطة ألون 1967-1970، التي كانت هي أيضاً مطروحة استراتيجياً في العقيدة المتمثلة في سيادة "إسرائيل" على الجزء الأكبر من أراضي الضفة، وتثبيت الجيش الإسرائيلي على نهر الأردن، كما



كانت جزءاً أساسياً من عقيدة "إسرائيل" الدفاعية، وأصبحت هذه الحجة مطروحة من جانب جميع حكومات حزب الليكود Likud في الفترة التي تلت اتفاقيات أوسلو Oslo Accords، وخصوصاً خلال العقدَيْن الأخيرَيْن. وهذا الأمر يفسّر إلى حدٍّ ما انتعاش جدل "الترانسفير" (الرسمي والعام) في "إسرائيل" في العقود الأخيرة.³⁰

1. ما بعد أوسلو:

من وجهة النظر الإسرائيلية، كانت اتفاقيات أوسلو تتماشى إلى حدٍّ لا بأس فيه مع فكرة "القدر الأكبر من الأرض والأقل من العرب". ومن خلال اتفاقية أوسلو الثانية في أيلول/سبتمبر 1995، فإن هذا التوسع أدى في الواقع إلى تفتيت الضفة الغربية إلى ثلاث مناطق: المنطقة أ حيث مُنحت المدن الفلسطينية الكبرى حكماً ذاتياً، والمنطقة ب حيث مُنحت القرى والبلدات الفلسطينية التي كانت تقع على تخوم المدن الكبرى في المنطقة أ حكماً ذاتياً جزئياً، ثم المنطقة ج حيث الفلسطينيون أقلية تعدادها 200 ألف، وتشكل نحو ثلثي مساحة الضفة، تبقى تحت السيطرة الإسرائيلية المباشرة، وهي منطقة خُصّصها صانعو السياسة الإسرائيليون لتصبح فيما بعد جزءاً لا يتجزأ من "دولة إسرائيل". وهذا التقطيع في الواقع للضفة، والذي جرى بموجب اتفاقيات أوسلو بين "إسرائيل" والسلطة الفلسطينية التي تتمتع بـ "حكم ذاتي"، كان قد طُرح على بساط البحث لأول مرة في خطة ألون في الفترة 1967-1970.

وهكذا، وللمرة الثانية، نجد كيف أن العقيدة الصهيونية، أي القدر الأكبر من الأرض والأقل من العرب، جرى تطبيقها على أرض الواقع من جانب "إسرائيل" بواسطة اتفاقيات أوسلو وما تبعها من إجراءات، وأضحت هذه العقيدة في صلب الطريقة التي تمّ بها تقطيع أوصال الضفة إلى مناطق أ وب وج. وهذا التقطيع هو الذي سمح لـ "إسرائيل" منذ سنة 1993 بأن تزيد بمقدار ثلاثة أضعاف أعداد سكان المستوطنات في الضفة، وتحت غطاء أوسلو في بادئ الأمر. وقد سعت "إسرائيل" لإنشاء مستوطنات غير قابلة للتفكيك مستقبلاً، وبالتالي فرض وقائع ديموجرافية على الأرض من خلال بناء مئات المستوطنات والبؤر الاستيطانية، وأيضاً فرض حقائق على الأرض، الأمر الذي يُشكّل جزءاً أساسياً من الاستراتيجية الصهيونية على امتداد قرن من الاستيطان الصهيوني في فلسطين، والذي كان يرمي إلى ضمان ضمّ أجزاء كبرى من الضفة بطريقة لا يمكن نقضها أو الرجوع عنها، وبالتالي إلى

منع قيام دولة فلسطينية قابلة للحياة تقع في محاذاة "إسرائيل". ومن وجهة نظر "إسرائيل"، فإن مفهوم الحكم الذاتي الفلسطيني، على شاكلة السلطة الفلسطينية المحصورة في المنطقة أ (أي 5% من الضفة) والمنطقة ب، كان يرمي إلى حل مشكلة "إسرائيل" الديموجرافية، أي إلى إبعاد مراكز السكان الكبرى الفلسطينية عن "الدولة اليهودية". واليوم نجد أن معظم الفلسطينيين في الضفة محصور داخل المنطقتين أ وب اللتين تحكمهما السلطة الفلسطينية بصورة جزئية، وهي سلطة لا يمكنها أن تمارس مهماتها سوى بالتنسيق "الحميم" مع سلطات الاحتلال الإسرائيلية.³¹

وبعد انهيار عملية أوسلو في أعقاب الانتفاضة الثانية، ومع غياب أي عملية سياسية خلال العقدَيْن المنصرمَيْن، فإن مفاهيم "الترانسفير" قد تمّ الترويج لها مجدداً من طرف دوائر رسمية وشبه رسمية. وقد عمد أحد أهم مراكز الأبحاث الأكاديمية في "إسرائيل"، أي مركز الدراسات المتعدد المجالات في هيرتسليا Interdisciplinary Center Herzliya (IDC)، إلى التوصية بهذا "الخيار الرسمي"، أي خيار "الترانسفير".

وعلى الرغم من أن زعماء اليمين المتطرف في "إسرائيل" في حكومة الائتلاف الحالية هم الذين يرفعون الصوت عالياً بشأن هذا السيناريو، فإن الجدل الحالي والعلمي في "إسرائيل" فيما يخص "نقل" السكان الفلسطينيين إلى خارج الأراضي المحتلة هو مطلب ينادي به علناً المسؤولون الإسرائيليون والمعلقون على وسائل الاتصال. كما أن هذا الخيار موجود في "اقتراحات السياسة" وفي "أوراق البحث السياسية" التي يقدمها الأكاديميون للحكومة.

2. خُطط سابقة لتهجير سكان غزة:

إنّ الحديث عن سعي "إسرائيل" لتهجير سكان قطاع غزة إلى خارج فلسطين ولا سيّما إلى صحراء سيناء، الذي برز خلال الحرب التي تشنها "إسرائيل" حالياً على قطاع غزة، ليس جديداً في مشروع الحركة الصهيونية، بل هو جزء من مخططاتها رافقها منذ نشأتها. فبعد قيام "إسرائيل" باحتلال قطاع غزة، خلال حرب حزيران/يونيو 1967، طرح نائب رئيس الحكومة يغال ألون Yigal Allon مشروعاً لنقل أعداد من اللاجئين من قطاع غزة إلى ثلاث مناطق في منطقة العريش المصرية، بتمويل إسرائيلي، على أن تبدأ المرحلة الأولى بـ 50 ألفاً منهم؛ بيد أن ذلك المشروع رفضته



مصر رفضاً مطلقاً. ومن ناحية أخرى، جرت محادثات بشأن إخلاء قطاع غزة من سكانه بعد سنة 1967، إذ حرصت السلطات الإسرائيلية على تقليل عدد الفلسطينيين الخاضعين لسيطرتها، وتمّ تطوير خطط "ترحيل" متعددة توافقت مع الاستعداد لتقديم حوافز مالية للمهجرين المحتملين، في اتجاه شرقي نهر الأردن.³²

ومن الجدير ذكره، أنّ السيناتور الأمريكي آنذاك إدوارد كينيدي Edward Kennedy دعم خطة لتوزيع 200 ألف لاجئ من قطاع غزة حول العالم. وفي سنة 1971، طرح قائد المنطقة الجنوبية في الجيش الإسرائيلي، أرييل شارون Ariel Sharon، الذي كان يشنّ حملة عسكرية لتصفية المقاومة الفلسطينية المسلحة في قطاع غزة، مشروعاً لاقتلاع 12 ألف لاجئ من مخيمات القطاع ووضعهم في محطات لجوء أخرى في صحراء سيناء، لكن مصر رفضت بشدة هذا المشروع كذلك.³³

ثالثاً: مواقف وتصريحات: طرد سكان غزة في الخطاب السياسي:

انتشر خطاب تهجير الفلسطينيين من قطاع غزة بشكل واسع في "إسرائيل"، وبات بمثابة خطاب عام رسمي، حيث لا يتردد وزراء، وأعضاء كنيست، وأكاديميون، وصحفيون، في التعبير عنه علناً. وهذا الخطاب منتشر بمعظمه في أحزاب الائتلاف الحكومي، وهو واسع الانتشار في الشبكات الاجتماعية أيضاً.

ثمة أهمية كبيرة ومضاعفة للمواقف التي تصدر عن المسؤولين بشأن قضية ما، في كلّ ما يتعلّق بتحديد مشاريعهم وتوجّهاتهم حيالها، وتُعدّ المواقف المعلّنة من أهمّ القرائن والشواهد التي يمكن الاستناد إليها كأدلة لإثبات ذلك، وتزداد هذه الأدلة أهمية كلّما زاد تكرار تلك المواقف، بما يمنحها قوة إضافية، ومن هذا المنطلق، سنعرض عينة من مواقف المسؤولين، ولا سيّما الوزراء وأعضاء الكنيست من الكتل التي تتشكل منها الحكومة، والتي تدعو صراحة إلى ضرورة تهجير الفلسطينيين من قطاع غزة، وتقديم كل الحوافز المطلوبة لذلك من جهة، وممارسة كلّ أشكال القمع والقهر وإجراءات العنف بما فيما القتل والتجويع والتدمير، لحث الفلسطينيين في قطاع غزة على مغادرته.

إنّ مسألة انتماء الدّاعين إلى طرد الفلسطينيين من قطاع غزة إلى الائتلاف الحكومي الحاكم، وتحديدًا إلى أحزاب الليكود، والصهيونية الدينية، وقوة يهودية Jewish Power، ليست مسألة رمزيّة أو شكلية، إنّما هي جوهرية بكلّ ما للكلمة من معنى، نظرًا لأنّ الحكومة هي صاحبة القرار، وممثّلو هذه الأحزاب الثلاثة يتمتعون بالأغلبية المطلوبة لأيّ قرار في هذا الشأن، سواء داخل الحكومة الموسّعة أم داخل المجلس الوزاري المصغّر، والأمر نفسه ينطبق على موازين القوى داخل الكنيست، والتي تتيح للكتل البرلمانية التي تمثل الائتلاف الحكومي، تمرير أيّ قانون في الهيئة العامة للكنيست.

وأثار رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، غضباً في مصر والأردن، بعد تصريحاته في بداية الحرب على غزة بتهجير الفلسطينيين في القطاع إلى مصر، وحتى أنه اقترح مساعدات اقتصادية مقابل جريمة الحرب هذه، مثل شطب ديون مصر أو قسم منها، إلا أن هذا الغضب لم يردع نتنياهو، الذي كرّر تصريحاته حول تهجير سكان غزة إلى سيناء. وقال حول تهجير كهذا، خلال اجتماع لكتلة حزب الليكود في الكنيست، إن "مشكلتنا ليست بعدم السماح بخروجهم، وإنما أن تكون هناك دول مستعدة لاستقبالهم. هذه هي المشكلة التي نعمل عليها. أنتم جميعكم تعرفون ذلك".³⁴

علاوة على ذلك، بات نتنياهو يستشهد علناً بشواهد من العهد القديم مستذكراً شعب "العماليق" كي يفسّر موقف "إسرائيل" في الحرب الدائرة. وهو استشهد بسفر صموئيل الأول، الفصل الخامس عشر، الفقرتان 2 و3 اللتان جاء فيهما: "قد افترقت ما صنع عماليق بإسرائيل [...] فهلمّ الآن واضرب عماليق وأبسل جميع ما لهم ولا تغف عنهم بل اقتل الرجال والنساء والصبيان والرضع والبقر والغنم والإبل والحمير". وفسّر العديد من المراقبين هذا الاستشهاد بأنه ينمّ عن رغبة في شنّ حرب شاملة على غزة، وتهجير أهلها.³⁵

أكثر وزير المالية ورئيس حزب الصهيونية الدينية بتسلييل سموتريتش Bezalel Smotrich، من خطابه المتعلّق باقتلاع الفلسطينيين من أرضهم، وهو الذي يجاهر بذلك منذ سنوات عديدة. ومن جملة ما قاله بعد الحرب على قطاع غزة: "إذا تصرفنا بشكل استراتيجي صحيح، ستكون هناك هجرة وسنعيش في قطاع غزة، فلن نسمح بوضع يعيش فيه مليوني شخص هناك".³⁶



ورداً على إدانة الولايات المتحدة لكلامه وكلام وزير الأمن القومي إيتمار بن جفير Itamar Ben Gvir الذي دعا إلى تشجيع هجرة الفلسطينيين من قطاع غزة، قال سموتريش إن "أكثر من 70% من الجمهور الإسرائيلي اليوم يؤيد الحل الإنساني المتمثل في تشجيع الهجرة الطوعية لعرب غزة، واستيعابهم في بلدان أخرى". وبحسب سموتريش، فإن الجمهور يفهم أن "دولة صغيرة مثل دولتنا لا يمكنها أن تتحمل أن يكون هناك على بُعد أربع دقائق من مستوطناتنا بؤرة للكراهية والإرهاب، حيث يوجد مليوني شخص يستيقظون كل صباح ولديهم طموح في تدمير دولة إسرائيل. المجتمع الإسرائيلي لن يوافق على استمرار هذا الواقع في غزة".³⁷

وفي معرض ترحيبه بوصول وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن Anthony Blinken إلى "إسرائيل"، قال سموتريش: "وزير الخارجية الأمريكي بلينكن، أهلاً وسهلاً بك في إسرائيل. نحن نقدر كثيراً دعم الولايات المتحدة لإسرائيل، لكن في كل ما يتعلق بوجودنا في أرضنا سنعمل دائماً وفق المصلحة الإسرائيلية... سنعمل من أجل فتح أبواب غزة للهجرة الطوعية للاجئين مثلما تصرف المجتمع الدولي تجاه اللاجئين من سوريا وأوكرانيا".³⁸

وفي سياق متصل، تطرّق سموتريش إلى موضوع السيطرة على قطاع غزة وطرد موظفي وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل لاجئي فلسطين في الشرق الأدنى (الأونروا) The United Nations Relief and Works Agency for Palestine Refugees in the Near East (UNRWA)، فقال إن "الطريقة الوحيدة لضمان سيطرتنا على المدى الطويل على المنطقة هي من خلال تشكيل حكومة عسكرية تسيطر على غزة"، وأضاف:

أسمع الناس يقولون إن فكرة الحكومة العسكرية هي فكرة متطرفة وغير واقعية، ومع ذلك، الآن في النهاية، سيفهم الجميع أن هذه هي الطريقة الوحيدة للاستمرار وفرض السيطرة الأمنية في المنطقة، إلى جانب حلّ منهجي لمستقبل قطاع غزة من خلال السماح بهجرة مئات الآلاف من اللاجئين العرب الذين يتوسلون لمغادرة غزة إلى أماكن أخرى في العالم حيث يمكنهم العيش بأمان... وأخيراً، إلى جانب السيطرة الأمنية، يجب علينا أيضاً تجديد الاستيطان في قطاع غزة، لأنه لا أمن بدون استيطان، ولا يمكن خلق وجود عسكري في الميدان دون حياة مدنية.³⁹

وتعقيباً على التقارير التي جرى تداولها في وسائل الإعلام الإسرائيلية عن ترؤس رئيس الوزراء البريطاني السابق طوني بلير Tony Blair، فريقاً سيعمل على تشجيع هجرة سكان غزة إلى دول أخرى حول العالم، قال إيتمار بن جفير، إذا صح هذا الأمر فإنه يستحق التهنئة، وأضاف:

هذه هي الخطوة الأكثر عدالة وأخلاقية، أولاً وقبل كل شيء بالنسبة لسكان قطاع غزة، ولجميع سكان دولة إسرائيل، وهو أيضاً عنصر مهم وضروري في الحل الحقيقي لقضية اليوم التالي، التي قادها حزب قوة يهودية، وسيستمر في قيادتها. لم يعد هناك مجال للمفهوم الخاطئ القائل بأنه سيكون من الممكن الاستمرار في الحفاظ على روتين الحياة بجوار مدينة إرهاب.⁴⁰

وفي السياق نفسه أيضاً، دعا بن جفير إلى احتلال قطاع غزة وقال: ”لا توجد طريقة أخرى لإعادة الأمن إلى دولة إسرائيل. وينبغي تشجيع الهجرة الطوعية لسكان غزة“. وفي مقابلة مع القناة التلفزيونية الإسرائيلية 13، قال بن جفير إن ”الهدف الاستراتيجي الذي يجب أن يكون بنهاية الحرب، هو هزيمة حماس، وتهجير الفلسطينيين، واحتلال غزة“.⁴¹

الأمر نفسه عبّر عنه بن جفير في مقابلة مع قناة كان الإسرائيلية، بقوله: ”التشجيع طوعاً، صحيح، التشجيع طوعاً، أنتم محقون، التشجيع طوعاً ليرحلوا من هنا (سكان قطاع غزة)، أنتم محقون.. جزء من تصحيح الخطأ هو العودة إلى البيت، إلى جوش قطيف وشمال السامرة... يجب العودة إلى البيت لأن هذه هي التوراة، وهذه عدالة تاريخية، وهذا هو المنطق/ وهذا ما هو صحيح“.⁴²

كما تحدّث رئيس جهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك) Israeli Security Agency—ISA (Shabak) الأسبق ووزير الزراعة، أفى ديختر Avi Dichter، للقناة 12، حول إرغام الجيش الإسرائيلي سكان شمال ووسط القطاع على النزوح جنوباً، فقال ”إننا ندرج عملياً الآن نكبة غزة“. وكرّر ديختر، العضو أيضاً في المجلس الوزاري المصغّر للشؤون السياسية والأمنية (كابينت Cabinet)، القول إنّ ”هذه نكبة غزة 2023. هكذا سينتهي ذلك“.⁴³

وقال وزير التراث عميحاي إيلياهو Amihai Eliyahu، من حزب قوة يهودية، إنّ ”الاستيطان اليهودي في غزة، هو جزء من الأهداف التي ندفعها نحن، نحن في حزب



قوة يهودية، وحزب الصهيونية الدينية، والكثير جداً من الجمهور المحافظ اليوم في إسرائيل⁴⁴.

وتطرقت وزيرة الاستيطان والمهام الوطنية أوريت ستروك، من حزب الصهيونية الدينية، إلى فكرة الدولة الفلسطينية والاستيطان في القطاع، وقالت:

أرض إسرائيل كلها لنا ونحن لها، ولهذا السبب لن تكون هناك دولة فلسطينية في أرض إسرائيل، لأنه ليس هناك شيء اسمه شعب فلسطيني؛ لا يوجد شعب كهذا. ولهذا السبب، غالبية كبيرة في شعب إسرائيل تعارض إقامة دولة فلسطينية ليس فقط أنها لن تكون محقة وتفتقد لأي أساس تاريخي، بل وهي أيضاً خطر وجودي على دولة إسرائيل والعالم بأسره.⁴⁵

وقال عضو الكنيست تسفي سوكتوت Zvi Sukkot، من الصهيونية الدينية، في مناقشة بالكنيست: "على الأقل نحن بحاجة إلى احتلال شمال قطاع غزة وضمه وتدمير جميع المنازل هناك وبناء الأحياء". وأضاف:

كما قالت صديقتي ليمور سون هار ميلخ [Limor Son Har-Melech] (عضو كنيست)، نحن بحاجة إلى بناء أحياء كبيرة هناك، ومستوطنات كبيرة في هذا المكان، والتي سيتم تسميتها على اسم أبطال الأمة الذين قاتلوا هناك. وسوف نقوم بتوزيع قطع أرض مجانية هناك على الجنود والجرحي الذين قاتلوا.. هذه الصورة لغزة المدمرة، لساحة فلسطين، التي ستصبح ساحة البطولات الإسرائيلية، سوف يتردد صداها في كل بيت في كل بلد في العالم، وستذكرون دائماً ما يحدث لأولئك الذين يعبثون مع دولة إسرائيل.

وتطرق سوكتوت في مقابلة مع القناة 12 الإسرائيلية، إلى تصريحاته بشأن احتلال أجزاء من قطاع غزة وطبيعتها الإشكالية برأي منتقديه، فقال: "جامعة تل أبيب أقيمت أيضاً على أنقاض قرية عربية فرسكانها بعد قتالنا. وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الحال في شمال قطاع غزة أيضاً"، وتابع: "الاستيطان اليهودي على أنقاض القرى التي قاتلت ضدنا هو رسالة لها صدى وسيفهم الجميع ما يحدث لأولئك الذين يعبثون معنا".⁴⁶

وقال عضو الكنيست من حزب الليكود والسفير الإسرائيلي السابق لدى الأمم المتحدة داني دانون Danny Danon، في مقابلة إذاعية، إنه لا يفهم سبب رفض وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن حديث المشرعين الإسرائيليين عن "الهجرة

الطوعية” لسكان غزة إلى خارج قطاع غزة. وأضاف ”سأتحدث عن الهجرة الطوعية، لماذا يقول وزير الخارجية الأمريكي ألا نتحدث عنها؟، الأسبوع الماضي غادر ألف من سكان غزة إلى كندا التي سمحت لهم بالحصول على اللجوء، وهذا شيء مبارك، والأعداد ستزيد“.⁴⁷

تُروّج وسائل إعلام إسرائيلية لمخطّط تهجير سكان القطاع، ونقلت صحيفة ”ماكور ريشون Makor Rishon“ اليمينية عن الكاتب والمؤرخ الإسرائيلي اليميني يوآف سوريك Yoav Sorek، قوله ”إنني عضو في عدة مجموعات تحاول دفع هجرة واسعة من غزة، كمخرج وحيد سيُحوّل اليوم التالي (بعد الحرب) إلى يوم سلام“. وادّعى سوريك أنه ”لا يوجد سبب في العالم يجعل المجتمع اليهودي في إسرائيل يوافق على أن يبقى بجوارنا أناس يريدون القضاء عليه. والهجرة هي حلّ صحيح“. ورأى سوريك أنه ”ينبغي مواجهة الوعي السلبي لفكرة الترانسفير. ويدور الحديث هنا عن سكّان لاجئين منذ عدة أجيال، وأصبحوا الآن لاجئين في مكان سكنهم المؤقت أيضاً. ولا يوجد سبب لسجنهم في غزة، وهذا ليس جيداً لهم ولا لنا. ينبغي الحديث عن هجرة، وعن فتح سجن غزة“.⁴⁸

رابعاً: وثائق، خطط وأوراق بحثية:

تمثّل الوثائق الرسميّة، والخطط التي تنبع من رؤية سياسية وأيديولوجية، إضافة إلى أوراق العمل البحثية والدراسات التخصصية الصادرة عن مراكز الأبحاث والتفكير، مدمكاً أساسياً في التعامل بجديّة مع الدعوات إلى ترحيل الفلسطينيين، نظراً للأهمية التي تحتلّها في عملية صنع القرار واتخاذها، وتأثيرها في هذا المجال.

1. وثيقة وزارة الاستخبارات:

صاغت وزارة الاستخبارات الإسرائيلية وثيقة سياسة تتضمن اقتراحاً لإجلاء السكان الفلسطينيين من غزة إلى سيناء، كحل لليوم التالي للحرب. ووفقاً للوثيقة، ستعمل ”إسرائيل“ على تنفيذ الإخلاء، أولاً إلى مدن خيام ثم إلى مستوطنات دائمة ستتم إقامتها في شمال سيناء. وتتضمن المبادرة توجيهاً بإنشاء ”منطقة معقمة“



(عازلة) من عدة كيلومترات داخل مصر، وعدم السماح بعودة السكان إلى قرب الحدود الإسرائيلية. وأكدت وزارة الاستخبارات وجود الوثيقة.⁴⁹

وعلى الرغم من تقليل الوزارة من أهمية الوثيقة، إلا أنها مثّلت، بحسب خبراء ومعلّقين، أوّل دليل على محاولات المستوى السياسي في ”إسرائيل“ صياغة استراتيجية خروج للعملية، وفحص كيفية إدارة قطاع غزة في اليوم التالي لتحقيق هدف الحرب؛ ”إسقاط سلطة حماس“.⁵⁰

قدّر مؤلفو الوثيقة، أنّ إخلاء سكان غزة إلى مكان إقامة جديد خارج قطاع غزة لن يكتسب شرعية دولية، لكنهم يدّعون أنه سيقبّل من عدد الضحايا بينهم.

وجاء من مكتب رئيس الحكومة رداً على ذلك: ”هذه وثيقة نظريّة أوليّة، يوجد مثلها العشرات على جميع مستويات الحكومة وأذرع الأمن. لم تتمّ مناقشة مسألة ”اليوم التالي“ في منتدى إسرائيلي رسمي، الذي يركّز عليه الآن هو تدمير قدرات حماس السلطويّة والعسكريّة“.⁵¹

2. مخطّط سموتريتش ونظريّة الحسم:

تحت عنوان ”خطة الحسم Israel’s Decisive Plan: مفتاح السلام بيد اليمين“، نشر وزير المالية بتسلئيل سموتريتش، ورقة مكتوبة، أصّل فيها لمخطط تهجير الفلسطينيين، من منطلقات أيديولوجية وسياسية وأمنية.

كتب سموتريتش في رؤيته التي نشرها في سنة 2017، والتي سار على ضوئها، أنّ نموذج ”الدولتين“ أوصل ”إسرائيل“ إلى حائط مسدود: يأس من إمكانية إنهاء الصراع والانتقال إلى ”إدارته“، وكأنّه مصير قاسٍ وأبدي. البديل متوقف على جهوزية المجتمع الإسرائيلي للحسم بدلاً من إدارة الصراع، أساسه فهم بأن لا مكان في ”دولة إسرائيل“ لحركتين قوميتين متناقضتين. هذه الخطّة، بحسب سموتريتش، تختلف عن غيرها بأنّها تواجه أصل المشكلة؛ تقارب بجرأة جذور الصراع وجذور فشل كلّ ”الحلول السياسية“، في الماضي والحاضر، إذ لن يتحقّق ”السلام“ طالما سيبقى على حاله المبدأ الذي فُرض على هذه البلاد لاحتواء جماعتين لديهما تطلّعات قومية متناقضة.⁵²

يرى سموتريتش أن:

التناقض مفهوم، وكامن في تطوّر مصطلح الشعب الفلسطيني. فالشعب الفلسطيني في الأساس ليس سوى حركة مضادة للحركة الصهيونية، هذا جوهره وحق وجوده. الحركة القومية الفلسطينية هي نقيض الصهيونية، وبهذا التوصيف لا يمكنها إنجاز سلام معها. فرصة أنّه من الممكن قيام الصهيونية والقومية العربية بالتوازي في أرض إسرائيل، بتقاسم جغرافي كهذا أو ذاك، معدومة. فقط عندما يتنازل أحد الأطراف، طوعاً أو قسراً، عن تحقيق تطلّعه القومي في أرض إسرائيل سيتحقق السلام المنشود، وسيكون التعايش ممكناً هنا. أمل أنّ يشاركني جميع القراء فكرة أننا، نحن اليهود، لن نتنازل عن تطلّعنا القومي بدولة مستقلة في أرض إسرائيل، الدولة اليهودية الوحيدة في العالم. لأنّ من سيُجبر على التنازل عن طموح تحقيق هويته القومية هنا في أرض إسرائيل هو الطرف العربي. هذه هي غاية خطة الحسم التي أمامكم - لا مزيد من إدارة صراع متواصل بقوة متغيّرة، بل الحسم. لا مزيد من الخوض في الوحل وحلول تجميلية بلا جدوى، بل تجفيف المستنقع ومعالجة جذور المشكلة حتى النهاية. قد يصعب بداية استيعاب وهضم هذه الخطة، لكن المنطق الكامن فيها وكونها أيضاً حاسمة وضرورية، سيقودان في نهاية المطاف إلى تبنيها من قبل المجتمع في إسرائيل والمجتمع الدولي.⁵³

إنّ حسم الصراع، وفق رؤية سموتريتش، يعني:

ترسيخ الوعي، العملي والسياسي، بأنّ غربي الأردن يوجد مكان لتعريف قومي واحد فقط: وهو اليهودية.. هذا الحسم يمكن أن يتحقق بالتصريحات أيضاً، من خلال قول إسرائيل للعرب وللعالَم بأسره بأنّه لن تقوم دولة فلسطينية، لكنه يتحقق بالأفعال بشكل أساسي، عبر فرض السيادة الإسرائيلية الكاملة على كلّ مفاصل الوطن في يهودا والسامرة، ومن خلال حسم استيطاني عبر إقامة مدن ومستوطنات جديدة في عمق تلك المنطقة، واستقدام مئات آلاف المستوطنين الجدد للسكن فيها. بذلك سيتضح للعرب وللعالَم أنّ الواقع في يهودا والسامرة غير قابل للتغيير، وأنّ دولة إسرائيل هنا لتبقى، وأنّ الحلم العربي بإقامة دولة في يهودا والسامرة دُفّن نهائياً دون رجعة. الحسم الاستيطاني يهدف إلى تحقيق كيّ وعي العرب والعالَم بأنّه لا توجد أي فرصة لإقامة دولة عربية في أرض إسرائيل.⁵⁴



ومن هذا المنطلق، الذي لا يقبل التأويل، سيظهر أمام الفلسطينيين بديلان، حسب خطة سموتريتش (في الواقع هي ثلاثة):⁵⁵

• ”من يريد ويستطيع التنازل عن تحقيق تطلّعاته القومية، يمكنه البقاء هنا والعيش كفرد في الدولة اليهودية“.

• ”من لا يريد ولا يستطيع دفن تطلّعاته القومية، سيتلقى مساعدة للهجرة إلى واحدة من الدول العربية الكثيرة، حيث باستطاعة العرب تحقيق طموحاتهم القومية، أو إلى أيّ وجهة أخرى في العالم“.

• وبالتأكيد، يضيف سموتريتش، ”يمكن أن نفترض أنّه لن يتبنّى الجميع هذين الخيارين، وسيكون هناك من يصرّ على اختيار الخيار الثالث؛ مواصلة العنف ضدّ الجيش الإسرائيلي، ودولة إسرائيل، والمجتمع اليهودي. هؤلاء المخربون سيتمّ التعاطي معهم بحزم من قبل القوات الأمنية، بقوة تفوق المتبّع اليوم وبظروف مريحة أكثر بالنسبة لنا“.

ويخلص سموتريتش إلى أن:

خطة الحسم هي الخطة الوحيدة القائمة على نبوءة أرض إسرائيل الكاملة. وهي الخطة الوحيدة التي لم تياس مما كان إلى ما قبل فترة رؤية اليمين كلّ، ولم تتضمن تعريف كيان قومي عربي ما في أرض إسرائيل. وهي الخطة الوحيدة التي لا تستند إلى بقاء جماعة عربية ذات تطلّعات قومية، ولذا هي الخطة الوحيدة التي تستند إلى حسم الصراع وليس إلى إبقائه بقوة متغيرة. وبالأساس، إنّها الوحيدة التي تؤمن بإمكانية تحقيق حلم السلام وثنائية العيش ولا تستند إلى ياس من هذا الحلم وتبديله بفراق غير ممكن.⁵⁶

3. معهد مسجاف للأمن القومي والاستراتيجية الصهيونية Misgav Institute :for National Security and Zionist Strategy

تحت عنوان ”خطة إعادة توطين وترميم نهائي في مصر لكل سكّان غزّة: جوانب اقتصادية A plan for resettlement and final rehabilitation in Egypt of the entire population of Gaza: economic aspects“، نشر معهد مسجاف للأمن القومي والاستراتيجية الصهيونية، ورقة بحثية، في 2023/10/17، أشار فيها

إلى أنه تسنح حالياً فرصة لمرة واحدة ونادرة لإخلاء كل قطاع غزة بالتنسيق مع حكومة مصر، وعليه، أعدّ وثيقة عرضت خطة مستديمة وذات إمكانية عالية من ناحية اقتصادية، تنسجم جيداً مع المصالح الاقتصادية والجيو-سياسية لـ"دولة إسرائيل"، ومصر، والولايات المتحدة الأمريكية، والسعودية.

وورد في الورقة أنه:

في سنة 2017، أفيد أنه توجد في مصر نحو 10 ملايين وحدة سكنية خالية، من ضمنها نحو النصف مبني والنصف في مراحل بناء، وغالبية السكان المحليين غير قادرين على شراء هذه الشقق على الرغم من ثمنها الضئيل (بين 150 إلى نحو 300 دولار للمتر المربع فقط). في الحقيقة احتياطي الشقق الخالية يتغير طوال الوقت، لكن يبدو أنه يبقى كبيراً جداً ومتوفراً للسكن الفوري لكل سكان غزة.

بترجيح الحجم المعروف اليوم لكل السكان القاطنين في قطاع غزة، الذي يتراوح ما بين نحو 1.4 إلى نحو 2.2 مليون نسمة، يمكن تقدير أن المبلغ الشامل الذي سيُطلب للانتقال إلى مصر بغية تمويل المشروع سيبلغ نحو 5 حتى 8 مليار دولار. هذا المبلغ يعكس قيمة ما بين معدل ومعدل ونصف فقط من إجمالي الناتج المحلي لدولة إسرائيل ويمكن أن يمول بسهولة من قبل دولة إسرائيل، حتى دون أي مساعدة دولية.⁵⁷

وتضيف الورقة أن:

ضخّ زخم فوري بارتفاع كهذا للاقتصاد المصري سيوفر فائدة هائلة وفورية لنظام السيسي. هذه المبالغ المالية، بالنسبة للاقتصاد الإسرائيلي تافهة. إذا ساعد هذا الأمر في نقل الكرة إلى ملعب مصر، يمكن أيضاً مضاعفتها مرتين، ثلاث مرات، وحتى أربع مرات بغية حلّ قضية قطاع غزة، التي تشكل منذ سنوات عائقاً أمام السلام، الأمن والاستقرار، ليس فقط في منطقة الشرق الأوسط، إنما أيضاً حول العالم.

وبحسب معهد مسجاف، فإن:

استثمار مليارات الدولارات القليلة (أيضاً وإن كانت المسألة تتعلق بـ 20 أو 30 مليار دولار) بغية حلّ هذه القضية المستعصية هو حلّ عصري، زهيد ومستديم. لا سبب لافتراض أننا لن نتمكن من دفع فوري لـ 20-30 مليار



دولار، الذي يشكل في الحقيقة نوعاً من دفع على شراء قطاع غزة، وسنتمكن فيه في كل الأحوال من ضخّ قيمة كبرى طوال الوقت، بحيث أن المسألة تتعلق في الحقيقة باستثمار ناجع جداً لدولة إسرائيل. ظروف الأرض في غزة، التي تشبه تلك لمنطقة جوش دان ستنح في المستقبل مساكن بمستوى عالٍ لمدينين إسرائيليين كثر، وفي الحقيقة ستوسع جوش دان إلى حدود مصر. هذا سيمنح أيضاً مشهداً هائلاً للاستيطان في النقب.

ويعتقد المعهد في ورقته البحثية أن:

دائنين إضافيين لمصر، مثل ألمانيا، فرنسا، والسعودية، لا يريدون رؤية فشل تام للاقتصاد المصري، بحيث يصبح لديهم زخم لجعل الاقتصاد المصري يصمد وإن بواسطة استثمار إسرائيلي في إسكان كل سكان غزة في شقق موجودة في مصر. بالنسبة للدول الأوروبية، سيّما دول غرب أوروبا، نقل كل سكان غزة إلى مصر وتأهيلهم من خلال تقليص مهم لخطر هجرة غير شرعية إلى أراضيها، يشكل ميزة هائلة. يُتوقع أيضاً أن تستفيد السعودية بشكل مهم من هذه الخطوة، لأن إخلاء قطاع غزة معناه تصفية حليفة مهمة لإيران وإسهام هائل في استقلال المنطقة، ومن هنا منح إمكانية تعزيز السلام مع إسرائيل دون عوائق دائمة من الرأي العام المحلي بسبب جولات قتالية دائمة، متكررة، التي تشعل نار الكراهية ضدّ إسرائيل، كذلك هناك دول مثل السعودية تحتاج لقوة بشرية بارعة في البناء مثل الغزاويين، السعودية تبني مشاريع ضخمة وهذا قد يشكل تقاطع مصالح أيضاً على هذا الصعيد، ينبغي افتراض أن الكثير من سكان غزة سينقضّون على فرصة العيش في دولة غنية ومتطورة أكثر من مواصلة العيش في الفقر تحت سلطة حماس.

ويدّعي معهد مسجاف أنّه يمكن التوصل إلى هذه الصفقة بين مصر و”إسرائيل” في غضون عدّة أيام بعد بدء تدفق المهاجرين من غزة إلى مصر عبر معبر رفح، وأضاف:

أنه من اليوم يوجد مئات آلاف الغزاويين المهتمين بمغادرة القطاع. لذا على الجيش الإسرائيلي أن يُنشئ الشروط المناسبة لسكان غزة للهجرة إلى مصر، بتعاون مصري من الطرف الثاني للحدود (وبمقابل مناسب). بالإضافة إلى ذلك، فإن إغلاق قضية غزة سيؤمّن تزويداً مستقراً وكبيراً للغاز الإسرائيلي لمصر، وإسالة وسيطرة أقوى للشركات المصرية بخزانات الغاز الموجودة مقابل سواحل غزة، إضافة إلى نقل غزة خالية من سكانها إلى إسرائيل.

ويختم معهد مسجاف ورقته بالقول إنه "لا شك أنه بغية تنفيذ هذه الخطة، يجب أن تتوفر شروط كثيرة بالمقابل. في الوقت الراهن، هذه الشروط متوفرة ومن غير الواضح متى ستسنع فرصة كهذه مرة ثانية. حان وقت العمل. الآن".⁵⁸

خامساً: مؤتمرات إسرائيلية لإعادة استيطان غزة وترحيل الفلسطينيين:

استغلّ مؤيدو فكرة إعادة الاستيطان الإسرائيلي في قطاع غزة عملية طوفان الأقصى لإعادة إحياء فكرة استيطان غزة، كحلّ جذري للمشكلة الأمنية في غزة، مع ما يستتبع ذلك من تهجير وترحيل للفلسطينيين، أو لجزء منهم، من قطاع غزة.

لهذه الغاية صدرت تصريحات، وعُقدت مؤتمرات، وأعلنت منظمات وهيئات تابعة لليمين الديني والسياسي، بدء السعي الفعلي والعملي لاستيطان قطاع غزة وتهجير أهله، فيما يقوم بعضها بخطوات عملية وتسجيل آلاف الإسرائيليين الراغبين في ذلك، كما بدأت بعض شركات العقارات الإسرائيلية، وأبرزها شركة "هار زهاف HAR ZAHAV" (جبال الذهب) بنشر إعلانين يكشفان عن تخطيط مستقبلي لمشاريع بناء وإسكان داخل قطاع غزة. ونشرت هذه الشركة الإعلان الأول، وإلى جانبه خريطة القطاع مع المستوطنات الجديدة، بعضها يحمل أسماء مستوطنات تمّ إخلاؤها سنة 2005. وحمل الإعلان الثاني عنوان "استيقظوا، بيت على الساحل، هذا ليس حلمًا"، نُشرت رسومات للبيوت المنوي بناؤها وتسويقها، وفي خلفيتها صور بيوت الفلسطينيين المدمرة.⁵⁹

تجدر الإشارة إلى أنه في سنة 2005، تمّ إخلاء مستوطنات جوش قطيف ضمن ما عُرف بخطة "فك الارتباط" عن غزة، التي بادر إليها رئيس الحكومة أرييل شارون. وفي ذلك الوقت، ادّعى معارضو "فك الارتباط" أنه وعلاوة على الاستيطان المشروع في أي نقطة من "أرض إسرائيل"، فإن مستوطنات جوش قطيف تشكل دعماً لمستوطنات النقب. في المقابل، ادّعى المؤيدون أن السيطرة على مليون ونصف مليون فلسطيني داخل القطاع تنطوي على عبء ديموجرافي وأمني واقتصادي وأخلاقي على "إسرائيل". وبعد ثلاثة أعوام، ظهرت فكرة العودة إلى جوش قطيف، وكان



وزير البناء والإسكان الإسرائيلي الأسبق أوريل أرييل Uri Ariel، الذي يُعدّ أحد قادة المجلس الاستيطاني ”يشع“ The Yesha Council، تحدث عن إمكانية العودة قائلًا في مؤتمر للصهيونية الدينية ”سنعود إلى جوش قطيف عاجلاً أم آجلاً“.

في هذا السياق، نظّمت 15 جمعية وحركة استيطانية بينها: ”نحالا Nachala“، و”العقيدة القتالية Torat Lechima“، و”أوسعي مكان سكك Harchivi Mekom Ohalech“، و”سيادة Sovereignty“، و”عائدون إلى البيت Returning Home“، و”نهاية غزة Gaza Sof“، ومدرسة ”حومش Homesh“ الدينية، خلال كانون الأول/ديسمبر 2023، مؤتمراً تحت عنوان ”استعداد عملي للاستيطان في شريط غزة Returning to settle in the Gaza Strip“، شارك فيه نحو 150 شخصاً. وتناول المؤتمر العلاقة العميقة بين غزة وما أسموه ”شعب إسرائيل“، وكيفية تجديد وإعادة بناء الاستيطان اليهودي هناك.⁶⁰

وفي أبرز الكلمات التي أُلقيت خلال المؤتمر، أشادت مؤسسة ورئيسة حركة نحالا، دانييلا فايس Daniella Weiss، ب”المعنويات القومية المرتفعة والصحة العامة العظيمة لبناء شريط غزة واستيطانه“، وقالت إن الاستيطان اليهودي في شريط غزة لم يعد حلاً، بل ضرورة، سواء من وجهة نظر أمنية أم من وجهة نظر وطنية. بدوره، ألقى أحد قادة حركة نحالا، الحاخام عوزي شرباف Uzi Sharbaf، كلمة في المؤتمر، قال فيها إن لقطاع غزة أهمية في المصادر الدينية اليهودية، كونه ”الميراث الأول“ للشعب اليهودي، ودعا إلى الصلاة وفعل كل شيء حتى تحرير كل ”شريط سيناء“ حتى نهر مصر (الضفة الشرقية لنهر النيل)، كون هذه المنطقة، هي جزء لا يتجزأ من ”أرض إسرائيل“، حسب قوله.⁶¹

كما عُقد في نهاية كانون الثاني/يناير 2024، مؤتمرٌ جديد في مدينة القدس المحتلة، دعماً للاستيطان في قطاع غزة، من تنظيم حركة نحالا ومجلس ”شومرون الإقليمي Shomron Regional Council“، وحظي بتغطية إعلامية واسعة، حيث شارك فيه 12 وزيراً (بينهم 3 من الليكود)، و15 عضو كنيسة من الائتلاف الحاكم، إضافة إلى أكثر من 1,000 شخص آخر، وتمّ خلاله التوقيع على ”ميثاق النصر وتجديد الاستيطان في قطاع غزة وشمال السامرة Treaty of Victory and Renewal of Settlement in the Gaza Strip and Northern Samaria“ (شمال الضفة الغربية).⁶²

وبحسب تقارير إسرائيلية، اجتمع حشد كبير في صالة المؤتمرات الكبيرة في القدس المحتلة، التي استضافت مؤتمر اليمين الذي يدعو إلى الاستيطان في قطاع غزة، والذي حمل عنوان "عائدون إلى شريط غزة"، حيث تمّ عرض خريطة الاستيطان في المؤتمر التي تضمّنت نقاط استيطان جديدة من رفح وحتى شمال القطاع. كما تضمّن المؤتمر خطابات لوزراء حكومة ونداءات لترحيل الفلسطينيين من قطاع غزة.

وخلال كلام وزير الأمن القومي إيتمار بن جفير، حمل عدد من المتظاهرين لافتة تدعو إلى ترحيل سكان غزة، فأجابهم الوزير قائلاً:

نشجعهم على المغادرة من هنا طوعاً. جزء من تصحيح الخطأ بهذا المفهوم هو العودة إلى البيت في جوش قطيف. يجب العودة إلى البيت لأن هذا هو التوراة، هذه العدالة التاريخية وهذا هو الأمر الصحيح. اليوم جميعنا ندرك أن الهروب يجلب حرباً. يجب العودة إلى البيت والسيطرة على الأرض. كذلك، اقترح تشجيع الهجرة وقانون إعدام المخربين، إعدامهم، نخبة خلف أخرى، مخرب تلو آخر. تشجيعهم على الذهاب من هنا.⁶³

وصعد وزير المالية بتسلئيل سموتريتش إلى المنصة بعد الوزير بن جفير مباشرة وقال:

القوة والتصميم في الجبهة الداخلية هما مفتاح الانتصار في الحرب. شعب إسرائيل موجود عند مفترق طرق مهم. يجب اتّخاذ قرار بشأن الهروب من الإرهاب أو استخلاص العبرة والاستيطان في أرض إسرائيل بطولها وعرضها. بدون الاستيطان لا أمن. صرخنا حينها: "لا تعطوهم بنادق" ولم ينصتوا إلينا. كنا نعرف إلى أين سوف يوصل هذا الأمر وحاولنا منعه. لدينا شعب من الأسود. الكثير من الأطفال الذين تمّ إجلأؤهم من جوش قطيف عادوا إليها كمقاتلين. يجب أن نحرص على إعادتهم إليها كمستوطنين. الشعب الأزلي بمساعدة الرب سوف ينتصر.⁶⁴

ومثّل وزير السياحة حاييم كاتس Haim Katz حزب الليكود على المنصة، وقال:

أنا ابن لوالدين عاشا أوشفيتس [Auschwitz]، واتّخذنا قرار بالهجرة إلى أرض إسرائيل وبناء البلاد. كنت أنتمي لمجموعة كانت تسمى المتمردين، وتقاتل ضدّ الطرد من جوش قطيف. اليوم لدينا الفرصة للقيام وإعادة بناء وتوسيع أرض إسرائيل. بروح وبثقة سوف نفعل ذلك. بالنسبة لنا هذه



لعبة انتهت، لن يكون هناك إعادة، لا مكان لتحسينات. الآن معاً سوف نعمل
وسننتصر.

ومع نهاية كلام الوزير حاييم كاتس صعد الحاخامون، أعضاء الكنيسة والوزراء
إلى المنصة من أجل التوقيع على "ميثاق النصر وتجديد الاستيطان في قطاع غزة
وشمال السامرة".⁶⁵

وخلال المؤتمر، تمّ عرض خريطة الاستيطان أمام وزير الإسكان والبناء يتسحاق
غولدكنوفف Yitzhak Goldknopf، الذي قال:

أرض إسرائيل كلها هي ملك لشعب إسرائيل. الجميع يرى كيف يتفاقم
الوضع الأمني منذ الطرد. اليوم من الواضح للجميع أن الأمر كان خطأ
خطيراً. التنازل عن حفنة من أراضي إسرائيل يؤدي بشكل مباشر إلى سفك
دماء يهود. سوف أدمع تصحيح العمى الفظيع والعودة إلى جوش قطيف
ووادي غزة. الأمر سوف يُحدث كي وعي لدى العدو. لا شك بأن استئناف
الاستيطان اليهودي سوف يكون تصحيح عمى تاريخي. في حال ستتخذ
الحكومة الإسرائيلية قراراً كهذا سوف أعمل كوزير الإسكان على تطبيق
القرار وإعادة أيا منا كما كانت عليه.⁶⁶

افتتح المؤتمر رئيس مجلس شومرون يوسي داجان Yossi Dagan الذي قال:
"الجميع يُدرك، فقط الاستيطان سوف يجلب أمن". رئيس حركة نحالا دانييلا فايس،
قال: "الانتصار الحقيقي الوحيد لهذه الحرب سوف يكون العودة إلى مناطق آبائنا".
وقالت دانييلا فايس، رئيسة حركة نحالا:

في نقاط زمنية كتلك التي نعيشها، علينا تجاهل كل الضجيج في الخلف
وفهم ما يجب علينا فعله فعلياً، ما رؤيتنا وإلى أين نتجه. الانتصار الحقيقي
الوحيد لهذه الحرب سوف يكون العودة إلى أرض أجدادنا. في مدينة غزة كان
هناك استيطان يهودي على مدى غالبية سنوات التاريخ منذ خروج مصر
وحتى اليوم. يجب أن نفهم أن الأمر بيدنا، ولا يجب أن نخضع للإملاءات
والضغوط.⁶⁷

شارك في المؤتمر وزير المالية بتسلئيل سموتريتش (الصهونية الدينية)، ووزير
البناء والإسكان يتسحاق غولدكنوفف (يهودوت هتوراه Yahadut HaTorah)، ووزير

الأمن القومي إيتمار بن جفير (عوتسماه يهوديت [قوة يهودية])، ووزير الثقافة والرياضة ميكى زوهر Mickey Zohar (الليكود)، ووزير السياحة حاييم كاتس (الليكود)، ووزير الشتات عميحاى شيكلي Amichai Chikli (الليكود)، ووزير النقب والجليل والحصانة القومية يتسحاق فسرلاوف Yitzhak Wasserlauf (عوتسماه يهوديت)، ووزيرة الاستيطان والمهمات الوطنية أوريت ستروك (الصهيونية الدينية) ووزير البيئة عيديت سيلمن Idit Silman (الليكود)، ووزير المساواة الاجتماعية ماي جولن May Golan (الليكود)، ووزير التراث الحاخام عميحاى إياهو (عوتسماه يهوديت).

كذلك، شارك بالمؤتمر أعضاء الكنيست: حانوخ ملفيتسكي Hanoch Milwidsky (الليكود)، ونيسيم فاطوري Nissim Vaturi (الليكود)، وعميت هاليفي Amit Halevi (الليكود)، وتالي غوتليف Tally Gotliv (الليكود)، وإيتي عتيا Eti Atiya (الليكود)، وموشيه بسيل Moshe Passal (الليكود)، وأرييل كيلنر Ariel Kellner (الليكود)، ودان إيلوز Dan Illouz (الليكود)، ولیمور سون هار ميلينغ (عوتسماه يهوديت)، ويتسحاق كرويزر Yitzhak Kroizer (عوتسماه يهوديت)، وألموغ كوهين Almog Cohen (عوتسماه يهوديت)، وتسافىكا فوجل Zvika Fogel (عوتسماه يهوديت)، وموشيه سلمون Moshe Solomon (الصهيونية الدينية)، وتسافى سوخوت Zvi Sukkot (الصهيونية الدينية)، وميخائيل فولديغر Michal Woldiger (الصهيونية الدينية)، كما شارك الحاخام دوف ليؤور Dov Lior (كريات أربع Kiryat Arba سابقاً)، والحاخام إلكيم لفنون Elyakim Levanon (شومرون Shomron)، والحاخام ديفيد فندل David Fendel (المدرسة الدينية النظامية سديروت Sderot Hesder Yeshiva)، والحاخام عوزي شرباف Uzi Sharbaf (جمعية هرحيفي Harchivi). إلى جانب ذلك، شارك بالمؤتمر عائلات مختطفين، وعائلات تكلّى، سكان الجنوب وغلاف غزة، أفراد نوى الاستيطان في وادي غزة، وحشد كبير جاء ليدعم المسار.

وقال رئيس بلدية كريات أربع (في الخليل) إياهو لييمان Eliyahu Libman: "هذا ليس مجرد عمل أمني واستيطاني، بل هو تغيير مرحلة في عملية خلاص شعب إسرائيل، من الآن فصاعداً، فقط بالإيمان بالمقدس المتبارك يمكن أن يقوم". واقتبس



ليمان ومتحدثون آخرون الآية 55 من سفر العدد (إص 33): "وإن لم تطردوا أهل الأرض من أمامكم، يكونوا من ثبؤنه منهم كمخز في عيونكم وكشوك في خواصركم، يضايقونكم في الأرض التي أنتم مقيمون بها. (فأفعل بكم كما نويت أن أفعل بهم)".⁶⁸

أثار المؤتمر ردود فعل واسعة، حذرت من خطورة دعوات ترحيل الفلسطينيين وإعادة استيطان قطاع غزة، فأشارت صحيفة هآرتس Haaretz في افتتاحيتها إلى أن توجه جنوب إفريقيا إلى محكمة العدل الدولية International Court of Justice في لاهاي، بطلب إجراء تحقيق ضد "دولة إسرائيل" بتهمة الإبادة الجماعية وجرائم حرب، هو جرس إنذار لـ "إسرائيل". وأضافت الصحيفة:

حقيقة أن دولة إسرائيل تقودها الحكومة الأكثر تطرفاً في تاريخها، والتي يتحدث أعضاؤها عن محو غزة، ويناقدون علناً فكرة الترانسفير، ويدعون إلى احتلال قطاع غزة وإقامة مستوطنات فيه، إلى جانب حقيقة أن النقاش العام يطبع قتل 50 ألفاً أو 100 ألف من سكان غزة، وتجويع السكان، ومنع المساعدات الإنسانية كوسيلة للضغط على حماس، كل هذا قد يساعد المحكمة في لاهاي على أن تنسب إلى إسرائيل نوايا إلحاق الأذى بالسكان المدنيين.⁶⁹

وفي تقرير آخر، حذرت هآرتس من أنه:

لا يجوز التعامل مع مبادرة التطهير العرقي والاستيطان في غزة باستخفاف، وكأنها استعراض من نجوم روك سياسيين من المستوطنات، الذين يسعون إلى جذب الانتباه والعناوين. المستوطنون منظمون وأقوياء سياسياً، ومنذ اندلاع الحرب طردوا الكثير من الفلسطينيين من منطقة ج في الضفة الغربية. إنهم يعنون ما يقولون، وبقدر ما يستطيعون، سيستخدمون قوتهم السياسية لإحداث النكبة الثانية في غزة. ومن وجهة نظرهم، طرد معظم سكان غزة بأمر من الجيش الإسرائيلي، وهدم معظم المنازل في قطاع غزة يوفران فرصة لا تتكرر لتطهير عرقي ذي أبعاد تاريخية. نتنياهو، المتشبه بكرسيه، لن يوقفهم.⁷⁰

بدوره، قال الخبير في الشؤون العسكرية والأمنية في صحيفة ידיعوت أحرونوت Yedioth Ahronoth، رون بن يشاي Ron Ben-Yishai:

إن الدعوة إلى تجديد الاستيطان الإسرائيلي في قطاع غزة، والرغبة في تنفيذ ترانسفير لسكان غزة، تقوّض شرعية إسرائيل في الدفاع عن نفسها،

وإعطاء ذخيرة لجنوب إفريقيا في لاهاي. لتقليص الأضرار، يجب على نتنياهو والكابيتن التوصل بشكل واضح وعلني. لذلك، فإن المؤتمر في القدس، الذي حضره أيضاً وزراء وأعضاء كنيسة من حزب الليكود، لا يضر فقط بصورة إسرائيل إعلامياً في الرأي العام الغربي، بل يدعو أيضاً إلى ترانسفير، وهو ما يعد جريمة حرب في حد ذاته. وبعبارة أخرى، يدعو المؤتمر إلى فعلين تحظرهما قوانين الحرب الدولية، وقد يدفعان الولايات المتحدة أيضاً إلى مطالبة إسرائيل بشدة بوقف القتال.⁷¹

وحذر يشاي من أن دعوة بن جفير وسموتريش إلى "الهجرة الطوعية" تُقابل في مصر والأردن باعتبارها تهديداً مباشراً،

وتُشعر مصر بالقلق بشكل خاص من أن إسرائيل ستحاول توطين الفلسطينيين من غزة الذين "يهاجرون طوعية" في سيناء، وهو ما أعرب الرئيس السيسي عن معارضته الشديدة له، لدرجة التهديد بقطع العلاقات. كذلك أدلى الملك الأردني عبد الله ورئيس الوزراء الصفدي بتصريحات مماثلة. وبشكل عام، المؤتمر بحد ذاته، والكلام الذي قيل فيه، يُلحق الضرر ليس فقط بصورتنا، بل أيضاً بقدرتنا على كسب حرب لم يشك أحد حتى الآن، على الأقل في إسرائيل، في عدالتها.⁷²

وفي وقت لاحق، كرّر بن جفير دعوته إلى تشجيع هجرة الفلسطينيين وإعادة بناء المستوطنات في غزة، وذلك خلال مسيرة لليمين المتطرف، شارك فيها الآلاف في مدينة سديروت القريبة من حدود غزة منتصف أيار/ مايو 2024، وذلك إلى جانب وزراء الحكومة وأعضاء كنيسة. وقال إيتمار بن جفير في نهاية المسيرة أنه ينبغي تشجيع "الهجرة الطوعية" للفلسطينيين من غزة، في حين أصرّ وزير الاتصالات شلومو قرعي Shlomo Karhi، من الليكود، على أن إعادة الاستيطان في غزة هي السبيل الوحيد لضمان أمن "إسرائيل".⁷³

وزعم المنظمون أن نحو 50 ألف شخص شاركوا في مسيرة "يوم الاستقلال" تحت شعار بناء المستوطنات اليهودية في غزة، حيث تمّ إخلاء نحو 15 مستوطنة، ونحو 8,500 مستوطن في سنة 2005.⁷⁴

ونظمت حركة نحالا الاستيطانية، وهي منظمة ذات تاريخ متطرف في النشاط الاستيطاني غير القانوني، هذا الحدث بالتعاون مع مجموعات متدينة صهيونية



متشدة أخرى وجماعات قومية متطرفة، بما في ذلك ”حوتام Hotam، والسيادة،
والحقيقة اليهودية The Jewish Truth“، من بين جماعات أخرى.⁷⁵

وفي المسيرة، تمّ تقديم عرض تقديمي للفرق الستة التي شكّلتها نحالا لإنشاء ستّ
مستوطنات جديدة في غزة، والتي تمّ الكشف عنها لأول مرة في مؤتمر إعادة الاستيطان
في غزة الذي عُقد في القدس في كانون الثاني/يناير 2024، والذي نظّمته نحالا أيضاً
وأثار إدانات دولية.⁷⁶

وقال بن جفير من على المنصة، التي تمّ وضعها في نهاية المسيرة، ”لإنهاء المشكلة،
وحتى لا تعود المشكلة مرة أخرى، علينا أن نفعل شيئين: الأول العودة إلى غزة الآن!
العودة إلى الوطن! العودة إلى أرضنا المقدسة!“، ”وثانياً، تشجيع الهجرة. تشجيع
المغادرة الطوعية لسكان غزة.. إنه أمر أخلاقي! عقلاني! صحيح! إنها الحقيقة! إنها
التوراة وهي الطريق الوحيد! ونعم، إنه أمر إنساني“، على حدّ تعبيره.⁷⁷

وأدلى قرعي، وهو عضو يميني متشدد في حزب الليكود، بتعليقات مماثلة، وقال
في المظاهرة: ”من أجل الحفاظ على الإنجازات الأمنية التي ضحّى الكثير من جنودنا
بحياتهم من أجلها، يجب علينا أن نستوطن في غزة، مع قوات الأمن والمستوطنين.“
وأضاف الوزير ”سنمحو عار سنة 2005 من خلال الاستيطان في العام 2025/2024
بمشيئة الله.“⁷⁸

وقال عضو الكنيست عن حزب الصهيونية الدينية تسفي سوكون، وهو عضو
كنيست قومي متطرف وله سجل طويل من النشاط الاستيطاني، إن المسيرة تهدف
إلى ”تصحيح الجريمة الفظيعة المتمثلة في طرد اليهود من جوش قطيف“، مستخدماً
المصطلح العبري لمستوطنات غزة التي تمّ إخلاؤها خلال خطة فك الارتباط. كما
دعا سوكون، مثل بن جفير، إلى تشجيع هجرة الفلسطينيين من غزة، مضيفاً أن
”إسرائيل“ يجب أن ”تقول لدول العالم التي تهتم بأهل غزة بنفاق أخلاقي أنهم
[الغزايون] سيكونون أكثر أماناً معهم في بلدان أخرى. إذا كانوا يحبونهم كثيراً،
فيجب على جنوب إفريقيا أن تأخذ سكان جباليا إليها.“⁷⁹

سادساً: دعوات للإبادة الجماعية:

ترافقت حدّة الحرب الإسرائيلية وقسوتها ضدّ قطاع غزة، مع صدور جملة مواقف إسرائيلية عن وزراء، وأعضاء كنيست، وضباط، وخبراء، ومعلّقين، دعت بشكل واضح وصريح إلى قتل الفلسطينيين، وحرمانهم من أبسط مقومات الحياة، كالماء والدواء، وليس فقط ترحيلهم، وبرز منهم وزير الأمن يوآف جالانت Yoav Gallant الذي قال لجنود من الجيش الإسرائيلي: ”نحن نقاتل حيوانات... وسننتقم داخل غزة... أنا حرّرت كلّ الموانع، وفتحنا كلّ شي، ونزعنا القفازات، وسنقتل كلّ من يقاتلنا... من الجو والبر مع دبابات وجرافات، وبكلّ الوسائل، لا تسويات... سنقضي على الجميع“.⁸⁰

بدوره، دعا وزير الخارجية الإسرائيلية، يسرائيل كاتس Yisrael Katz، إلى منع المساعدات الإنسانية، والكهرباء، والمياه، والوقود عن قطاع غزة، إلى حين عودة المخطوفين الإسرائيليين إلى ديارهم.⁸¹

وفي مقابلة أجراها وزير شؤون القدس والتراث، عميحي إياهو (قوة يهودية)، قال إنّّه لا يوجد شيء اسمه أشخاص غير متورّطين في غزة، مضيفاً أنّ أحد الاحتمالات للتعامل مع غزة هو إسقاط قنبلة ذرية عليها ”كلها“.⁸²

ودعا زميل إياهو في حزبه، عضو الكنيست، إسحق كروزر Yitzhak Kreuzer، لمحو قطاع غزة من الخريطة من أجل بعث رسالة إلى بقية أعداء ”إسرائيل“، وأضاف أنّه يجب تسوية قطاع غزة بالأرض، وفرض عقوبة الموت على كلّ شخص في غزة، لأنّه ”لا يوجد أبرياء في قطاع غزة، إنّهم نازيون والنازيون لهم حكم واحد: الموت“.⁸³

ومن جهة حزب الليكود، برزت دعوة عضو الكنيست تالي غوتليف، لاستخدام أسلحة ”يوم القيامة“، أي السلاح النووي بلا خوف ضدّ الأعداء، وغرّدت على موقع إكس X (تويتر Twitter سابقاً): ”صاروخ أريحا! صاروخ أريحا! ردع استراتيجي. قبل التفكير بدخول قوّات. سلاح يوم القيامة! هذا رأيي“.⁸⁴

ودعا أيضاً رئيس مجلس مستوطنة كريات أربع، إياهو ليبمان، لاستخدام سلاح يوم الدين، مع قنابل ذرية ضدّ غزة، وضدّ إيران، وسورية، ولبنان، وفي أيّ مكان يوجد فيه أعداء.⁸⁵



وعلى صعيد الخبراء، كتب رئيس هيئة الأمن القومي سابقاً، اللواء احتياط جيورا آيلاند Giora Eiland، مقالاً في صحيفة ידיעות أحرونوت، قال فيه إنّه لا يوجد أمام "إسرائيل" خياراً، سوى تحويل غزة إلى مكان يستحيل العيش فيه بنحو مؤقت أو دائم، وطلب من سكان غزة، "إذا كانوا كائنات حية"، أن يغادروا فوراً إلى مصر أو يتجمّعوا على شاطئ البحر، ومن بعد ذلك يكون كلّ مبنى في غزة هدفاً عسكرياً. ودعا آيلاند أيضاً إلى عدم الاكتفاء بوقف تدفق الكهرباء والوقود والماء إلى غزة، بل ضرب الأهداف التي تؤمّن الحاجات الأساسية لسكان قطاع غزة، من أجل إيجاد "أزمة إنسانية حادة".⁸⁶

بدوره، رأى الباحث في معهد مسجاف للأمن القومي، إيلياهو يوسيان Eliyahu Yossian، أنه لا يوجد أبرياء في غزة، بل يوجد مليونان ونصف إرهابي، فكلهم إرهابيين، لذلك على "إسرائيل" أن تقتل 50 ألف غزائي، وترسل الطائرات، وتسوي المباني بالأرض.⁸⁷

وركّب محلّون ومعلّقون إسرائيليون موجة الدعوات إلى قتل الفلسطينيين وإبادتهم، حيث دعا محلّ الشؤون العربية في القناة 13، تسفي يحزكلي Zvi Yehezkel، الجيش الإسرائيلي إلى قتل 100 ألف شخص في غزة في يوم واحد، لأنّه في غزة "لا يُعرف من هو مدني بريء، وماذا يعني بريء؟".⁸⁸

ونقلت صحيفة هآرتس عن الصحفي الإسرائيلي شمعون ريكلين Shimon Riklin، قوله، إنّه يفتخر بأنّ "الجيش الإسرائيلي يدمّر قطاع غزة بشكل منهجي"، بعد بمقتل أكثر من 30 ألف من سكان غزة حتى الآن، وجرح 70 ألفاً آخرين، بما معناه أن "إسرائيل" ألحقت الضرر بنحو 8% من سكان غزة. كما ألحقت الضرر أيضاً بعشرات الآلاف من الوحدات السكنية في غزة، إلى جانب دمار هائل سببته للطرق والصرف الصحي والبنية التحتية للمياه والكهرباء. وأضاف ريكلين أن "إسرائيل حقّقت بالفعل إنجازات رائعة في مجال التطهير العرقي والتدمير المنهجي لغزة".

وانتقدت هآرتس كلام ريكلين، وقالت إن الاعتقاد المتزايد في إسرائيل بأنه "لا يوجد أبرياء في غزة"، وتصاعد الدعوات إلى الانتقام من دون قيود، ينتشر بين قطاعات كبيرة من الجمهور الإسرائيلي، إلى درجة أنّه لم يعد "لمحة مزعجة عن روح ظلامية"، بل دليلاً على أنّ الدمار الهائل والمستمر في غزة ليس نتيجة ثانوية للاستراتيجية،

بل هو الاستراتيجية، التي تهدف إلى ”تطهير غزة من سكانها، بعضهم بالنار، وبعضهم بالماء، وبعضهم بالسيف، وبعضهم بالأوبئة“.⁸⁹

ولعلّ التعبير الأوضح على حضور البُعد الديني الذي يبرّر قتل الفلسطينيين هو ما قاله رئيس المدرسة الدينية في يافا، في مؤتمر للمدرسة الدينية ”شيرات موشيه Shirat Moshe“، أنّه وفقاً لمبدأ الشريعة اليهودية، يجب قتل جميع سكان غزة، وعندما سُئل على وجه التحديد عن كبار السن والأطفال، أجاب: ”الأمر نفسه“.⁹⁰

وخصّ الحاخام إلياهو مالي Eliyahu Mali، الذي أسس المدرسة الدينية ”شيرات موشيه“ في يافا سنة 2008، كلماته بالحديث عن معاملة السكان المدنيين في غزة في أثناء الحرب، وقال في بداية تصريحاته إنّهُ ”بما أنّ هذه قضية حسّاسة، وقد قيل لي إنّهُ يتمّ نشرها في الإنترنت، فأنا أريد أن أكون في الطليعة وأقول إنّ خلاصة الأمر هي أنّ عليكم تنفيذ بالضبط ما ورد في أوامر الجيش الإسرائيلي“. وبعد ذلك بدأ يشرح ما هي حرب الفريضة، قائلاً إنّ ”القانون الأساسي في حرب الفريضة، في هذه الحالة غزة، هو في الواقع، إنّ لم تقتلهم، هم سيقتلونك. المخربون اليوم هم أولاد العملية السابقة التي أبقتهم على قيد الحياة. والنساء هنّ بالواقع من أوجدن الإرهابيين“.⁹¹

وأضاف الحاخام مالي: ”إما أنت وإما هم“. ”من يأتي لقتلك - قم واقتله. ليس فقط الصبي البالغ من العمر 14 أو 16 عاماً أو الرجل البالغ من العمر 20 أو 30 عاماً الذي يحمل سلاحاً في وجهك، بل أيضاً جيل المستقبل. وأيضاً أولئك الذين ينتجون جيل المستقبل. لأنّه في الواقع لا يوجد فرق“.⁹²

وعندما سُئل: ”الأطفال أيضاً؟“، أجاب رئيس المدرسة الدينية:

”الأمر نفسه“. لا يمكنك أن تتذاكى على التوراة. اليوم هو طفل، وغداً يصبح مقاتلاً. لا توجد أسئلة هنا. إرهابيو اليوم كانوا أطفالاً في الثامنة من عمرهم في العملية السابقة. لذلك لا يمكن أن تشعر بالرضا هنا. ولهذا السبب فإنّ قانون غزة مختلف هنا“.⁹³



خاتمة:

صحيح أنّ الحكومة الإسرائيلية لم تتبنّ رسمياً على لسان رئيسها أو في بياناتها هدف التهجير كأحد أهداف الحرب المعلنة، لكونه يمثل جريمة حرب واضحة، ويضعها في موضع حرج على الصعيد الدولي؛ ولا هي أعلنت عزمها على إعادة استيطان قطاع غزة وتهويده، لكن على الرغم من ذلك، لم يترك الخطاب السياسي والإعلامي في "إسرائيل"، مجالاً للشكّ في أنّ تهجير الفلسطينيين من قطاع غزة، كان الهدف الأول من وراء الحرب على القطاع، بحيث أنّ الشواهد والقرائن الدالة على ذلك أكثر من أن تُحصى.

إنّ الصدمة الكبيرة التي أصابت "إسرائيل"، على كلّ المستويات نتيجة عملية "طوفان الأقصى"، كشفت عن مكنونات الفكر الصهيوني المكبوت بفعل ادّعاء التحضّر، حيث فتحت شهوة الانتقام لدى عدد كبير من الإسرائيليين من خلال توجيه الضربات إلى الفلسطينيين من دون تمييز، وتشمل "سلة الانتقام" الإسرائيلية فرض عقوبات متنوّعة، منها القتل والقصف دون تمييز، كما يشهد واقع حال غزة المدّمرة اليوم، بالإضافة إلى دعوات التهجير، وإعادة بناء المستوطنات داخل القطاع انسجماً مع تقاليد الاحتلال في الضفة الغربية حيث يتمّ بناء بؤر استيطانية في مواقع العمليّات الفلسطينية في محاولة للانتقام من الفلسطينيين وردعهم.

لا شكّ في أنّ وجود القوات العسكرية لجيش الاحتلال الإسرائيلي على أرض غزة بعد بدء التوغّل البرّي، قد شجّع الأوساط المذكورة على محاولة إحياء مستوطنات القطاع، لا سيّما وأنّ هناك أوساط في "إسرائيل" ترى أنّها ممكنة التطبيق، وهذه الأوساط تنشغل عمداً بالفكرة، وتقوم بخطوات فعلية تمهيدية كالمؤتمرات والمخططات من أجل ذلك.

بالإضافة إلى الحرب الشاملة على غزة، فإنّ الدعوات الصادرة عن دوائر رسمية في "إسرائيل" إلى طرد الفلسطينيين بصورة جماعية من منازلهم في الضفة والقطاع، قد تعاضمت واتّسعت منذ بداية الحرب على غزة، بحيث باتت المطالبة بـ "الترانسفير" والطرّد الجماعي في صلب الخطاب الإسرائيلي السائد.

يمكن القول إنّ الحرب الاسرائيلية على قطاع غزة أعادت تظهير صورة الصهيونية وجوهرها، فبدت "إسرائيل" على حقيقتها كياناً استعمارياً إحلالياً عنصرياً، تعاني من تناقض وجودي مع الشعب الفلسطيني صاحب الأرض وسيدها، فلا مستقبل لها من دون إبادة الفلسطينيين أو تهجيرهم، وهو ما حدّته هدفاً لحربها على قطاع غزة، من دون أن تتنبّاه رسمياً، وخطّته نهجاً تجسّد في عمليّات القتل الجماعي والتدمير الهجمي، لقتل الفلسطينيين وإبادتهم إن لم تتمكّن من تهجيرهم.

وإذا كانت "إسرائيل" نجحت في قتل عشرات آلاف الفلسطينيين وتدمير مناطق شاسعة من قطاع غزة، إلاّ أنّها فشلت فشلاً ذريعاً في سلخ الفلسطينيين عن أرضهم، وفي إنتاج نسخة جديدة من نكبة الـ 1948، بفضل تضحيات الشعب الفلسطيني ومقاومته، وبذلك أخفقت "إسرائيل" في تحقيق هديّ الحرب المعلّنة: القضاء على حماس، وإزالة التهديد الذي يمثّله قطاع غزة، لأنّ تهجير الفلسطينيين يعدّ شرط وجوب لتحقيق هذين الهدفين.

لقد أحدثت عملية طوفان الأقصى تحوّلاً استراتيجياً في مرتكزات التفكير الإسرائيلي، ووضعت "إسرائيل" أمام مُعضلات ذات أبعاد وجوديّة، لكنّها في المقابل، أوجدت نافذة لفرص استثنائية أمام تيار واسع في "إسرائيل" من أجل إعادة الروح إلى فكرة "أرض إسرائيل الكبرى"، وضمان "يهوديّة الدولة" من خلال وضع حدّ لاختلال الميزان الديموجرافي بين اليهود والفلسطينيين على مساحة فلسطين التاريخية، وذلك من خلال الدفع باتجاه عمليّة ترحيل واقتلاع جديدة للفلسطينيين من قطاع غزة، وتوسّل السبل كافة، وعلى رأسها السبل العسكرية والسياسية وارتكاب المجازر، وتنفيذ حملة تدمير غير مسبوقة بما يجعل خيار الترانسفير أمراً واقعاً وخياراً مفضلاً، وإن مؤقتاً على أمل تحوّلِهِ إلى خيار دائم، وهو ما يجب تضافر كلّ الجهود لمنعه وإسقاطه.



الهوامش

- ¹ انظر: عباس إسماعيل، الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة: تهجير الفلسطينيين هدف أول، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2024/7/23.
- ² القناة 12 الإسرائيلية، النشرة الرئيسية، 2024/1/6.
- ³ صموئيل شابيرا، هل غزة جزء من "أرض إسرائيل الكاملة"؟، صحيفة ידיعوت أحرونوت، 2012/2/5، في: <https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4185221,00.html> (باللغة العبرية)
- ⁴ غزة في زمن الكتاب المقدس، موقع مركز قاطيف لإحياء ذكرى غوش قاطيف وشمال الشمرن، 2024/3/5، في: <https://mkatif.org/%D7%A2%D7%96%D7%94-%D7%91%D7%AA%D7%A7%D7%95%D7%A4%D7%AA-%D7%94%D7%AA%D7%A0%D7%9A> (باللغة العبرية)
- ⁵ غزة في زمن الكتاب المقدس، موقع مركز قاطيف لإحياء ذكرى غوش قاطيف وشمال الشمرن، 2024/3/5.
- ⁶ المرجع نفسه.
- ⁷ المرجع نفسه.
- ⁸ يائير بن ديفيد، فيديو حفل تقدير للكتيبة 2908، صفحة لئور إسرائيل على موقع فيسبوك، 2023/12/19، في: <https://www.facebook.com/lior.israeli.il/videos/794553985769210> (باللغة العبرية)
- ⁹ صموئيل إياهو، نبوءة حزقيال عن الانتقام العظيم من الفلسطينيين، موقع يوتيوب، 2023/10/27، في: <https://www.youtube.com/watch?v=2R19o1pPBZk> (باللغة العبرية)
- ¹⁰ شالوم برتل، عندما تسقط غزة سيأتي الخلاص وسيتم بناء الهيكل من جديد، يوتيوب، 2024/2/15، في: <https://www.youtube.com/watch?app=desktop&si=SspI410mRivvS21Z&v=08-1nQT0dd4&feature=youtu.be> (باللغة العبرية)
- ¹¹ المرجع نفسه.
- ¹² الكتاب المقدس - سفر التثنية 20: 16-17.
- ¹³ المرجع نفسه.
- ¹⁴ بيان نويهض الحوت، فلسطين: القضية - الشعب والحضارة (بيروت: دار الإستقلال للدراسات والنشر، 1991)، ص 295.
- ¹⁵ نور الدين مصالحة، طرد الفلسطينيين: مفهوم الترانسفير في الفكر والتخطيط الصهيوني 1882-1948 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1992)، ص 9.
- ¹⁶ أنيس صايغ، يوميات هرتسل، ترجمة هدا شعبان (بيروت: مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، 1968)، ص 76.
- ¹⁷ نور الدين مصالحة، طرد الفلسطينيين، ص 14.
- ¹⁸ بني موريس، "إعادة فبركة 1948"، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد 34، ربيع 1998، ص 158.
- ¹⁹ نور الدين مصالحة، "التصور الصهيوني لـ"الترحيل": نظرة تاريخية عامة"، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد 7، صيف 1991، ص 26.
- ²⁰ المرجع نفسه، ص 29.

- ²¹ المرجع نفسه، ص 30-31.
- ²² نور الدين مصالحة، طرد الفلسطينيين، ص 139.
- ²³ أحمد خليفة، حرب فلسطين 1947: الرواية الإسرائيلية الرسمية (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1986).
- ²⁴ شريف كنعانة، الشتات الفلسطيني: هجرة أم تهجير؟ (القدس: مركز القدس العالمي للدراسات الفلسطينية، 2018)، ص 28-92.
- ²⁵ سيفغ توم، الإسرائيلون الأوائل - 1949، ترجمة خالد عايد (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1986).
- ²⁶ المرجع نفسه، ص 57.
- ²⁷ المرجع نفسه، ص 47.
- ²⁸ يديعوت أحرونوت، 1982/11/2.
- ²⁹ محمد علي طه، في ضوء قرار تعليم تراث الترانسفير لطلاب المدارس، المشهد الإسرائيلي، موقع المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية - مدار، 2005/12/28، في: <https://www.madarcenter.org/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B4%D9%87%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A/465-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B1D-8%B4%D9%8A%D9%81/27-%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA-%D9%88%D8%A3%D8%B1%D8%A7%D8%A>
- ³⁰ نور مصالحة، "ورقة سياسات: مفهوم "الترانسفير" (الطرد) في الفكر والممارسة الصهيونية: الجذور التاريخية والتحديات الحاضرة"، موقع مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003، في: <https://www.palestine-studies.org/ar/node/1654742>
- ³¹ المرجع نفسه.
- ³² ماهر الشريف، "ورقة سياسات: الصهيونية: جذور مشروع ترحيل الفلسطينيين وتعبيراته الراهنة"، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2023، في: <https://www.palestine-studies.org/ar/node/1654692>
- ³³ المرجع نفسه.
- ³⁴ قناة كان الإسرائيلية، 2023/12/3.
- ³⁵ المرجع نفسه.
- ³⁶ بتسليتل سموتريتش، المحاور سافي فينر، صفحة راديو جي أل زد (GLZRadio @GLZRadio)، موقع إكس X، تويتر، 2023/12/31، في: <https://twitter.com/GLZRadio/status/1741347524693127398>
- ³⁷ يكي أدمكر، سموتريتش: أكثر من 70% من الإسرائيليين يؤيدون حلّ تهجير عرب غزة، موقع والا الإخباري، 2024/1/3، في: <https://news.walla.co.il/item/3633095> (باللغة العبرية)
- ³⁸ نينا فوكس، لينكن: نتناهو وعد - إسرائيل لن تشجع التهجير الطوعي من غزة، يديعوت أحرونوت، 2024/1/9، في: <https://www.ynet.co.il/news/article/hkfk6lju6> (باللغة العبرية)
- ³⁹ باز أبو حتسيرا، سموتريتش: يجب أن نقيم حكومة عسكرية تحت سيطرتنا في القطاع وكل القضاة في لاهاي سيأخذون الغزيين إلى بلدانهم، موقع 0404، 2024/1/29، في: <https://www.0404.co.il/?p=955523> (باللغة العبرية)



⁴⁰ أنا برسكي، بن جفير يدعم الطاقم الذي يعمل على فكرة تهجير سكان غزة، صحيفة معاريف،

2023/12/31، في: <https://www.maariv.co.il/breaking-news/Article-1064195> (باللغة العبرية)

⁴¹ أودي سيغل، بن جفير: "لاحتلال غزة، والبقاء فيها، ولتشجيع الهجرة الطوعية"، موقع القناة 13،

2024/1/17، في: <https://13tv.co.il/item/news/politics/politics/ben-gvir-903897854> (باللغة

العبرية)

⁴² قناة كان الإسرائيلية، أخبار المساء، 2024/1/28.

⁴³ القناة 12 الإسرائيلية، النشرة الرئيسية، 2023/11/11.

⁴⁴ قناة كان الإسرائيلية، 2024/1/29.

⁴⁵ باز أبو حتسيرا، الوزيرة ستروك: "كل أرض إسرائيل لنا ونحن لها، ليس هناك شيء اسمه شعب

فلسطيني"، موقع 0404، 2024/2/19، في: <https://www.0404.co.il/?p=961946> (باللغة العبرية)

⁴⁶ دين فيشر، أيضاً جامعة تل أبيب تتربع على أنقاض قرية عربية: تسفي سوكونت ينادي باحتلال أجزء

من غزة، موقع القناة 12، 2024/1/3، في:

https://www.mako.co.il/news-money/2024__q1/Article-97b65a8b3eccc81026.htm (باللغة

العبرية)

⁴⁷ زين ريد، نتنهاو ينفي وجود المطالبات بتهجير غزة، صحيفة هآرتس، 2024/1/10، في:

https://www.haaretz.com/israel-news/2024-01-10/ty-article-live/blinken-netanyahu-denies-gaza-transfer-as-israeli-policy-idf-probes-six-soldiers-death/0000018c-f15e-d206-a1af-f77ef4de0000?liveBlogItemId=292477566&utm_source=site&utm_medium=button&utm_campaign

(باللغة العبرية)

⁴⁸ بلال ضاهر، تهجير الفلسطينيين إلى خارج قطاع غزة خطاب إسرائيلي عام ورسمي، موقع عرب 48،

2024/1/2، انظر: <https://www.arab48.com>

⁴⁹ يهوئتان ليس، وثيقة لوزارة الاستخبارات تكشف اقتراح تهجير سكان قطاع غزة بعد الحرب إلى سيناء،

هآرتس، 2023/10/29، في:

[https://www.haaretz.co.il/news/politics/2023-10-29/ty-article/.premium/0000018b-7cea-](https://www.haaretz.co.il/news/politics/2023-10-29/ty-article/.premium/0000018b-7cea-d0f6-afeb-7eff10f00000)

[d0f6-afeb-7eff10f00000](https://www.haaretz.co.il/news/politics/2023-10-29/ty-article/.premium/0000018b-7cea-d0f6-afeb-7eff10f00000) (باللغة العبرية)

⁵⁰ المرجع نفسه.

⁵¹ المرجع نفسه.

⁵² بتسلييل سموتريتش، خطة الحسم: مفتاح السلام موجود لدى اليمين، موقع هاشيلو، 2017، في:

<https://hashiloach.org.il/%D7%AA%D7%95%D7%9B%D7%A0%D7%99%D7%AA-%D7%94%D7%94%D7%9B%D7%A8%D7%A2%D7%94-%D7%94%D7%9E%D7%A4%D7%AA%D7%97-%D7%9C%D7%A9%D7%9C%D7%95%D7%9D-%D7%A0%D7%9E%D7%A6%D7%90-%D7%91%D7%99%D7%9E%D7%99%D7%9F>

(باللغة العبرية) D7%9E%D7%A6%D7%90-%D7%91%D7%99%D7%9E%D7%99%D7%9F

⁵³ المرجع نفسه.

⁵⁴ المرجع نفسه.

⁵⁵ المرجع نفسه.

⁵⁶ المرجع نفسه.

⁵⁷ أمير فايتمن، خطة لإعادة التوطين وإعادة الإعمار النهائي في مصر لجميع سكان غزة: الجوانب الاقتصادية، موقع معهد مسجاف للأمن القومي والاستراتيجية الصهيونية، 2023/10/05، في: <https://mondoweiss.net/wp-content/uploads/2023/10/misgav-institute-ethnic-cleansing-report.pdf>

(باللغة العبرية)

⁵⁸ المرجع نفسه.

⁵⁹ وديع عوادة، "ورقة سياسات: الدعوات الإسرائيلية إلى إحياء "مستوطنات غزة"... الدوافع والاحتمالات"، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (2024)، في: <https://www.palestine-studies.org/ar/node/1655103>

⁶⁰ دانييلا فايس: الاستيطان اليهودي في غزة ليس بحل إنما ضرورة واقعة، موقع القناة السابعة، 2023/12/11، في: <https://www.inn.co.il/news/622782> (باللغة العبرية)

⁶¹ ديفيد طبرسكي، الاستعداد للعودة إلى غزة، موقع دافار، 2023/12/12، في: <https://www.davar1.co.il/472527> (باللغة العبرية)

⁶² جلعاد كوهين، وهم يغنون لسكان غزة: "فلترحلوا من هنا"، يديعوت أحرونوت، 2024/1/29، في: <https://www.ynet.co.il/yedioth/article/yokra13777853> (باللغة العبرية)

⁶³ المرجع نفسه.

⁶⁴ المرجع نفسه.

⁶⁵ المرجع نفسه.

⁶⁶ المرجع نفسه.

⁶⁷ نيتسان شابيرا، الخرائط جاهزة: المؤتمر الذي ينادي بالاستيطان في غزة، موقع القناة 12، 2024/1/4، في: https://www.mako.co.il/news-military/2024_q1/Article-44f6b501cf5dc81026.htm

(باللغة العبرية)

⁶⁸ انشيل بيير، بالنسبة للمشاركين في مؤتمر الترانسفير، 7 أكتوبر دليل على أن الخلاص هنا، هآرتس، 2024/1/29، في: <https://www.haaretz.co.il/news/politics/2024-01-29/ty-article/.premium/0000018d-5557-d8cc-a1fd-575f16940000>

(باللغة العبرية)

⁶⁹ كل الطريق إلى لاهاي، هآرتس، 2024/1/4، في: <https://www.haaretz.co.il/opinions/editorial-articles/2024-01-04/ty-article-opinion/0000018c-d05e-daf6-a5df-d77e10950000> (باللغة العبرية)

⁷⁰ في الطريق إلى التطهير العرقي، هآرتس، 2024/1/30، في: <https://www.haaretz.co.il/opinions/editorial-articles/2024-01-30/ty-article-opinion/0000018d-5562-d13a-a3cd-7d6b56ff0001> (باللغة العبرية)

⁷¹ رون بن يشاي، على كابيتن الحرب أن يدين "مؤتمر الترانسفير" وفوراً، يديعوت أحرونوت، 2024/1/29، في: <https://www.ynet.co.il/news/article/sj9jvvnv5p> (باللغة العبرية)

⁷² المرجع نفسه.

⁷³ جيريمي شارون، بن غفير يدعو إلى "تشجيع الهجرة" وإعادة بناء المستوطنات في غزة في مسيرة لليمين المتطرف، موقع تايمز أوف إسرائيل، 2024/5/14، في: <https://ar.timesofisrael.com/%d8%a8%d9%86-%d8%ba%d9%81%d9%8a%d8%b1-%d9%8a%d8%af%d8%b9%d9%88-%d8%a5%d9%84%d9%89-%d8%aa%d8%b4-%d8%ac%d9%8a%d8%b9-%d8%a7%d9%84%d9%87%d8%ac%d8%b1%d8%a9-%d9%88%d8%a5%d8%b9%d8%a7%d8%af%d8%a9-%d8%a8>



- ⁷⁴ المرجع نفسه.
- ⁷⁵ المرجع نفسه.
- ⁷⁶ المرجع نفسه.
- ⁷⁷ المرجع نفسه.
- ⁷⁸ المرجع نفسه.
- ⁷⁹ المرجع نفسه.
- ⁸⁰ يوآف زيتون، جالانت يلتقي مع المقاتلين في غلاف غزة: "لقد خلعنا القفازات، ومنتقل للهجوم"، **يديعوت أحرونوت**، 2023/10/10، في: <https://www.ynet.co.il/news/article/ryxikl7z6> (باللغة العبرية)
- ⁸¹ النشرة الإخبارية: اللواء زيف: "لإخلاء وقصف المستشفيات التي تستخدم كدروع بشرية"، موقع كول حاي، 2023/10/18، في: <https://www.93fm.co.il/radio/948863> (باللغة العبرية)
- ⁸² الوزير إياهو: إلقاء قنبلة نووية على غزة أحد الخيارات، موقع قناة مكان، 2023/11/5، في: <https://www.makan.org.il/content/news/%D7%9E%D7%9B%D7%90%D7%9F-%D7%97%D7%93%D7%A9%D7%95%D7%AA/p-11693/596478> (باللغة العبرية)
- ⁸³ لإقالة اليمين المتطرف من الحكومة فوراً، **هآرتس**، 2023/11/6، في: <https://www.haaretz.co.il/opinions/editorial-articles/2023-11-06/ty-article-opinion/0000018b-a031-dc41-af9f-eb33bce80000> (باللغة العبرية)
- ⁸⁴ ران بار زيك، تالي غوتليف تدعو لاستخدام السلاح النووي ضد حماس، موقع ذا ماركر، 2023/10/10، في: <https://www.themarker.com/captain-internet/2023-10-10/ty-article/.premium/0000018b-199c-d465-abbb-1dbe52600000> (باللغة العبرية)
- ⁸⁵ بن كاسبيت، رئيس مجلس محلي يطالب: "يجب إلقاء قنبلة ذرية على إيران"، **معاريف**، 2023/10/24، في: <https://www.maariv.co.il/news/politics/Article-1047147> (باللغة العبرية)
- ⁸⁶ جيورا آيلاند، ليس انتقاماً، إما نحن أو هم، **يديعوت أحرونوت**، 2023/10/11، في: <https://www.ynet.co.il/yedioth/article/yokra13625377> (باللغة العبرية)
- ⁸⁷ إياهو يوسيان: لا يوجد أبرياء في غزة، **معاريف**، 2023/10/30، في: <https://www.maariv.co.il/news/viral/Article-1048546> (باللغة العبرية)
- ⁸⁸ القناة 13: تسفي يحزكلي: يجب قتل 100 ألف غزائي في الضربة الأولى، صفحة (@yedidya_epstien)، **إكس/X** تويتر، 2023/12/19، في: https://twitter.com/yedidya_epstien/status/1737202935417675997 (باللغة العبرية)
- ⁸⁹ يوعني غونين، الخراب الضخم في غزة هي الاستراتيجية، **هآرتس**، 2024/3/5، في: <https://www.haaretz.co.il/opinions/2024-03-05/ty-article-opinion/.highlight/0000018e-0a83-d857-adff-cffb00ce0000> (باللغة العبرية)
- ⁹⁰ نينا فوكس، رئيس مدرسة دينية: "وفقاً لمبدأ الشريعة - اقتلوا الجميع في غزة"، **يديعوت أحرونوت**، 2024/3/8، في: <https://www.ynet.co.il/news/article/skqvdpd00aa> (باللغة العبرية)
- ⁹¹ نينا فوكس، رئيس مدرسة سدر الدينية في يافا: وفقاً لمبدأ الهالاخا - اقتلوا الجميع في غزة، حتى الأطفال، **يديعوت أحرونوت**، 2024/3/8، في: <https://www.ynet.co.il/news/article/sy3bfhu6p> (باللغة العبرية)
- ⁹² المرجع نفسه.
- ⁹³ المرجع نفسه.

فلسطينيو 48 وحرب الإبادة الإسرائيلية ضد قطاع غزة بين الواقع والمتوقع¹

هاني رمضان طالب*

مقدمة:

في أعقاب اندلاع حرب الإبادة الجماعية التي ما زالت تشنّها "دولة إسرائيل" منذ 2023/10/7، ضدّ قطاع غزة، بدأ كثير من اليهود الإسرائيليين على المستوى الرسمي والشعبي التعبير العلني عن تخوفهم من التوقع بأن يؤدي انفجار الجبهة الجنوبية في قطاع غزة وارتفاع درجة التوتر والضربات المتبادلة على الجبهة الشمالية مع حزب الله إلى اشتعال جبهة ثالثة، وأكثر حساسية، وهي "الأقلية الفلسطينية داخل أراضي 48".

ومع أن السياسات الإسرائيلية المتبعة تجاه الفلسطينيين الذين يشكلون تلك الأقلية، ممن بقوا في وطنهم الأصلي بعد نكبة سنة 1948، لم تحمل تحولاً جوهرياً خلال الحرب على قطاع غزة، لكنها بلا شكّ حملت تصعيداً حاداً ومجاهرة في العداء تجاههم. ولكن وفي مقابل هذا التصعيد برزت حالة من عدم تناسب الفعل السياسي لهذه المجموعة من الفلسطينيين إزاء مجريات الحرب ضدّ قطاع غزة، والذي من غير الممكن فهمه بدون التوقف عند بعض الظروف والعوامل، منها الذاتي ومنها الموضوعي، والتي أسهمت في تشكيل هذه الحالة، حتى لحظة كتابة هذه السطور على الأقل.

في هذا الإطار، ستحاول هذه الورقة الإجابة على الإشكال الرئيسي الذي من الممكن صياغته على هيئة التساؤل التالي: لماذا جاء رد فعل فلسطينيو 48 على الحرب ضدّ قطاع غزة مخالف للتوقعات الإسرائيلية والفلسطينية على حدٍ سواء؟

* باحث دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية.



وذلك من خلال تقسيمها على النحو التالي:

أولاً: تقديم قراءة حول معطيات تشكّل حالة عدم التناسب، (الواقع)، التي ميّزت الموقف الفعلي على الأرض للأقلية الفلسطينية داخل أراضي 48، خلال أكثر من سبعة أشهر من الحرب على غزة، حتى تاريخه.

ثانياً: رصد بعض السياسات التي شكّلت رد فعل المؤسسة الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين من حملة المواطنة الإسرائيلية خلال مدة الحرب، كإجراءات استباقية احترازية للحؤول مما هو (متوقع).

أولاً: قراءة حول معطيات تشكّل حالة عدم التناسب (الواقع)، التي ميّزت الموقف الفعلي على الأرض للأقلية الفلسطينية داخل أراضي 48:

تاريخياً مارست المؤسسة في "إسرائيل" العنصرية تجاه الفلسطينيين في الداخل بأشكال متعددة وخلال حقبة زمنية مختلفة، بدءاً بالنكبة، ومروراً بفترة الحكم العسكري والانتفاضتين، ووصولاً إلى الحروب المتعددة التي خاضتها. فلم تنجح اللجان المختلفة والخطط الاقتصادية التي حاولت تعزيز المواطنة الإسرائيلية على حساب الهوية الوطنية للفلسطينيين في عملها حتى الآن. ولقد ازدادت في السنوات الأخيرة قوة المستوطنين واليمين المتطرف، خصوصاً في سدة الحكم، وبدأت العنصرية محدودة للمستوطنين المتواجدين في الأطراف، مثل "شباب التلال" وآخرين، الذين تسلّلوا إلى المدن الساحلية المختلطة عبر "مشروع استيطان القلوب". وبفضل الدعم من رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو Benyamin Netanyahu، نجح قادتهم في دخول الحكومة، سعيّاً منهم أيضاً لتغيير هيكل النخب التقليدية في "إسرائيل".²

وبالنظر إلى أبرز سياسات الحكومة الإسرائيلية، التي سيتم التطرق لها فيما بعد، في تعاملها مع الأقلية الفلسطينية داخل أراضي 48 خلال أكثر من سبعة أشهر من الحرب على غزة، حتى الآن، يمكن الاستنتاج أن المؤسسة الإسرائيلية تنظر وتتعامل معهم في أوقات الأزمات الأمنية الحادة على أنهم يمثلون عدو حقيقي، أو على الأقل

أنهم أعداء محتملون، إذ يمكن وصف ما يحدث مع الأقلية الفلسطينية بعودة غير معلنة إلى استخدام أدوات الحكم العسكري. حيث توضح الحرب الدائرة حالياً في قطاع غزة مدى هشاشة ما يعرف بالمواطنة الممنوحة للفلسطينيين في "إسرائيل" وخواتمها، وخضوعها الكامل للدوافع والهواجس الأمنية، ولاحتياجات الإجماع الصهيوني وشروطه.³

لقد تزامنت حرب الإبادة على غزة سنة 2023، مع تفاقم معاناة فلسطينيي الداخل جراء حالة جماعية وفردية مأزومة للغاية، وذلك عقب سنوات طويلة من استهداف حكومات "إسرائيل" مكامن قوتهم الاجتماعية والسياسية، فشكّل هذا الظرف أرضية خصبة سهّلت استهدافهم وترهيبهم، وبالتالي تحجيم ردّ فعلهم السياسي.

1. تفاقم المشكلات الاجتماعية وزيادة الضعف السياسي:

اجتماعياً، شهدت السنوات الأخيرة تصاعداً نوعياً في آفة الجريمة المنظمة، والتي تشكل تهديداً جدياً للأمن الفردي، وللنسيج الاجتماعي أيضاً، وقد سقط في الفترة 2019-2023 نحو ما يقارب الـ 693 قتيلاً، بينهم 247 قتيلاً في سنة 2023،⁴ ويبدو أنه، وفي السنوات الأخيرة، وفي ظلّ غياب أي رادع حقيقي، تتجاوز هذه الجرائم الحدّ الأدنى من الضوابط الأخلاقية، حتى تلك التي تميز منظمات الجريمة في أماكن أخرى في العالم. ففي ظلّ تقاعس مؤسساتي صارخ، وفي ضوء عدم جدية "دولة إسرائيل" في مكافحة هذه الآفة، تمادت منظمات الإجرام ليستهدف السلاح الأطفال وبيوت العزاء، وأيضاً مراكز المدن والأحياء السكنية في التجمعات العربية.

ولم يكن المشهد السياسي أفضل حالاً من الحالة الاجتماعية، إذ تزامنت الحرب مع وجود الأحزاب السياسية في حالة من الهشاشة والوهن والتفكك، الأمر الذي انعكس في عدم قدرتها على التصدي للسياسات القمعية التي مورست بشراسة في حق فلسطينيي⁴⁸. ولطالما شكل التمثيل السياسي للفلسطينيين تحدياً كبيراً لـ "دولة إسرائيل" تماشياً مع تعاملها مع الفلسطينيين حاملي المواطنة الإسرائيلية كدخلاء غير مرغوب فيهم في "الدولة اليهودية".

إنّ، وفي ضوء تشكيل القائمة العربية المشتركة في سنة 2015، والالتفاف الجماهيري الكبير حولها، واحتمال تعاظم تأثير التمثيل السياسي للفلسطينيين من خلال إطار سياسي جامع، فقد مثلت تهديداً أكثر جدية لـ "الدولة اليهودية". لذلك،



من ناحية، كثفت المؤسسة الإسرائيلية في العقد الأخير استهداف القيادة السياسية وملاحقتها، ومن ناحية أخرى عززت من دور السلطات المحلية ورؤسائها، هادفة إلى التخفيف من قوة القيادة القطرية، وتحقيق سياسة تثبيت القوة السياسية الفلسطينية لتثبيت سياسة فرق تسد.⁵

في المقابل، فإن عدم قدرة مختلف التيارات السياسية على التعالي على الخلافات السياسية والفكرية، وعلى تجاوز الصراع فيما بينها على ترؤس القائمة المشتركة وتقاسم الأدوار فيها، أضعف قدرة القيادة السياسية على التصدي لهذه المحاولات، الأمر الذي أفضى إلى تفكك القائمة المشتركة، وتثبيت الصراعات والخلافات السياسية بين مركّباتها، ما أدى إلى إضعاف التمثيل السياسي الفلسطيني. ووصلت ذروة التفكك والخلافات بين التيارات المختلفة إلى زعزعة ثوابت قواعد انخراط الفلسطينيين في "إسرائيل" في السياسة الإسرائيلية، متمثلة، على سبيل المثال لا الحصر، في توصية الأحزاب العربية بمرشح لتشكيل الحكومة، ودخول حزب عربي (القائمة العربية الممثلة للحركة الإسلامية - الجناح الجنوبي) في الحكومة الإسرائيلية للمرة الأولى منذ النكبة. حيث أسهمت تلك التطورات في تعزيز الانقسام داخل المجتمع الفلسطيني في أراضي 48 من ناحية، وفي انكماش التفاعل مع السياسة التمثيلية من ناحية أخرى.

بالإضافة إلى أن لجنة المتابعة، التي تُعدّ المظلة الجامعة لأطياف وتشكيلات المجال السياسي والتمثيلي الوطني في أراضي 48، لم تتطور تنظيمياً وسياسياً ومالياً في ظلّ رئاسة "محمد بركة" لها، والذي يشغل هذا المنصب منذ تشرين الأول/أكتوبر 2015، بل إن أدائها الجماعي شهد تراجعاً في ظلّ خلافات أطياف المجال السياسي من أحزاب ورؤساء بلديات، وعدم مأسستها بُنيوياً، بالإضافة إلى الملاحقة السياسية لمكونات مركزية فيها.

كما أتت عملية طوفان الأقصى، واندلاع الحرب بعدها، في ظلّ ضعف وتراجع الفعل الشبابي والطلابي في أراضي 48، والذي كان قد بلغ ذروتين خلال العقد الأخير: الأولى، كانت خلال "هبة برافر" سنة 2013، والثانية خلال "هبة الكرامة" سنة 2021، ولكن بشكل عام يمكن وصف الحركات والهيئات الطلابية في الجامعات، بأن وضعها يمثل انعكاساً للوضع التنظيمي والمؤسساتي العام.⁶

عموماً، يظهر بأن هذه الحالة المؤسسية أسهمت إلى حد كبير في غياب متانة جماعية تمنح ظهيراً للجماهير، وتكون عنواناً احتجاجياً كما في محطات سابقة، وهو ما أسهم كذلك في تشكيل حالة عدم تناسب رد الفعل (الواقع) الراهنة. ويمكن وصف الأمر بأنه فقدان لمركز أو ثقل سياسي يمكن للناس أن يستندوا إليه ويروا فيه مرجعية تصنع لهم أملاً، وتُشعرهم ولو بالحد الأدنى بالحماية والأمان النسبيين، وخصوصاً بعد اختبار مجتمع احتجاج ”هبة الكرامة“ سنة 2021، لحالة فقدان المرجعية إلى حدّ اليتيم، ذلك بأن مئات المعتقلين الموجهة إليهم لوائح اتهام، وجدوا أنفسهم، ومعهم عائلاتهم، وحيدين في مواجهة الممارسات والسياسات العقابية لأجهزة ومؤسسات النظام، ومن ضمنها الجهاز القضائي (المحاكم).⁷

2. رفع فاتورة مواجهة النظام:

عمد النظام الإسرائيلي إلى العمل عبر مختلف أجهزة الدولة وآلياتها، على تدفيع فلسطيني 48 ثمناً باهظاً لأي خروج عليه أو مواجهة له، كعقاب على انخراطهم في الهبّات والانتفاضات الشعبية. وللإشارة إلى أبرز محطات تلك المواجهة، والتي كلّفت الفلسطينيين دفع فاتورة مرتفعة جداً، يمكن ذكر ”الجريمة المنظمة“ و”هبة الكرامة“ على سبيل المثال لا الحصر، على النحو التالي:

أ. الجريمة المنظمة:

مما لا شك فيه أن تصاعد منسوب الجريمة المنظمة داخل المجتمع الفلسطيني داخل أراضي 48 يعود إلى سياسة الحكومة الإسرائيلية المتعاقسة في مواجهة هذه الظاهرة، من جهة، وإلى سياسة التمييز العنصري التي تنتهجها هذه الحكومة إزاء المواطنين العرب الفلسطينيين، من جهة ثانية. فبحسب الصحفية الفرنسية ”كلوتيلد مرافكو Clothilde Mraffko“، تزدهر الجريمة المنظمة ”بسبب التهميش الاجتماعي والاقتصادي للمجتمعات الفلسطينية في إسرائيل بعد عقود من سياسات التمييز في الميزانيات، وفي تخصيص الأراضي، وفي الوصول إلى مجالات العمل، وفقاً لتقرير رسمي لسنة 2021، يعيش 39% من فلسطيني إسرائيل تحت خط الفقر“. وتضيف الصحفية نفسها ”أن الفجوة التي يتعين سدها بين البلديات العربية واليهودية سحيقة“ ففي سنوات الألفين، كانت معظم البلديات الفلسطينية الإسرائيلية مدينة



بالمال، وقد وُضع بعضها تحت مراقبة محاسب، وكان بعضها—مثل بلدة الطيبة—مُسيّراً مباشرة من طرف موظف تعينه الدولة.⁸

لقد مأسس النظام الإسرائيلي الجريمة المنظمة في صفوف فلسطينيين 48 الذين يسكنون في قرى وبلدات باتت بمثابة أحياء فقيرة، إلى درجة أن وسطاء استطاعوا عبر شبكاتهم أن يراكموا رأس مال مادياً ورمزياً يحل محل، أو ينافس، بُنى مجتمعية وسياسية وثقافية تقليدية في تنظيم المجتمع وترسيم حدوده، مثل العائلة، والسلطات المحلية، والأحزاب، والمؤسسات الدينية ووسطائها، والنخب الثقافية، وغيرها. وقد تشكّل ذلك تراكمياً من خلال لقاء سياسات الإفقار التي تعاني جزاءها بالدرجة الأولى شريحة الشباب، والعمل الحثيث على ضرب منظومات القيم والانتماء الهوياتي لدى الناس، المرتبطة بفلسطينيتهم، الطبقة الأحدث من العروبة - الإسلام لدى سكان فلسطين المعاصرين، وذلك من خلال جهاز التربية والتعليم، والإعلام، ومنظومات العمل والتوظيف، الأمر الذي دفع الشباب المهمّشين إلى البحث عن أطر انتماء توفر لهم مكانة اعتبارية في المجتمع في ظلّ إعاقة التقدم الفردي والجماعي للفلسطينيين ضمن مجالات النظام غير المتاحة لهم.⁹

وقد تمثل الجريمة أداة للترهيب السياسي والاغتيال على هذا الأساس. فقد استُهدف عدد من أعضاء لجان "إفشاء السلام" مثلاً، التي اضطلعت بدور الإصلاح والحدّ من تفشي الجريمة، بمبادرة من رئيس "الحركة الإسلامية الشمالية" المحظورة "رائد صلاح"، كما أُطلقت النيران في سياق الحرب على قطاع غزة على منازل المعتقلين "أحمد خليفة" و"محمد طاهر جبارين"، الموجهة إليهما تهمة التحريض على "الإرهاب"، والتماثل مع تنظيم إرهابي، بسبب مشاركتهما في تظاهرة ضدّ الحرب.¹⁰

هذا، وقد أشارت بعض التقارير إلى أن قسماً كبيراً من السلاح مصدره السرقة من قواعد ومعسكرات جيش الاحتلال الإسرائيلي، من دون أن تسعى أجهزة النظام لوقف هذه الظاهرة، مع أن تقديرات الأجهزة الأمنية تقول إن هناك نصف مليون قطعة سلاح في السوق السوداء. كما أن هناك آراء وتقارير تذهب إلى أن الجريمة المنظمة، بوسطائها وشبكتها المعروفة للأجهزة الأمنية، تمثّل أداة في يد النظام الإسرائيلي من أجل إنهاك المجتمع الأقلية الفلسطينية في أراضي 48 وتفتيته وإفقاده حصانته، وشغله بالتالي عن صناعة جماعيته الوطنية وتمتينها، وذلك عبر بثّ العداوات بين

مكوناته الاجتماعية، وإشاعة الإحساس بفقدان الأمان لدى أفرادهِ وشرائحه، وبثّ الإحباط وفقدان الأمل.

يظهر جلياً بأن قضية تفشي الجريمة المنظمة قد يوجد أولوية واحدة ووحيدة، وهي الأمان الفردي، حيث إن من يكون جلّ انشغاله في أمانه الشخصي، فلا يتضامن مع غيره ولا يتحمل مسؤولية تجاه أحد، فيذهب غالباً إلى الحلول الفردية. على سبيل المثال، فإن الهجرة السنوية الداخلية إلى مدينة حيفا تصل إلى ألف مواطن عربي، وذلك غالباً ما يكون سعيّاً وراء الأمان وهرباً من "الرصاص الطائشة". ويجدر ألا يغيب عن البال بأنه حتى ولو كان المجتمع أكثر تماسكاً لما تخلّص من آفة الجريمة، لأن أدوات التخلص منها في أيدي الدولة وليس المجتمع، كما هو الحال في كل مكان في العالم، وكما حدث مع المدن الإسرائيلية حين رأت الدولة بانتشار الجريمة المنظمة فيها مسألة أمن قومي وهاجساً ديموجرافياً، تؤدي إلى هجرة اليهود وإلى حلول العرب في أمكنتهم ليتغير الطابع السكاني لهذه المدن، مما قد يؤدي لاختلال نقاء العرق. لقد تخلّصت المؤسسة الاسرائيلية من المافيا بقرارات حكومية، وباتت معظم قياداتها في السجن وحطموا بنيتها واقتصادها، فيما الجريمة هي المجال الوحيد الذي يميزون فيه لصالح المافيا العربية وعلى حساب الجماهير العربية.

يبدو أن رهان "دولة إسرائيل" على الجريمة قد نجح إلى حدٍّ غير قليل، إذ إن هناك معادلة تفيد بأنه طالما كان القمع من قبل الدولة وأجهزتها مباشراً، اشتد عود جماهير الشعب ومقاومتها الشعبية، في حين أن الجريمة تستنزفها من داخلها وتحبط كل أمل حين تصبح أولويات الناس هي التفتيش عن الأمان الشخصي والأسري المفقود. ولا يجب أن يغيب للحظة مخطط الدولة في تفتيت المجتمع الفلسطيني كونه كان أحد أكثر مجموعات الشعب الفلسطيني تنظيماً وجهوزية لأخذ دوره والإسهام في قضية فلسطين بكل مركباتها.¹¹

ب. هبة الكرامة:

يُنظر إلى هبة الكرامة في أيار/ مايو 2021 وما بعدها على أنها تمثل ذروة العداء تجاه فلسطينيي 48، وقد تزامن هذا العداء مع تنامي قوة الصهيونية المتدنية وتوليها مناصب حكومية وفي مؤسسات الدولة، حيث تعاملت المؤسسة الإسرائيلية بعنف شديد إزاء التظاهرات الشعبية في أيار/ مايو 2021، في مقابل تسامحها ومساندتها



للمستوطنين خلال اعتداءاتهم على بيوت وأحياء الفلسطينيين، وخصوصاً في المدن الفلسطينية التاريخية، والتي راح ضحيتها المواطن موسى حسونة برصاص المستوطنين في مدينة اللد، ولم يختلف تعامل الشرطة والمنظومة القضائية عموماً مع المعتقلين والمعتقلات في التُّهم التي وُجِّهت إليهم والأحكام التي تلتها.

لقد انطلقت شرارة الهبة في أيار/ مايو 2021 نتيجة تراكم وامتداد وتطور ما سبقها من هبّات، وجاءت كردّ مباشر على محاولات التهجير القسري لأحياء في مدينة القدس، وعلى التصعيد في عنف المستوطنين في القدس والأراضي المحتلة سنة 1967، والاقتحامات المتكررة للمسجد الأقصى. وامتدت إلى كل أرجاء فلسطين، وشملت الداخل وقطاع غزة ومخيمات اللجوء والعديد من دول العالم.

حيث واجهت "إسرائيل" حدث جديد واستثنائي، تمثل في، مواجهات في القدس، صواريخ وعدوان على قطاع غزة، مواجهات في اللد وعكا ويافا وحيفا، طرقا غير صالحة لنقل الآليات العسكرية في النقب. وعلى الرغم من أن هذه المواجهة لم تكن الأولى، ولا الأخيرة، فإن ما جرى كان مختلفاً واستثنائياً على صعيدين أساسيين: أولاً، المواجهات حصلت في الشارع بين المجتمع الاستيطاني والفلسطيني بشكل مباشر، على عكس ما حصل في "هبة أكتوبر" و"يوم الأرض"، حيث إن الجيش والشرطة النظاميين هما من قام بقمع الفلسطينيين، ثانياً، تعدد الجبهات الفلسطينية بالتزامن، وهو ما استنفد تقريباً قدرة الأجهزة النظامية، وردة فعلها بين القدس وغزة وأراضي⁴⁸.

إن شهدت الهبة 250 موقع مواجهة في أراضي 48، أدّت إلى 322 إصابة في صفوف الشرطة الإسرائيلية، وإلحاق الضرر بـ 297 سيارة تابعة لها، بينها 11 أحرقت، كما هوجم 23 مركزاً للشرطة. واستشهد خلال الهبة: موسى حسونة من (اللد)، ومحمد كيوان من (أم الفحم)، بالإضافة إلى مئات الإصابات وآلاف حالات الملاحقة بمختلف أشكالها، من الاستجابات في العمل أو التعليم، وصولاً إلى الاعتقال.¹²

وعدّت مؤسسات سياسية وحقوقية أحكام "هبة الكرامة" محاولة لترسيخ نظام حكم عسكري جديد، وأن المنظومة القضائية في النظام الإسرائيلي تهوّل نحو التطرف، وتتعامل بازدواجية وتنصاع للتوجيهات السياسية والأجواء التحريضية والعنصرية. وفي هذا السياق، أشار المركز القانوني لحقوق الأقليات العربية في

إسرائيل - عدالة Adalah، في تقاريره المختلفة حول هبة أيار/ مايو إلى تعرض الفلسطينيين في "إسرائيل"، إلى اعتداءات وحشية وانتهاكات حقوقية مهولة، تشمل الملاحقات السياسية والرقمية وفرض رقابة شديدة على المحتوى الفلسطيني، فقد فرضت السلطات الإسرائيلية وسائل قمع عسكرية، شاركت فيها قوات الشرطة، وحرس الحدود، ووحدات عسكرية خاصة، وجهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك) Israeli Security Agency—ISA (Shabak)، بالإضافة إلى المستوطنين. فعلاوة على القمع العنيف للوقوفات والتظاهرات، بأدوات شديدة الخطورة ومميتة، من قنابل الصوت والغاز والرصاص الإسفنجي والحي، وعلى الانتهاكات خلال الاعتقالات، فُرض حظر التجول في مدينة اللد لمدة 8 أيام، وهو إجراء يُتخذ لأول مرة في تاريخ بلدة أو مدينة في أراضى 48 منذ النكبة. كما استُهدفت بيوت الفلسطينيين وأملأهم، ومساجدهم ومقابرهم وغيرها من الأوقاف، ولا سيما في "المدن المختلطة"، على يد عصابات ومجموعات يمينية، مثل "لا فاميليا La Familia" وغيرها، التي تشير تقارير وأبحاث إلى أنها عملت بالتنسيق مع الأجهزة الأمنية وضمن حمايتها.¹³

إجمالاً، وجد فلسطينيو 48، خلال هبة الكرامة وبعدها، أنفسهم وعائلاتهم وحيدون تقريباً في مواجهة ممارسات وسياسات أجهزة النظام العقابية، وعبروا في أكثر من مناسبة عن أن مبادرات الدعم والمساندة محدودة وقليلة، وأن المشاركة في جلسات المحاكم من المجال السياسي، من أطر وأحزاب وناشطين، وكذلك المؤسسات الأهلية، هي مشاركة خافتة. وعلى الرغم من تجنّد عدد كبير من المحامين المتطوعين للدفاع عن معتقلي الهبة، فإن هناك في المقابل محامين تخلوا عن ممثليهم في الطريق، وآخرين طالبوا بمبالغ ضخمة في مقابل التمثيل. كما ذهب عدد من داعمي خطاب الاستيعاب المعيشي إلى وصف هذه الفئة من المحتجين بـ "الزعرنة"، وبأنهم "أصحاب سوابق"، لتبرئة عموم المجتمع الفلسطيني في أراضى 48 أمام النظام ونخبه. ولا شك في أن الممارسات والسياسات العقابية في حق معتقلي الهبة وعائلاتهم، بحجمها وتعقيدها غير المسبوقين (رفع الفاتورة)، على الأقل منذ "هبة تشرين الأول/أكتوبر سنة 2000 وإحساسهم بالتخلي عنهم، سياسياً واجتماعياً، ورؤية هذا كله من طرف جيل الهبة الشبابي أحبطته وثبّطت من عزيمته، وجعلته يشعر باليأس والخوف والإنهاك، الأمر الذي أسهم في تشكّل حالة "عدم التناسب" هذه.



من هنا، يمكن القول إن ما جرى في أيار/ مايو 2021، كان قد أعاد سؤال علاقة الدولة، بـ”المواطنين” الفلسطينيين فيها إلى الواجهة، وكيفية التعامل مع هذه العلاقة، وبات سؤال ومصطلح ”المدن المختلطة – الحيز المشترك للعرب واليهود” يُطرح في كل تحليل استراتيجي عسكري أو أمني، كما بات لا يغيب أسبوعياً عن مقالات اليمين وغير اليمين في صفحات الصحف الأسبوعية، والأهم أنه مثل نقطة تحول في الفهم الاستراتيجي الإسرائيلي لفكرة وحدة ”الجبهات” وامتدادها وعلاقاتها، كما قدرة الدولة على التعامل معها.¹⁴

ثانياً: موقف المؤسسة الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين من حملة المواطنة الإسرائيلية خلال مدة الحرب:

لم تنتظر المنظومة الإسرائيلية إلى حين صدور موقف أو أفعال معينة من قبل الأقلية الفلسطينية داخل الدولة حيال اندلاع حرب الإبادة الجماعية في 2023/10/7 ضدّ قطاع غزة، ومن ثم اتخاذ ردّ فعل مناسب مقابل ذلك، بل سارعت إلى اتخاذ حزمة من الإجراءات القمعية الاستباقية، فمنذ الأيام الأولى من الحرب، استهدفت المؤسسة الإسرائيلية، متسلحة بدعم مكثف وعلني من المجتمع الإسرائيلي، أي تعبير مرئي مصور أو مكتوب في مواقع التواصل الاجتماعي، أو في أماكن التعليم والعمل، أو في وقفات احتجاجية معارضة للحرب أو عن مواقف متضامنة مع غزة وأهلها.

1. شنّ حملة مكثفة لتكليم الأفواه:

تعرض فلسطينيو 48 منذ اليوم الأول للحرب ضدّ قطاع غزة لممارسات وإجراءات تكليم الأفواه بصورة مكثفة وعنيفة، شارك فيها مختلف أجهزة النظام، عسكرياً ومدنياً، عاماً وخاصاً، رسمياً وشعبياً، إذ لعب مَنْ يُفترض أنهم مواطنون عاديون ليس لديهم مواقع في أي جهاز رسمي، أدواراً لهم في ملاحقة الفلسطينيين ومعاقتهم، وفي رصد حساباتهم على وسائل التواصل الاجتماعي، والتجسس عليهم، والوشاية بهم، والتحريض عليهم، والتشهير بهم، وتهديدهم أو المسّ الفعلي بهم، كلامياً أو جسدياً، وتعريضهم للخطر، وغير ذلك.¹⁵ وهؤلاء الفلسطينيون الملاحقون ربما يكونون زملاء لأولئك اليهود في التعليم أو العمل، أو جيراناً في الحي نفسه في حالات

”المدن المختلطة“، أو أعضاء في نوادٍ رياضية أو أطر ثقافية وترفيهية، أو طلابهم في مؤسسات التعليم العالي، أو موظفين أو عمالاً مرؤوسين في مؤسساتهم وشركاتهم ومصالحهم.

وشملت تلك الممارسات تعرض الفلسطينيين من حملة المواطنة الإسرائيلية لملاحقات واسعة، سواء أكانت جنائية أم ملاحقات في أماكن العمل والتعليم. وتفاوتت هذه الإجراءات، بين اعتقال، واستدعاء إلى تحقيق، وتقديم لوائح اتهام وطلبات اعتقال، وغيرها من الإجراءات القانونية، بتهم خطيرة مثل ”دعم الإرهاب“، وذلك بحجة نشر تغريدات داعمة أو متعاطفة مع غزة. مسّت هذه الحملة جميع الشرائح، من الكوادر الطبية والمعلمات وأئمة الجوامع وموظفين في أماكن العمل. إذ تحولت كل مقولة أو تغريدة على وسائل التواصل الاجتماعي معبرة عن موقف معارض للقتل والدمار والحرب وأي تعاطف مع سكان غزة بشكل عام إلى موقف داعم لحماس، وقد تُرجم هذا بواسطة حملات توقيف لعدد من المواطنين العرب بتهمة دعم ”الإرهاب“ أو تأييد حماس، حيث اعتقلت الشرطة الإسرائيلية العشرات منهم بحجة نشر تغريدات داعمة لغزة أو متعاطفة مع أهلها. منهم على سبيل المثال لا الحصر، الدكتور ”عامر الهزيل“ المرشح لرئاسة بلدية رهط، وفنانون مثل الفنانة ”دلال أبو آمنة“، والممثلة ”ميساء عبد الهادي“، ومنهم أئمة مساجد، وأعضاء طواقم طبية ممن يعملون في المستشفيات الإسرائيلية.¹⁶

وقد كان المجتمع الطلابي الفلسطيني في مؤسسات التعليم الإسرائيلي من أكثر الشرائح تعرضاً لممارسات وسياسات الإسكات والترهيب، وتحديدًا بسبب التفاعل عبر وسائل التواصل الاجتماعي مع تطورات الحرب. وفي هذا السياق، وصف تقرير موسع لمجلة ”سيحاه ميكوميت Siha Mekomit“ ممارسات إدارات تلك المؤسسات بأنها جرت حتى بالنسبة إلى منشورات بريئة للغاية، فيما يبدو أنه رضوخ للضغوط من أجسام يمينية وطلاب آخرين. والملاحقة لا تقتصر على متابعة المنشورات فحسب، بل تمتد أيضاً إلى الإعجاب، أو حتى متابعة صفحة تنشر منشورات تتعاطف مع القضية الفلسطينية، وقُدّمت في حق المئات من الطلاب شكاوى إلى اللجان التأديبية في مؤسسات التعليم، بدعم وتشجيع من ”اتحاد الطالب“ وتنظيمات متنوعة توصف بـ”اليمينية“. كما أعلنت إدارات عدة مؤسسات أنها لن تتسامح مع أي ”منشورات



تحريضية“، وطالب ”رئيس مجلس التعليم العالي“، وزير التربية والتعليم يوآف كيش Yoav Kisch، رؤساء المؤسسات باتخاذ إجراءات تأديبية ضد هؤلاء الطلاب، بل طالبهم حتى بتقديم شكاوى إلى الشرطة في حقهم.¹⁷

كما تمّ وضع طلبة الجامعات تحت المجهر، واتخذت الجامعات الإسرائيلية، بناء على وشايات من زملاء الدراسة، إجراءات تعسفية بحق الطلاب العرب، فقد عمدت هذه الجامعات، منذ 7 تشرين الأول/أكتوبر، إلى فصل عشرات الطلبة، بشكل دائم أو مؤقت، بسبب منشورات لهم على وسائل التواصل الاجتماعي، وقامت بعض المؤسسات الأكاديمية بإصدار أوامر إخلاء فوري لبعض الطلاب والطالبات من مساكنهم. ووصلت درجة تواطؤ الجامعات الإسرائيلية إلى الوشاية بالطلاب للشرطة، وتزويدها بأدلة تمكّنها من التقدم في إجراءات قانونية بحق الطلبة بتهم دعم ”الإرهاب“ أو التعاطف مع تنظيمات إرهابية.¹⁸

وفي تقرير نشرته الهيئة المشتركة للكتل الطلابية التي تعمل تحت مظلة اللجنة العربية للطوارئ، ورد أن هناك أكثر من مئة طالب وطالبة في المؤسسات الأكاديمية جرى تحويلهم إلى لجان طاعة، بالإضافة إلى مئات المنشورات التحريضية على الطلبة. وقد تمّ الاعتداء على مساكن الطلبة في كلية نتانيا Netanya في 2023/10/28، إذ تجمهرت جماعات عنصرية بأعداد كبيرة محاولة اقتحام المبنى، صارخة بهتاف ”الموت للعرب“، وبشعارات عنصرية أخرى، وطالبت بتفريغ مساكن الطلبة من الطلاب العرب.¹⁹

ووفقاً إلى بيانات ورصد الهيئة المشتركة للكتل الطلابية في المعاهد العليا، فإن العدد الإجمالي للطلاب الذين اتُخذت ضدهم إجراءات تأديبية بلغ نحو 160 طالباً، منهم 113 توجهوا إلى مركز ”عدالة“ لتمثيلهم قانونياً، مع أنهم ينتمون إلى 33 مؤسسة تعليم عالٍ. وقد تمّ فصل 8 طلاب من دراستهم فوراً ونهائياً من دون أي إجراء تأديبي، وفي 47% من الحالات أوقف الطلبة عن التعليم بشكل مؤقت قبل أي إجراء تأديبي. وبين 42 قراراً لما يسمى (لجنة الطاعة) في المؤسسات التعليمية، فإن 17 حالة انتهت ببراءة، بينما فُرضت في 5 منها عقوبة ذات طابع تعليمي، وصدرت في 11 منها عقوبة فصل مؤقت، في حين صدر في 9 منها قرارات فصل تام.²⁰

إن معظم الشبهات، وفقاً إلى تقرير لمركز عدالة الحقوق التي دارت حولها التحقيقات، تمحورت حول مخالفة قانون العقوبات، على نحو تصرف غير لائق قد يؤدي إلى الإخلال بالأمن العام، ومخالفة لقانون "مكافحة الإرهاب"، نحو التحريض على "الإرهاب"، والتماهي مع منظمة إرهابية. وقد أطلق سراح معظم الأشخاص الذين اعتقلوا أو تمّ التحقيق معهم بشكل فوري بعد التحقيق، ضمن وضع شرط احترازية معينة، تراوحت بين الحبس المنزلي، والإبعاد، والكفالات المالية. إلى جانب ذلك قُدمت 11 لائحة اتهام ضدّ بعض المواطنين من الفلسطينيين على خلفية منشورات على وسائل التواصل الاجتماعي، وقد شملت جميع لوائح الاتهام مخالفات بحسب قانون "مكافحة الإرهاب".²¹

كما شملت ممارسات تكميم الأفواه أيضاً، التضييقات والانتهاكات في حقّ الصحفيين والطواقم الإعلامية، حيث رصد المركز العربي للحرّيات الإعلامية والتنمية والبحوث/ إعلام، حتى 2023/10/23، تضييقات وانتهاكات ارتكبتها قوات الجيش والشرطة في حق 13 صحفياً وطاقماً إعلامياً من فلسطينيين 48 في سياق الحرب. وتنوعت التضييقات والانتهاكات ما بين الانتهاك/الضرر الفيزيائي، والكلامي، ومصادرة معدات، وإضرار بمعدات، واحتجاز، واعتقال، وتحقيق، وطرد، وغير ذلك.²²

2. توسعة ممارسة سياسة التهريب الصهيوني:

ليس خافياً بأن "إسرائيل" تصنف ساحة الداخل، أراضي 48 المحتل، في المكانة الأمنية الأخطر بين الساحات الأربع التي يمكن أن تواجهها خلال الظروف الأمنية الصعبة، بل وتقدمها أحياناً على الضفة والقطاع والخارج، لأنها تقع في قلبها وتشارك في صلب نسيجها السكاني ولا يمكن تسييجها بالأسوار والجدران أو عزلها كما فعلت في المناطق الأخرى. لذا فقد تعاملت مع فلسطينيو 48 على أنهم حالة أمنية وطابور خامس وخطر استراتيجي. وفي السياق يقول الوزير الإسرائيلي نير بركات Nir Barkat: "إذا ثار ضدنا 1 في المئة فقط من السكان العرب (الذين يتجاوز عددهم مليونين)، فإن ذلك يعني 20 ألف شخص، وسوف يصلون إلى كل مكان في البلاد". في إشارة إلى أن ذلك قد يؤدي إلى حالة انفلات تصبح أكثر خطراً في حالة تطور الصراع على الجبهتين الجنوبية والشمالية مع فوضى داخلية.²³

ومن أجل مواجهة أي تطور من هذا النوع عمدت "إسرائيل" بعد انتفاضة الكرامة إلى تشريع جملة من القوانين المتشددة بهدف التضييق على عرب 48. ومنذ عملية



طوفان الأقصى يتعرض فلسطينيو الداخل لسياسة التهريب والترويب بغية منعهم من إسماع صرخة الغضب والتظاهر والاحتجاج ضدّ الحرب أو حتى مجرد التضامن مع إخوانهم الفلسطينيين في غزة. وفي هذا السياق، أشار المفتش العام للشرطة يعقوب شبتاي Yaakov Shabtai إلى أن: ”أي شخص يريد أن يكون مواطناً في دولة إسرائيل فأهلاً وسهلاً، وأي شخص يريد التماهي مع غزة فسأضعه الآن في الحافلات المتجهة إلى هناك“، ويضيف قائلاً: ”نحن في حالة حرب ولن نتسامح أبداً مع أي حادث، ولا يوجد تصريح للقيام بالاحتجاجات. وكل من يتم توقيفه سنفعّل كل المكاتب الحكومية ضده كما نفعل مع المجرمين“.²⁴

وفي ظلّ استعراض قوة الصهيونية الدينية Religious Zionism والقوة اليهودية (عوتسما يهوديت) Jewish Power (Otzma Yehudit)، وكامتداد لتسلّمها وزارات مهمة في حكومة نتניהو ومجاهرتها في التعبير عن العداء والكراهية للفلسطينيين، وبعودة ظهور ممارسات تذكر باعتداءات المستوطنين على الأحياء والبلدات العربية في أيار/ مايو 2021. مثّلت الحرب على غزة فرصة لتوسيع نطاق ممارسة التهريب والعنف الصهيوني من خلال تنفيذ حملة ملاحقة ممنهجة للفلسطينيين، على وجه السرعة، إذ قامت المنظومة الأمنية التي تطورت بناء على استنتاجات لاحقة لأحداث هبة الكرامة في أيار/ مايو 2021، وعلى رأسها شرعنة متدحرجة لما يعرف بـ”الحرس القومي“.²⁵

حيث استغل الوزير المتطرف إيتمار بن جفير Itamar Ben-Gvir حالة الحرب والطوارئ لإنفاذ سياساته من دون عوائق. فمع بدايات الحرب، في 12 تشرين الأول/ أكتوبر، وأمام الكاميرات بثّ حزب ”قوة يهودية“ على قناته في يوتيوب YouTube.²⁶ فيديو يقوم فيه وزير الأمن القومي بتوزيع 10 آلاف بندقية رشاش على ما يسمى بـ”وحدات الحماية“ في البلدات الإسرائيلية، كما قام بتعيين ضابط لتنظيم ”وحدات محاربة مدنية“.²⁷

لقد شهد الداخل الفلسطيني منذ 7 تشرين الأول/ أكتوبر حالة حكم عسكري غير معلنة رسمياً، بحيث بدا ذلك واضحاً من خلال اعتبار أن الدولة في حالة حرب وحالة طوارئ، وهو ما يعني توظيف القوانين الانتدابية تحت ذريعة ”مكافحة الإرهاب“. وتشريع قوانين خصيصاً لملاحقة فلسطينيي الداخل ومحاكمتهم وإنزال أقصى العقوبات بهم لمجرد تضامنهم مع أبناء شعبهم الفلسطيني. بالإضافة إلى التلويح

بسحب الجنسية الإسرائيلية من فلسطينيي الداخل الذين يثبت بأنهم يدعمون المقاومة الفلسطينية. إلى جانب التعرض لتهديدات يومية، سواء من المجموعات اليهودية المتطرفة أم من المؤسسة الإسرائيلية. ونشرت مجموعة إسرائيلية، تطلق على نفسها اسم "صيادي النازيين"، قائمة بأسماء ناشطين وصورهم وعناوين بيوتهم ليسهل الوصول إليهم لقتلهم.²⁸

كذلك عملت الشرطة، مدعومة بالمؤسسة الإسرائيلية، على قمع أي تظاهرة أو تجمع في الحيز العام، كما حدث في التظاهرات في حيفا وأم الفحم والطيبة، حين قامت قوات الشرطة مصحوبة بقوات حرس الحدود بالاعتداء على المتظاهرين واعتقال العشرات منهم.²⁹

تُظهر هذه الحالة فقداناً لسيطرة الإسرائيليين الصهاينة على النفس، إذ وكّل كثير منهم نفسه للدفاع عن الدولة وأجهزتها بشكل شخصي، بحيث يمكن وصف هذه الحالة بأن من يدعون أنهم مواطنون في دولة ديموقراطية ذات مؤسسات باتوا يتصرفون كأنهم قبيلة، ليس بمفهومها التقليدي القائم على علاقات الدم، وإنما القبيلة الإثنية حيث حدود المجتمع تتقلص من دولة إلى قبيلة سياسية لا خيار فيها سوى التماهي معها تماماً، واعتبار كل من هو خارجها عدواً لها في ظلّ الحرب، والأعداء الأقرب والأخطر لليهودي في هذا الوضع ليس أهل قطاع غزة أو الضفة الغربية مثلاً، وإنما الفلسطينيون في أراضي 48. ومما زاد من كثافة القمع والتهريب، أن الفلسطيني إذا حاول أن يتقدم بالشكوى إلى الشرطة الإسرائيلية، فإن الشرطة ذاتها قد تعتقله هو بدلاً من حمايته.³⁰

وتجدر الإشارة إلى حالة الضعف السياسي الرسمي، إذ إن القوى السياسية للأقلية الفلسطينية في "إسرائيل" لم تكن، ولا سيّما تلك الممثلة في الكنيست Knesset، على موقف واحد مما يجري في غزة. وهو ما عمّق التباينات بينها، وأظهرها قوى خارج الحدث المفصلي الأهم في تاريخ الصراع، أو عديمة التأثير تجاهه. على الرغم من انعكاساته المباشرة على التفاصيل اليومية للمجموعة العربية خلف الخط الأخضر، لا بل على مصيرها السياسي برمته.

عموماً، يمكن القول بأن المؤسسة الإسرائيلية سعت من اتباع تلك الإجراءات والممارسات إلى تقليل التفاعل مع القضايا الوطنية، وإبعاد ساحة الداخل المحتل عن باقي الساحات الفلسطينية وتحقيق الفصل بينها، والعمل على تجزئة الشعب



الفلسطيني. وعمّقت المواجهة القائمة أصلاً بين مظاهر "الفلستنة" التي تؤكد أهمية الانتماء الوطني والالتحام مع الشعب الفلسطيني وقضيته وبين مشاريع الاندماج و"الأسرلة" التي تدعو إلى الانكفاء على الذات وتوسيع الاهتمام بقضايا الحقوق المدنية.

3. إقرار بعض خطوات الترغيب:

ولم تقتصر ممارسات وسياسات القمع على أساليب "الترهيب"، بل شملت أيضاً أسلوب "الترغيب"، ومن ذلك ما جاء في صحيفة "إسرائيل اليوم" Hayom "من أن حكومة "إسرائيل" خشيت من أفعال احتجاجية بين فلسطينيين 48، ولا سيما فيما يُعرف بالمدن المختلطة، بعد 2023/10/7. وانطلاقاً من ذلك، عملت وزارة الشتات ومكافحة اللا سامية، وعلى رأسها الوزير عميحي شيلي Amichai Chikli من الليكود Likud على منع الاضطرابات في المجتمع العربي، ليس فقط عبر اعتقالات واسعة النطاق وسريعة عقب أنشطة داعمة لـ "حماس" في شبكات التواصل الاجتماعي، بل أيضاً عبر حملة توعوية رُفِعَ فيها عنوان "المصير المشترك" لمواطني "دولة إسرائيل"، عرباً ويهوداً، وشملت لافتات إعلانية، وفيديوهات، وتعاوناً مع رؤساء السلطات المحلية، بتكلفة بلغت 1.5 مليون شيكل (نحو 400 ألف دولار) حتى 2023/11/27. والهدف من هذه الحملة كان بحسب الصحيفة هو تهدئة الخطاب العام والتحذير من المخاطر، عبر بثّ مضامين من نوع "نحن معاً في هذه الحرب"، و"هذه الحرب ضدنا جميعاً"، و"معاً سننتصر". ومن المتوقع إنشاء استوديو بثّ في الوزارة ضمن الحملة، وكذلك موقع إلكتروني بالعربية مرتبط بسياق الحرب. وتزعم الوزارة أن هذه الحملة أسهمت في منع تكرار مشاهد هبة الكرامة سنة 2021.³¹

إن ممارسات وسياسات القمع، التي منها ما هو ليس معروفاً بعد، تأتي في ظلّ استخلاص نتائج الأجهزة الأمنية للنظام الإسرائيلي من هبة الكرامة تحديداً، والتي عدّت الأفعال الاحتجاجية لفلسطينيين 48 آنذاك، فتحاً لجبهة داخلية خلال الحرب؛ "سيف القدس" فلسطينياً، و"حارس الأسوار" إسرائيلياً، الأمر الذي جعلها تطور مفهوم "الحرب الهجينة"، ومن أهدافها تفتيت المجتمع الفلسطيني في أراضي 48، عبر ضرب بُنيته الداخلية واستنزافه وترويعه، بحيث يفقد تماسكه، ومن ثم قدرته على المشاركة في أي أفعال احتجاجية ضدّ الممارسات والسياسات الاستعمارية الصهيونية، وبالتالي تحييد خطره الحقيقي على الجبهة الداخلية الإسرائيلية وقت الحروب.

خاتمة:

لقد سارعت المنظومة الإسرائيلية إلى اتخاذ موقف حاسم في تعاملها مع الأقلية الفلسطينية داخل أراضي 48 منذ اليوم الأول للحرب ضد قطاع غزة، كإجراء استباقي احترازي للحؤول مما هو (متوقع) لرد فعل هذا الجزء من أبناء الشعب الفلسطيني ممن بقوا في أراضيهم الأصلية بعد النكبة سنة 1948، تجاه ما ترتكبه آلة الحرب الصهيونية من فظائع بحق فلسطيني قطاع غزة في ظلّ حرب الإبادة الدائرة حالياً. حيث جاء هذا الموقف في ظلّ محددين اثنين: الأول تجارب حكومات "إسرائيل" الصعبة السابقة مع هذه الأقلية في إطار ما يتعلق بالحالة الوطنية والقضية الفلسطينية، التي كان من أبرزها وأخطرها هبة الكرامة سنة 2021؛ التي مثّلت خطراً جدياً على تماسك واستقرار الداخل الإسرائيلي. أما المحدد الثاني يتعلق بطبيعة الحرب، التي تختلف عن سابقتها من حيث مداها الجغرافي وتعدد جبهاتها؛ جنوب لبنان، وسورية، والعراق، واليمن، والصفة الغربية، التي تمّ فرضها مع انطلاق عملية طوفان الأقصى مباشرة من طرف محور المقاومة، مما رفع من مستوى التهديد هذه المرة على وجود الكيان الصهيوني، الذي وعلى لسان عديد من قياداته وساسته أعلن بأن حرب الإبادة على قطاع غزة إنما في حقيقتها هي "حرب البقاء" أو "الاستقلال الثاني".³²

يبدو أن التوقعات لرد فعل فلسطينيو 48 قد أغفلت كثيراً من العوامل التي أثّرت بشكل جدي وملمس على قدرات وإمكانات هذا الجزء من أبناء الشعب الفلسطيني في ممارسة الدور الوطني المعروف عنه تاريخياً، والذي كان متوقعاً أن يصدر عنهم في ظلّ اندلاع حرب الإبادة الجماعية على جزء آخر من الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، ومن ثم كان (واقع) رد الفعل فلسطينيو 48 مخالف لما كان متوقع، وذلك بفعل عدة عوامل وأسباب قامت الورقة بالتطرق لأبرزها. لكن، وعلى أي حال، لا بدّ من التنويه بأن هذه المعطيات ليست نهائية، بمعنى أن هذا الواقع لموقف فلسطينيو 48، حالة عدم التناسب، مفتوح بشكل كبير على احتمال التحول في أي لحظة، وذلك حسب سير الأحداث وكثير من المتغيرات الميدانية والسياسية.



الهوامش

¹ انظر: هاني طالب، فلسطينيو 48 وحرب الإبادة الإسرائيلية ضد قطاع غزة بين الواقع والمتوقع، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2024/7/29.

² مريم فرح، حملة ملاحقات وتكميم أفواه غير مسبوقه وآخذة بالتصاعد ضد الفلسطينيين في إسرائيل بحجة ”دعم الإرهاب“، موقع المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية – مدار، 2023/11/2، انظر: <https://www.madarcenter.org>

³ مدى الكرمل – وحدة السياسات، الحرب على غزة: سياسة الإخراس والترهيب والملاحقة تجاه الفلسطينيين في إسرائيل، تقدير موقف، موقع مركز مدى الكرمل، 2023، ص 4، في: <https://mada-research.org/post/15931>

⁴ العنف والجريمة في المجتمع العربي: التقرير السنوي لمركز ”أمان“ المركز العربي للمجتمع الآمن لعام 2023، مركز أمان – المركز العربي للمجتمع الآمن، في: <https://aman-center.net/2023/12/31/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%82%D8%B1%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%86%D9%88%D9%8A-%D9%84%D9%85%D8%B1%D9%83%D8%B2-%D8%A3%D9%85%D8%A7%D9%86-%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%85-2023>

⁵ همت زعبي، ”العدو من الداخل“: فلسطينيو 48 خلال حرب الإبادة الإسرائيلية على غزة، ورقة سياسات، موقع مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2024، في: <https://www.palestine-studies.org/ar/node/1655233>

⁶ هندية غانم، ”تحولات نضال فلسطيني 48 ما بين القضايا ”القومية“ والمواطنة الإسرائيلية“، موقع مركز الجزيرة للدراسات، 2023/6/19، في: <https://studies.aljazeera.net/ar/article/5402>

⁷ علي مواسي، ”مشكلات الكمون: فلسطينيو 1948 والحرب الإسرائيلية على قطاع غزة“، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد 137، 2024، ص 150-126، انظر: <https://www.palestine-studies.org/ar/journals/mdf/about>

⁸ كلوتيلد مرافكو، في إسرائيل، المواطنون الفلسطينيون رهائن بين براثن الجريمة المنظمة، ترجمة حميد العربي، موقع أوريان 21، 2023/2/21، في: <https://orientxxi.info/magazine/article6248>

⁹ علي مواسي، ”مشكلات الكمون: فلسطينيو 1948 والحرب الإسرائيلية على قطاع غزة“، ص 130.

¹⁰ ناهد درباس، الشيخ رائد صلاح: تهديدات تلاحق ناشطي وناشطات لجان ”إفشاء السلام“، موقع صحيفة العربي الجديد، لندن، 2023/9/13، انظر: <https://www.alaraby.co.uk>

¹¹ أمير مخول، رهان إسرائيل على الجريمة المنظمة، موقع عرب 48، 2022/9/8، انظر: <https://www.arab48.com>

¹² أحمد أمارة، ”الفلسطينيون في إسرائيل“، في: غانم هندية (محرر)، تقرير مدار الاستراتيجي 2022 (رام الله: مركز مدار، 2022)، ص 182-211.

¹³ علا طه وآخرون، عاوان على هبة الكرامة (أيار 2021): سياسات القمع والفصل العنصري (حيفا: المركز القانوني لحقوق الأقلية العربية في إسرائيل – عدالة، 2023)، ص 21-26.

- ¹⁴ رازي نابلسي، عام على هبة الكرامة: إسرائيل تتجهز بمليشيات، مدونة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2022/6/14، <https://www.palestine-studies.org/ar/node/1652865> في: 2022/6/14
- ¹⁵ مدى الكرمل - وحدة السياسات، الحرب على غزة: سياسة الإخراس والترهيب والملاحقة تجاه الفلسطينيين في إسرائيل، ص 1.
- ¹⁶ المرجع نفسه.
- ¹⁷ علي مواسي، "مشكلات الكمون: فلسطينيو 1948 والحرب الإسرائيلية على قطاع غزة"، ص 136.
- ¹⁸ المؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية تلاحق الطلاب الفلسطينيين بسبب منشوراتهم على وسائل التواصل الاجتماعي في ظل العدوان على غزة، مركز عدالة، 2023/10/26، في: <https://www.adalah.org/ar/content/view/10936>
- ¹⁹ عدالة يتوجه باسم الهيئة الطلابية للمطالبة بفتح تحقيق حول الاعتداء على الطلاب العرب في נתانيا، مركز عدالة، 2023/11/2، في: <https://www.adalah.org/ar/content/view/10968>
- ²⁰ "حول التحقيقات، الاعتقالات ولوائح الاتهام لفلسطينيي الداخل"، مركز عدالة، 2023/11/14، في: <https://www.adalah.org/ar/content/view/10957>
- ²¹ مدى الكرمل - وحدة السياسات، الحرب على غزة: سياسة الإخراس والترهيب والملاحقة تجاه الفلسطينيين في إسرائيل، ص 2.
- ²² علي مواسي، "مشكلات الكمون: فلسطينيو 1948 والحرب الإسرائيلية على قطاع غزة"، ص 138.
- ²³ أمين قمرية، أين عرب 48 من العدوان على غزة؟، موقع أساس ميديا، 2024/4/2، في: <https://www.asasmedia.com/64014>
- ²⁴ المرجع نفسه.
- ²⁵ الحرس القومي: لقد تشكلت هذه الميليشيا كقوة مساندة لحرس الحدود رسمياً في حزيران/يونيو 2022، بمبادرة من رئيس الحكومة السابق نفتالي بينيت Naftali Bennett (حزب يمينا Yamina، من الصهيونية الدينية)، ووزير الأمن الداخلي السابق عומר بارليف Omer Barlev (عن حزب العمل Labor Party)، ومفتش الشرطة العام كوبي شبتاي Kobi Shabtai، إلا إنها ظاهرة سابقة لهذه اللحظة؛ ذلك بأن عسكري المدنين الإسرائيليين هي عملية متدرجة برزت ونشطت، بصورة خاصة، في الأراضي المحتلة سنة 1967، كما في مناطق معينة داخل "إسرائيل"، مثل منطقة النقب، هذا وقد تمت شرعنة وجودها في الاتفاقيات الائتلافية بين حزب "قوة يهودية" وحكومة نتنياهو. انظر: وليد حباس، خطة بن غفير لمواجهة الفلسطينيين في القدس وداخل إسرائيل: عسكري المدنين، إنشاء ميليشيات مسلحة، وإعادة هيكلة حرس الحدود، مركز مدار، 2023/1/30.
- ²⁶ همت زعبي، "العدو من الداخل": فلسطينيو 48 خلال حرب الإبادة الإسرائيلية على غزة، ص 7.
- ²⁷ مدى الكرمل - وحدة السياسات، الحرب على غزة: سياسة الإخراس والترهيب والملاحقة تجاه الفلسطينيين في إسرائيل، ص 3.
- ²⁸ أمين قمرية، أين عرب 48 من العدوان على غزة؟، أساس ميديا، 2024/4/2.
- ²⁹ باسل مغربي، الشرطة تقمع محتجين ضد العدوان على غزة في حيفا والطيبة: 8 معتقلين بينهم متظاهرات... ومصاب، عرب 48، 2023/10/18.
- ³⁰ مهند مصطفى، مداخلة في ندوة إلكترونية بعنوان "قراءات تحليلية في الحرب على قطاع غزة"، موقع مدى الكرمل على اليوتيوب، 2023/11/8، في: <https://www.youtube.com/watch?v=GyggwwMquyMo>
- ³¹ علي مواسي، "مشكلات الكمون: فلسطينيو 1948 والحرب الإسرائيلية على قطاع غزة"، ص 139.
- ³² وديع عواودة، ما هي المرامي الخبيثة والمفضوحة لمقولة نتنياهو: "نحن في حرب الاستقلال الثانية؟"، موقع صحيفة القدس العربي، لندن، 2023/10/30، انظر: <https://www.alquds.co.uk>

مقاطعة "إسرائيل" عقب السابع من أكتوبر: الجدوى والتأثير¹

د. أشرف عثمان بدر*

مقدمة:

وضع "طوفان الأقصى" في 2023/10/7 وما تبعه من حرب دموية شنتها الآلة العسكرية الصهيونية على قطاع غزة، مسألة مقاطعة الكيان الصهيوني على أجندة النقاش العام لمناصري الحق الفلسطيني، وطرحَت عدة أسئلة من بينها: ما هو تأثير وجدوى مقاطعة الكيان الصهيوني؟ في ظلّ شحّ المعطيات الإحصائية لتأثير المقاطعة.

تسعى هذه الورقة إلى البحث في جدوى المقاطعة من خلال تتبع التقارير المنشورة حول الموضوع. مع الأخذ بعين الاعتبار وجود وجهتي نظر حول جدوى المقاطعة، ما بين من يُعظّم من تأثيرها ومن يقلّل من جدواها، علماً بأنّ نداء حركة مقاطعة "إسرائيل" وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها (بي دي أس BDS)، قد انطلقت قبل نحو 18 عاماً بدعم من الاتحادات والنقابات ومؤسسات المجتمع المدني الدولي وحركات شعبية، ومع بداية الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، عززت اللجنة الوطنية الفلسطينية لمقاطعة "إسرائيل" حملات المقاطعة وسحب الاستثمارات منها على كل الأصعدة، بدءاً بمقاطعة الشركات المتورطة في جرائمها، ووصولاً إلى المقاطعة الأكاديمية والثقافية والفنية والرياضية.

تتوزع الورقة على مدخل مفاهيمي وثلاثة مباحث وخاتمة، في المبحث الأول يتمّ التطرق إلى العوامل المساعدة لنجاح المقاطعة، يلي ذلك تناول العوائق التي تواجه المقاطعة، ومن ثمّ يتم الانتقال للمبحث الثالث؛ الذي تُركّز عليه الورقة وهو تأثير المقاطعة، وينقسم المبحث إلى أربعة فروع في أولها يتم تناول التأثير الاقتصادي سواء على مستوى الدول والحكومات المحلية أم الشركات والنقابات، وفي الفرع الثاني يتم

* باحث ومحاضر أكاديمي، حاصل على درجة الدكتوراه في العلوم الاجتماعية، وماجستير دراسات إسرائيلية.

تناول تأثير المقاطعة على الجانب الأكاديمي، لننتقل بعدها لتناول تأثيرها على المستوى الثقافي والفني وأخيراً على المستوى الرياضي، وتنتهي الورقة بخاتمة. تجادل الورقة بوجود تأثير ملموس لدعوات مقاطعة الكيان الصهيوني، مما قد يسهم مستقبلاً في التأثير على تركيبة منظومة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، ويُعجل من تفكيك هذا الكيان الاستعماري.

أولاً: مدخل مفاهيمي:

تتمفصل المقاطعة Boycott مع سحب الاستثمارات Divestment وفرض العقوبات Sanction، من هنا جاء تسمية حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات (بي دي أس) The Boycott, Divestment, Sanctions (BDS) Movement. تشمل المقاطعة "وقف التعامل مع إسرائيل، ومقاطعة الشركات الإسرائيلية وكذلك الدولية المتواطئة في انتهاكاتها لحقوق الفلسطينيين، ومقاطعة المؤسسات والنشاطات الرياضية والثقافية والأكاديمية الإسرائيلية". أما سحب الاستثمارات فيهدف "إلى الضغط على المستثمرين والمتعاقدين مع الشركات الإسرائيلية والدولية المتورطة في جرائم دولة الاحتلال والأبارتهايد (الفصل العنصري)، بسحب استثماراتهم من و/أو إنهاء تعاقدهم مع هذه الشركات. وقد يكون المستثمرون أو المتعاقدون أفراداً، مؤسسات، صناديق سيادية، صناديق تقاعد، كنائس، بنوك، مجالس محلية، جهات خاصة، جمعيات خيرية، أو جامعات". فيما المقصود بالعقوبات هو "الإجراءات العقابية التي تتخذها الحكومات والمؤسسات الرسمية والأممية ضدّ دولة أو جهة تنتهك حقوق الإنسان، بهدف إجبارها على وقف هذه الانتهاكات. تشمل العقوبات العسكرية والاقتصادية والثقافية وغيرها، على سبيل المثال عن طريق وقف التعاون العسكري، أو وقف اتفاقيات التجارة الحرة، أو طرد إسرائيل من المحافل الدولية مثل الأمم المتحدة أو الاتحاد البرلماني الدولي أو الفيفا أو غيرها".²

لطالما كان الاقتصاد والتجارة أداة مهمة في العلاقات الدولية، فمن ناحية يمكن للتجارة أن تعزز العلاقات بين الدول، ومن ناحية أخرى يمكن استخدام التجارة كوسيلة ضاغطة في حالة الصراع وذلك باستخدام العقوبات والحظر والمقاطعة. تاريخياً استُخدمت المقاطعة التجارية لمعاقبة أو إكراه طرف ما على سلوك معين،



فعلى سبيل المثال استُخدِمت الصين المقاطعة كرداً على الغزو الياباني في ثلاثينيات القرن العشرين، وكذلك استُخدِمت الجامعة العربية سلاح المقاطعة لـ "إسرائيل" عقب الإعلان عن قيام الكيان الصهيوني سنة 1948، كما برزت في الخمسينيات حركة المقاطعة لنظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا، وفي تسعينيات القرن العشرين كانت مقاطعة المستهلكين للمنتجات الفرنسية بسبب التجارب النووية، ومؤخراً تمّ تسليط الضوء على أهمية مقاطعة التجارة الدولية من خلال الحظر الذي فرضته الدولة الروسية على استيراد المنتجات الزراعية من أوروبا، كرداً على العقوبات المفروضة على الغزو الروسي لأوكرانيا.³

أسهم ظهور الإنترنت وانتشار شبكات التواصل الاجتماعي في زيادة أهمية جهود الأفراد ومنظمات المجتمع المدني بالمقارنة مع جهد الحكومات فيما يتعلق بالعلاقات الدولية، لينتقل جزء من الفاعلية السياسية من الدول إلى الأفراد في جانب العلاقات التجارية، عبر مقاطعة المستهلكين لبضائع الدول التي يتم مقاطعتها، وبالتالي فإن نجاح المقاطعة يعتمد على مشاركة عدد كبير من المستهلكين، لكن بعض الدراسات النظرية تؤكد على أن الدوافع النفسية للمقاطعين، كالشعور بالذنب واحترام الذات أو الشعور بالفاعلية، تتراجع مع مرور الوقت.⁴ على ضوء ذلك؛ وفي الحالة الفلسطينية تأتي أهمية التوعية المستمرة بجدوى حملات المقاطعة، وعدم الاعتماد على الجانب العاطفي الذي يزداد في ظلّ اشتداد العدوان الإسرائيلي. جدير بالذكر أن مقاطعة "إسرائيل" اقتصادياً تتوزع على ثلاثة مستويات، أولها مقاطعة المنتجات الإسرائيلية، وثانيها مقاطعة الشركات التي تتعامل مع "إسرائيل"، وثالثها مقاطعة الشركات التي تتعامل مع الشركات التي تتعامل مع "إسرائيل".⁵

تُشير بعض الدراسات إلى أن المقاطعة الاقتصادية تقود إلى تخفيضات في التبادلات التجارية تتراوح ما بين 30-40%.⁶ كما أظهرت دراسة شاملة بأن سلاح المقاطعة يمتاز بالفاعلية، ويمكن استخدامه لتحقيق أهداف سياسية؛ حيث تظهر الدراسة أن من بين 174 حالة مقاطعة نجحت 34% من الحالات في تغيير سياسات الدول، وأن 55% نجحت نجاحاً جزئياً (كالإفراج عن معتقلين سياسيين)، بينما في 30% أدت إلى تغيير النظام السياسي.⁷

بنيت فلسفة المقاطعة على جعل تكلفة الاحتلال أكبر من فائدته، وهذا جوهر عمل حركات التحرر الوطني التي تسعى لجعل الاستعمار مكلفاً للمستعمر، من ناحية أخرى يمكننا اعتبار حركة المقاطعة الشكل الأكثر فعالية للتضامن الشعبي مع القضية الفلسطينية، وتجنيذ طاقات مناصري القضية لإضعاف تأثير الدعم الدولي الذي تتلقاه "إسرائيل" من حلفائها الغربيين.⁸

ارتبطت حركة المقاطعة بمناهضة التطبيع. تُعرّف حركة المقاطعة "التطبيع" على أنه "المشاركة في أي مشروع أو مبادرة أو نشاط، محلي أو دولي، يجمع (على "المنصة" نفسها) بين فلسطينيين (و/أو عرب) وإسرائيليين (أفراداً كانوا أم مؤسسات)"، ولا يستوفي شرطي اعتراف الطرف الإسرائيلي بالحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني بموجب القانون الدولي، وأن يشكل النشاط شكلاً من أشكال "النضال المشترك co-resistance" ضدّ نظام الاحتلال والاستعمار - الاستيطاني والأبارتهايد الإسرائيلي.⁹

ثانياً: العوامل المساعدة على نجاح حركة المقاطعة:

توجد عدة عوامل تساعد على نجاح حركة المقاطعة من أبرزها تزايد الرفض العربي والعالمي للممارسات القمعية الإسرائيلية، وذلك عقب افتضاح الطبيعة العنصرية للكيان الصهيوني والحرب الإبادية والمجازر اليومية بحق المدنيين والأطفال والنساء في قطاع غزة، عقب السابع من تشرين الأول/أكتوبر، فقد حفزت الصور والمشاهد شرائع واسعة من الشباب والناشطين على مستوى العالم للخروج في مظاهرات منددة بالعدوان الإسرائيلي وجرائم الإبادة الجماعية، ترافق ذلك مع فشل الدعاية الإسرائيلية وسقوطها، فبالرغم من الميزانيات الضخمة التي خصصتها الحكومة الإسرائيلية لتحسين صورتها أمام العالم، إلا أنها لم تستطع إخفاء الإجرام الصهيوني، وقد أسهم في تعرية وفضح الكيان الصهيوني وصول اليمين الإسرائيلي المتطرف إلى سدة الحكم، فحكومة اليمين الصهيوني المتطرف بقيادة بنيامين نتنياهو، والممارسات والتصريحات العنصرية المتلاحقة لوزراء الصهيونية الدينية كوزير المالية بتسلئيل سموتريتش Bezalel Smotrich ووزير الأمن الوطني إيتمار بن جفير Itamar Ben-Gvir، أسهمت في كشف الطبيعة العنصرية والدموية للكيان الاستعماري الصهيوني، مما أعطى دفعة قوية لدعوات المقاطعة ومقاومة التطبيع.



ثالثاً: العوائق التي تواجه المقاطعة:¹⁰

يوجد عدة عوائق تحول دون نجاح حركة المقاطعة تتوزع على أربعة محاور، أولها: الاستراتيجية الإسرائيلية المضادة للمقاطعة والإجراءات التي اتخذتها حكومة الكيان الصهيوني لمواجهة المقاطعة، يتضافر مع ذلك العائق الثاني المتمثل في توظيف "إسرائيل" تحالفاتها السياسية والمناخ الدولي لخدمة أهدافها، أما في العامل الذاتي فبرز عائقان مركزيان وهما وجود ضعف ذاتي فلسطيني في عدة جوانب متعلقة بغياب الاستراتيجية الفلسطينية، والأمر ذاته على الصعيد العربي والإسلامي الذي نشهد فيه غياب لدور المؤسسات العربية والإسلامية.

وضعت "إسرائيل" استراتيجية مضادة للمقاطعة تتوزع على الجانب الإعلامي والقانوني، دون إغفال للجانب السياسي والأكاديمي أو الأمني، مع رفد لهذه الجوانب بتخصيص ميزانيات وأموال لتحقيق هذه الاستراتيجية. فمن الناحية الإعلامية، أسست "إسرائيل" سرديتها وحملتها الإعلامية على الربط بين دعوات المقاطعة ومعاداة السامية، بحيث تصبح الدعوة لمقاطعة "إسرائيل" شكلاً من أشكال معاداة السامية، وفي الخلفية لهذه السردية الإعلامية يتم التركيز دوماً في خطاب المجتمعات الغربية على أن "إسرائيل" امتداد للحضارة الغربية في الشرق الأوسط، بالإدعاء أنها الديمقراطية الوحيدة في المنطقة، وبالتالي فهي ممثل للحضارة الغربية ولا يجوز محاربتها أو مقاطعتها. بالربط مع الجانب الإعلامي واتهام كل من يدعو للمقاطعة بمعاداة السامية، وجهت "إسرائيل" جهدها للجانب القانوني بالعمل على سن قوانين تجرم الدعوة للمقاطعة، فأسفر هذا الجهد عن تجريم الدعوة للمقاطعة في عدة ولايات أمريكية.

اهتمت "إسرائيل" بالجانب الدبلوماسي والسياسي في محاربة المقاطعة، فلجأت إلى توظيف مواردها لتجنيد السياسيين، وخصوصاً في الغرب، من أجل تبني مواقفها، مما أثمر عن إعلان بعض السياسيين الغربيين بأن الدعوة للمقاطعة شكل من أشكال معاداة السامية، وبأنها "دعوة للكرهية"، لذلك يجب الوقوف بوجهها ومحاربتها أو حظرها.

استغلت "إسرائيل" حالة التوتر والاستقطاب في المنطقة بين ما يعرف بالمحور الإيراني ومحور "الاعتدال" العربي، وكذلك دعوات محاربة "الإرهاب" لتطرح نفسها

كشريك وحليف في مواجهة إيران والحركات "الإرهابية"، فعملت على توثيق علاقاتها الأمنية بالدول الغربية وبعض الدول العربية، واستخدمت الأمن كمدخل لمحاربة المقاطعة، على اعتبار أن من يقود حركات المقاطعة حريصين على زعزعة الاستقرار والأوضاع الأمنية.

على الصعيد الذاتي؛ يوجد حالة من التيه الفلسطيني نتيجة الانقسام السياسي الفلسطيني، وعدم تبني استراتيجية فلسطينية موحدة، والافتقار لبرنامج وطني ونضالي موحد يجعل من المقاطعة أداة من أدوات النضال وجزء من النضال الجمعي لتفكيك الحالة الاستعمارية في فلسطين، يترافق مع حالة التيه وفقدان البرنامج الوطني الموحد، ووجود تبعية اقتصادية فلسطينية للاحتلال الإسرائيلي، فالاتفاقيات الاقتصادية المرتبطة بتفاهمات أوسلو Oslo Accords كاتفاقية باريس الاقتصادية Paris Protocol، تحول دون الاستقلالية الاقتصادية، ومن ثم يصبح من الصعب الدعوة للمقاطعة الاقتصادية، في ظل الاعتمادية المفرطة على المنتجات الإسرائيلية وعدم وجود بدائل فلسطينية لكثير من المنتجات، مما يحول دون نجاح حركة المقاطعة ويحصرها في الدعوة لمقاطعة مجموعة محدودة من المنتجات الإسرائيلية.

أما على الصعيد العربي فنشهد حالة من التفكير وعدم الاستقرار، وغياب شبه كامل للمؤسسات ومنظمات المجتمع المدني والأحزاب، وخصوصاً بعد أحداث الربيع العربي، والإحباط الناتج عن فشله وقمعه، والقبضة الأمنية التي تحول دون ممارسة أي نشاط في الفضاء العام، مما يحول دون وجود حركات منظمة تقود حملات المقاطعة خشية من الملاحقة الأمنية، في الوقت ذاته نشهد غياب لدور المؤسسات العربية الرسمية كالجامعة العربية في دعوات المقاطعة، ولا يقتصر الأمر على ذلك بل يتعداه لانخراط العديد من الدول العربية في اتفاقيات "سلام" وتطبيع مع الكيان الصهيوني، مما يؤثر بالضرورة على دعوات المقاطعة، التي تعدّها بعض الأنظمة العربية شكلاً من أشكال التحريض على اتفاقيات "التعاون" الأمني والاقتصادي مع الكيان الصهيوني، وبالتالي توجد ملاحقة أمنية لدعوات المقاطعة. علاوة على ذلك، يجب ألا ننسى دور الحليف الأكبر للكيان الصهيوني وهو الإدارة الأمريكية، التي تسعى دوماً لتجنيد الطاقات من أجل ترسيخ التطبيع مع الكيان الصهيوني، وتحارب كل الدعوات لمقاطعتها.



رابعاً: تأثير المقاطعة:

نلمس تأثير المقاطعة في عدة جوانب ومجالات من أبرزها الجانب الاقتصادي، والجانب الأكاديمي، والمجال الفني والثقافي، وكذلك على المستوى الرياضي، وفيما يلي التفاصيل:

1. التأثير الاقتصادي:

تؤشر الإحصائيات على أن دعوات المقاطعة عقب الحرب الإبادية على قطاع غزة قد أثرت على حجم الصادرات الإسرائيلية، وبالرغم من أن الحرب قد بدأت في آخر شهرين من سنة 2023 إلا أننا نلمس تأثيرها في حجم الصادرات، فبحسب بيانات دائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية (Central Bureau of Statistics (CBS، بلغت الصادرات الإسرائيلية سنة 2023 نحو 156 مليار دولار، بانخفاض قدره 6% مقارنة بسنة 2022 (نحو عشرة مليارات دولار أقل). حيث كان قطاع السلع الأساسية الأكثر تأثراً، وتأثرت كذلك صادرات الخدمات، التي تشكل 52% من الصادرات، حيث شهدت انخفاضاً بنسبة 3%، ويرجع ذلك إلى انخفاض خدمات السياحة والنقل الإسرائيلية وبيع الشركات الناشئة، كما سجلت صادرات السلع انخفاضاً بنسبة 10%، خصوصاً في مجالات المواد الكيميائية والماس والأدوية.¹¹

حافظت "إسرائيل" على استقرار سوق صادراتها إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي تُعدّ أكبر سوق مستهدف للشركات الإسرائيلية، ولكن حدث انخفاض للصادرات في سنة 2023 إلى تركيا وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا في أوروبا، وكذلك إلى الهند والصين في الأسواق الآسيوية. يعزو الخبراء الإسرائيليون هذا الانخفاض إلى تقلّب أسعار العملات، والتراجع الحقيقي في صناعة الماس، وتأثير أسعار الفائدة والأحداث الداخلية في هذه البلدان، لكنهم يغفلون أثر دعوات المقاطعة. في المقابل، تُظهر البيانات زيادة بالصادرات في سنة 2023 لكل من رومانيا 73%، وإيرلندا 35%، وألمانيا 14%، وهولندا واليابان 11.5%، أما التجارة مع الدول العربية، فقد سجلت الصادرات نسب نمو ملحوظة، بتأثير اتفاقيات التطبيع، لكل من المغرب 128%، ومصر 73.5%، والبحرين 54.5%، على الرغم من أن حجم التجارة الإجمالي محدود، والأردن 13%. وحافظت الصادرات إلى الإمارات العربية المتحدة على استقرارها، زيادة بنسبة

5.2%، لتصل إلى 650 مليون دولار، فقد دخلت الاتفاقية التجارية بين "إسرائيل" والإمارات حيّز التنفيذ مع حلول سنة 2023.¹²

تعمل "إسرائيل" على توسيع أسواقها من أجل التغلب على دعوات المقاطعة، حيث تقوم الملاحق الاقتصادية لإدارة التجارة الخارجية في وزارة الصناعة والاقتصاد الإسرائيلية، بمتابعة سياسة التجارة الخارجية لـ "دولة إسرائيل" وذلك لزيادة القدرة التنافسية للصناعة الإسرائيلية، من أجل زيادة وتنويع الصادرات الإسرائيلية وجذب الاستثمار الأجنبي. حيث تنتشر الملاحق الاقتصادية الإسرائيلية في أكثر من 55 عاصمة تجارية حول العالم، وتعمل على تطوير الشراكات الاستراتيجية والاقتصادية بين "دولة إسرائيل" والدول المستهدفة، وكذلك تعزيز صادرات الشركات الإسرائيلية وجذب الاستثمارات الأجنبية إلى "إسرائيل". حيث نفذت الملاحق الاقتصادية في سنة 2023 أكثر من ألفي نشاط لترويج الصادرات الإسرائيلية، بما في ذلك وفود الأعمال والمعارض، وأسفرت هذه الأنشطة عن عقد ما يقرب من 36 ألف اجتماع عمل بين الشركات الإسرائيلية والشركات الأجنبية، بالإضافة إلى ذلك، تمّت معالجة ما يقرب من 4,300 طلب من المصدرين الإسرائيليين في اختراق الأسواق المستهدفة الجديدة التي وصلت إليها نحو 2,200 شركة مصدرة، في سنة 2023. مما أسفر عن توقيع عقود جديدة بقيمة إجمالية بنحو ملياري شكيل (نحو 540 مليون دولار أمريكي).¹³

تظهر الإحصائيات الإسرائيلية انهيار الاستثمارات الخارجية بسبب الحرب على قطاع غزة، فقد شهدت تراجعاً ملحوظاً؛ أثر بشكل كبير على الاقتصاد الإسرائيلي، حيث انخفضت الاستثمارات الأجنبية بنسبة 80% مع اندلاع الحرب، ووفقاً لبعض التقديرات بلغت الخسارة مع بداية سنة 2024 نحو 10 مليارات دولار.¹⁴ صحيح أن السبب الرئيسي لسحب الاستثمارات يعود إلى انعدام الاستقرار وخشية الشركات من الأوضاع الأمنية السائدة عقب الحرب، إلا أنه لا يمكن إغفال تأثير دعوات المقاطعة على بعض الشركات، مما دفعها لسحب استثماراتها من الكيان الصهيوني.

تاريخياً؛ تأثرت التجارة الخارجية الإسرائيلية بالصورة السلبية لـ "إسرائيل" حول العالم، فبحسب بعض الدراسات الأكاديمية فإن الصورة السلبية للدولة تؤثر على اقتصادها، من حيث جذب الاستثمارات الخارجية والسياحة، وقرار المستهلكين بشراء منتجات هذه الدولة.¹⁵ بالرغم من عدم وجود دراسات حول تأثير الحرب على



صورة "إسرائيل"، إلا أن مسحاً عالمياً أُجري قبل الحرب على مستوى 19 دولة في الفترة ما بين 2014-2017، وشارك فيه أكثر من 18 ألف شخص، وتبين بأن صورة "إسرائيل" على مستوى العالم تُعدّ من الأسوأ بين الدول، إذ يظهر الاستطلاع بأن أكثر من 50% من المستطلعة آرائهم يحملون صورة سلبية تجاه "إسرائيل"، في مقابل 25% يحملون صورة إيجابية، وذلك بالرغم من الميزانيات الكبيرة والحملات المنظمة التي تديرها الماكينة الإعلامية الإسرائيلية لتحسين صورة "إسرائيل"، إلا أن ممارسات الاحتلال الإسرائيلي أبقت على صورة "إسرائيل" السلبية، فمن بين 19 دولة أُجري فيها الاستطلاع تميل 15 دولة لرأي سلبي تجاه "إسرائيل"، ونجد في الولايات المتحدة الأمريكية النسبة الأكبر من حاملي الصورة الإيجابية 59%، في المقابل شهد الاستطلاع في تركيا الرأي الأكثر قسوة تجاه "إسرائيل"، إذ أن ثلاثة أرباع 77% من المستطلعة آرائهم يحملون رأياً سلبياً تجاه "إسرائيل".¹⁶ هذه النسب وهذا الرأي السلبي كان قبل الحرب الإبادية على قطاع غزة، لذلك من المتوقع أن تزداد هذه النسب بعد الحرب، وأن تتعزز الصورة السلبية لـ "إسرائيل" حول العالم، مع انتشار صور الدمار وقتل الأبرياء في فلسطين.

سجلت حركة المقاطعة عقب الحرب عدة نجاحات في جانب المقاطعة الاقتصادية على عدة مستويات؛ الدول والحكومات المحلية، والشركات، والنقابات، وفيما يلي التفاصيل:

أ. على مستوى الدول والحكومات المحلية:

أثمرت دعوات المقاطعة في الأردن عن إعلان وزير الخارجية أن الأردن لن يوقع اتفاق لتبادل الطاقة والمياه مع "إسرائيل"، والذي تمّ الإعلان عنها خلال إكسبو دبي 2020 - Expo Dubai 2020 والمعروف باسم "الكهرباء مقابل الماء". في السياق ذاته؛ أعلن رئيس وزراء ماليزيا فرض الحظر على جميع السفن الإسرائيلية، خصوصاً التابعة لشركة الشحن الإسرائيلية "زيم ZIM"، وتلك المتجهة إلى الموانئ الإسرائيلية، وذلك "رداً على تصرفات إسرائيل التي تنتهك المبادئ الإنسانية الأساسية والقوانين الدولية".¹⁷

وعلى مستوى أوروبا؛ أعلن صندوق التقاعد النرويجي Government Pension Fund of Norway، الذي يُعدّ من أكبر الصناديق السيادية في العالم، سحب استثماراته

بالكامل من السندات الحكومية الإسرائيلية Israel Bonds، والبالغة قيمتها نصف مليار دولار. وكانت الحكومة النرويجية قد نصحت الشركات النرويجية "بعدم الانخراط في أي تعاون تجاري أو شراكات تجارية من شأنها إدامة المستعمرات الإسرائيلية غير القانونية". كما قامت العديد من صناديق التقاعد الدنماركية بسحب استثماراتها من الشركات الإسرائيلية، بما في ذلك البنوك. فيما صوّت المجلس الإقليمي النيوزيلندي للبيئة كانتربري Environment Canterbury على قرار يقضي بعدم العمل مع الشركات التي تتعامل مع المستعمرات الإسرائيلية.¹⁸ أما الحكومة الإيرلندية فقد سحبت استثمارات لها تقدر بـ 3 ملايين يورو (نحو 3.3 مليون دولار) من عدة شركات إسرائيلية، بما في ذلك بعض من أكبر بنوكها.¹⁹

يضاف إلى ما سبق؛ إعلان ثاني أكبر صندوق استثماري في النرويج Storebrand، سحب استثماراته البالغة 141 مليون دولار بالكامل من شركة آي بي أم IBM بسبب تزويدها "إسرائيل" بقاعدة بيانات بيومترية "تستخدم لتنفيذ الأبحاث" و"التمييز والفصل ضد الفلسطينيين". حيث تسهم أي بي أم في جهاز المراقبة والأمن الإسرائيلي، وتمدد العدو الإسرائيلي بتقنيات للتكامل بالفلسطينيين وملاحقتهم ودعم الإبادة الجماعية في قطاع غزة المحتل والمحاصر.²⁰

انعكست دعوات المقاطعة على صفقات بيع السلاح مع الكيان الصهيوني. استهل ذلك الرئيس الكولومبي "غوستافو بيترو" Gustavo Petro بإعلانه التعليق الكامل لعملية شراء الأسلحة الإسرائيلية، وهذا يفسر غياب الشركات الإسرائيلية عن معرض الأسلحة في كولومبيا. كما أوقفت حكومة والونيا الإقليمية في بلجيكا تراخيص تصدير الأسلحة إلى "إسرائيل"، بالترافق مع ذلك دعت نائبتا رئيس الوزراء في كل من بلجيكا وإسبانيا إلى "تعليق معاهدة الشراكة بين الاتحاد الأوروبي وإسرائيل، وفرض حظر عام على الأسلحة، أو حتى فرض عقوبات بموجب نظام العقوبات العالمي لحقوق الإنسان الذي يفرضه الاتحاد الأوروبي". في السياق ذاته؛ منعت تشيلي الشركات الإسرائيلية من المشاركة في معرض الأسلحة الأكبر في أمريكا اللاتينية. يضاف إلى ذلك تصويت حزب العمال الاشتراكي الإسباني Spanish Socialist Workers' Party، وهو الحزب الحاكم في إسبانيا، إلى جانب أحزاب أخرى، لصالح التعليق الفوري لتجارة الأسلحة الإسبانية مع "إسرائيل"، مما أسفر عن تصويت لجنة الشؤون



الخارجية في البرلمان الإسباني لصالح وقف تجارة الأسلحة مع "إسرائيل". أيضاً صوت البرلمان الكندي على وقف تصدير الأسلحة إلى "إسرائيل" في 2024/3/18، فيما دعا أكثر من 130 نائباً بريطانياً إلى حظر جميع مبيعات الأسلحة لـ "إسرائيل".²¹ يضاف إلى ذلك منع الحكومة الفرنسية الشركات الإسرائيلية من المشاركة في معرض "يوروساتوري Eurosatory" السنوي للأسلحة، الذي يُعدّ أكبر معرض عالمي للمتخصصين في مجال الدفاع والأمن.²²

تحت ضغط حركة المقاطعة اضطرت سفينة الشحن "Borkum"، التي تحمل أسلحة يُحتمل استخدامها في الحرب الإبادة الإسرائيلية على قطاع غزة المحتل والمحاصر، إلى مغادرة الموانئ الإسبانية، وذلك بعد ضغوط حثيثة وإجراءات قضائية قادها حزبي "سومار Sumar" و "بوديموس Podemos". ولحق ذلك إعلان الحكومة الإسبانية رفض منح تصريح لرسو سفينة "ماريان دانيكا MARIANNE DANICA" التي ترفع العلم الدنماركي، والتي تأكد أيضاً أنها تحمل أسلحة إلى "إسرائيل".²³

سنّت عدة دول وحكومات محلية قوانين لحظر التجارة مع المستعمرات الإسرائيلية، فقد أقرت لجنة حقوق الإنسان بمجلس الشيوخ التشيلي مشروع قانون لحظر التجارة مع المستعمرات الإسرائيلية. كما أعلن مجلس مدينة غنت Ghent البلجيكية أنه لن يشتري من الشركات المستفيدة من نظام الاحتلال الإسرائيلي وقمع الفلسطينيين. فيما أعلن مجلس مقاطعة "ديري سيتي Derry وسترابان Strabane" في إيرلندا الشمالية عن خطته لاعتماد سياسة المشتريات الأخلاقية، واستبعاد الشركات المتورطة في انتهاكات لحقوق الإنسان. الأمر ذاته أعلن عنه حزب شين فين Sinn Féin، وهو أكبر حزب في إيرلندا، بتصريحه أنّه يعمل في مجالس المدن في جميع أنحاء إيرلندا لتنفيذ سياسات الشراء الأخلاقية، وذلك لمنع العقود التجارية التي تتربح من جرائم حقوق الإنسان والإبادة الجماعية ضدّ الشعب الفلسطيني. يضاف إلى ذلك تصويت مدينة هايوارد بولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية، على سحب استثماراتها من أربع شركات متواطئة في الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان والقانون الدولي.²⁴

ترافقت المقاطعة الاقتصادية وسحبت الاستثمارات مع اتخاذ عدة دول وحكومات محلية قرارات ستسهم في عزلة "إسرائيل"، فقد علّقت بوليفيا علاقاتها الدبلوماسية مع "إسرائيل"، في حين خفضت تشيلي وكولومبيا وتشاد وهندوراس وتركيا والأردن، مستوى علاقاتها معها. يضاف إلى ذلك إعلان الاتحاد الإفريقي التعليق الفعلي لـ "إسرائيل" كعضو مراقب. أمّا مدينة برشلونة فقد قطعت علاقاتها مع "إسرائيل" بالكامل بسبب جرائم الحرب التي ارتكبتها ضدّ الفلسطينيين في غزة، لتصبح أول مدينة أوروبية تفعل ذلك. وفي تركيا، ألغت مدينتا أضنة وأنطاليا بروتوكولي التوأمة مع بلدي بئر السبع و"بات يام" الإسرائيليتين.²⁵

وفي سابقة تاريخية، أيّدت مدينة هامتراكم بولاية ميشيغان بشكل كامل حركة المقاطعة "بي دي أس"، لتصبح أول مدينة في الولايات المتحدة الأمريكية تصدر قراراً بالإجماع يطالب بمقاطعة "إسرائيل". أعلنت حكومة المالديف حظر دخول حاملي جواز السفر الإسرائيلي إلى أراضيها، وإطلاق حملة لجمع التبرعات من أجل فلسطين. وفي بريطانيا، حقق النشطاء في حملة التضامن مع فلسطين في بريطانيا Palestine Solidarity Campaign (PSC) فوزاً قانونياً جديداً، بإفشال محاولات الحكومة اليمينية لتمرير قانون يقمع الحق في المقاطعة ويشيطنها.²⁶

ب. على مستوى الشركات:

أنهت شركتا نيبون Nippon Aircraft Supply وإتوتشو Itochu Aviation اليابانيتان عقدهما مع شركة "إلبيت سيستمز Elbit Systems" الإسرائيلية لتصنيع الأسلحة، وذلك خشية من إصدار المحكمة الجنائية الدولية International Criminal Court (ICC) قرار يتعلق بجرائم الحرب الإسرائيلية. وقد شهدت شركة "إلبيت" موجة من سحب الاستثمارات منها بواسطة البنوك الكبرى وصناديق الاستثمار. فقد باع مجلس الاستثمار في ولاية ويسكونسن جميع أسهم "إلبيت" التي كان يملكها في تشرين الأول/ نوفمبر 2023، والبالغ عددها 8,083 سهماً. وبعد يومين، كشف بنك أمريكا "Bank of America" أنه تخلى عن أكثر من 50% من أسهم "إلبيت" منذ تشرين الأول/ نوفمبر 2023. وحتى بنك نوبا سكوشيا Scotiabank، الذي يُعدّ أكبر مستثمر أجنبي منفرد في "إلبيت"، خفض حيازته من أسهم الشركة بين الربع الثالث والربع الرابع من سنة 2023 بنحو 16%.²⁷



تجسدت المقاطعة من المستوى الثاني، مقاطعة الشركات التي تتعامل مع "إسرائيل"، في إعلان شركة بن العميد الأردنية إغلاق جميع فروعها في "كارفور Carrefour"، المتواطئة في جريمة الإبادة الجماعية في قطاع غزة، حيث اضطرت "كارفور" إلى إغلاق أربعة فروع لها في الأردن بسبب تنامي حملة المقاطعة ضدها. في السياق ذاته؛ استبعدت إدارة الملتقى التوظيفي بالجامعة الأمريكية بالقاهرة شركة "أكسا AXA" للتأمين من قائمة الرعاية، وذلك استجابة لنداءات طلاب الجامعة الأمريكية في القاهرة الذين طالبوا بمقاطعة "أكسا" واستبعادها بسبب استثماراتها في البنوك الإسرائيلية.²⁸

ظهر نجاح دعوات المقاطعة جلياً في التعامل مع "البراندات" العالمية المساندة لـ "إسرائيل"، من الأمثلة على ذلك شركة ماكдонаلدز McDonald's، التي اضطرت في آذار/ مارس 2024 إلى إسقاط دعوى التهريب التي رفعتها ضد مجموعة المقاطعة في ماليزيا BDS Malaysia، حيث أعلن المدير المالي للشركة فشله في تحقيق المبيعات المستهدفة لأول مرة منذ سنوات، ويرجع ذلك إلى حملات المقاطعة المتنامية ضدها، مضيفاً أن: "المبيعات الدولية ستنخفض تبعاً في الربع الحالي. مما أدى إلى انخفاض أسهم الشركة 2% في التعاملات المبكرة".²⁹ نتيجة لهذا الانخفاض اتخذت شركة ماكдонаلدز قراراً بالاستحواذ على امتيازها المحلي في "إسرائيل"، والملوك لشركة "عمري بادان" لأكثر من 30 عاماً، وفروعها البالغ عددها 225 فرعاً، في محاولة لتجنب المقاطعة المؤيدة للفلسطينيين، بعد دعم الامتياز المحلي في "إسرائيل" الجيش في الحرب على غزة، وتوزيعه وجبات مجانية على الجنود الإسرائيليين، وبالرغم من أن الامتياز الإسرائيلي للعلامة الأمريكية يُعدّ مربحاً، فقد تجاوزت مبيعاته 1.5 مليار دولار في سنة 2023، إلا أنّ الخسارة عالمياً والضرر المحتمل للعلامة التجارية، دفع إدارة ماكдонаلدز إلى اتخاذ قرار بإزالة صاحب الامتياز الإسرائيلي، وبيع الامتياز لجهة أخرى تلتزم بالابتعاد عن الصراعات السياسية.³⁰

في سياق متصل، أعلنت سلسلة المقاهي سلسلة مقاهي بري آ مانجيه Pret a Manger العالمية تراجعها عن افتتاح فرع إسرائيلي، بعد توقيعها اتفاقية امتياز سنة 2022 مع مجموعة "فوكس جروب Fox Group" الإسرائيلية لافتتاح 40 متجراً خلال العقد المقبل.³¹

وفي مؤشر قوي على انحدار الثقة في الاقتصاد الإسرائيلي أعلنت شركة "سامسونج نيكست"، ذراع الابتكار لشركة التكنولوجيا الكورية العملاقة "سامسونج Samsung"، وقف عملياتها في "إسرائيل"، وكانت "سامسونج نيكست" قد استثمرت في نحو 70 شركة إسرائيلية تكنولوجية ناشئة. وبهذا يتعرض قطاع التكنولوجيا الفائقة الإسرائيلي الذي يمثل أكثر من 50% من الصادرات إلى ضربة قوية، مع الأخذ بعين الاعتبار انخفاض الاستثمار في شركات التكنولوجيا الإسرائيلية في سنة 2023 بنسبة 56% مقارنة بسنة 2022.³²

ج. المؤسسات النقابية والدينية:

شهدنا تضامناً العديد من النقابات مع فلسطين ودعوتها لمقاطعة "إسرائيل"، فقد طالبت أكبر النقابات العمالية الهندية، والتي تمثل عشرات الملايين، الحكومة الهندية بإلغاء اتفاق "تصدير" العمال الهنود إلى "إسرائيل"، ليحلوا محل العمال الفلسطينيين، وحثت العمال على مقاطعة المنتجات الإسرائيلية وعدم التعامل مع البضائع الإسرائيلية. أيضاً؛ اتخذت نقابات عمال الموانئ في بلجيكا والهند وكاتالونيا وإيطاليا واليونان وتركيا وكاليفورنيا وجنوب إفريقيا إجراءات ضد السفن الإسرائيلية، وكذلك شحنات الأسلحة الإسرائيلية، رفضاً لحرب الإبادة الجماعية على قطاع غزة. فيما أعلن الاتحاد الدولي لعمال سائقي التطبيقات International Alliance of App-Based Transport Workers (IAATW)، والذي يمثل أكثر من 100 ألف سائق من أكثر من 27 دولة و6 قارات، مقاطعته لشركة شيفرون Chevron الأمريكية للطاقة، المتواطئة في الجرائم الإسرائيلية.³³

يضاف إلى ما سبق؛ انضمام أكبر نقابة عالمية للعمال الصناعيين IndustriALL Global Union، والتي تمثل 50 مليون عضواً حول العالم، للنقابات المؤيدة لحركة المقاطعة بي دي أس"، والداعية لوقف الإبادة الإسرائيلية. كما وصوت أحد أكبر الاتحادات النقابية في كندا "الاتحاد العام للخدمات العامة في كندا Public Service Alliance of Canada (PSAC)" لصالح قرار يطالب الحكومة الكندية بفرض حظر عسكري على "إسرائيل" وذلك دعماً لدعوى جنوب إفريقيا في محكمة العدل الدولية³⁴. International Court of Justice



وفيما يتعلق بالمؤسسات الدينية أكدت الكنيسة الأسقفية الميثودية الإفريقية African Methodist Episcopal، وهي أكبر وأقدم كنيسة للأمريكيين السود، والتي تضمّ نحو 3 ملايين عضو، بأن "إسرائيل" تقوم بارتكاب جريمة الإبادة الجماعية، ودعت الولايات المتحدة إلى "السحب الفوري لكل التمويل وأشكال الدعم الأخرى من إسرائيل" لإنهاء تواطؤها.³⁵

2. على المستوى الأكاديمي:

تنبع أهمية مقاطعة الجامعات الإسرائيلية في الدور الذي تلعبه هذه الجامعات، إذ أن هذه الجامعات تلعب دوراً في تبرير الاستعمار المستمر للأراضي الفلسطينية، وكذلك شرعنة التطهير العرقي التدريجي للفلسطينيين، بالإضافة إلى إعطاء تبرير "أخلاقي" للقتل خارج إطار القانون، والذي تمارسه قوات الاحتلال الإسرائيلي. والأهم من ذلك، أن هذه الجامعات لها دور كبير في انتهاك حقوق الشعب الفلسطيني عبر مساندتها للجيش الإسرائيلي، فعلى سبيل المثال: تطور جامعة "تخنيون Technion" الإسرائيلية تقنيات الطائرات بدون طيار، والجرافات التي يتم التحكم بها لاستخدامها في هدم منازل الفلسطينيين. فيما طورت جامعة "تل أبيب" ما يعرف بـ "عقيدة الضاحية"، والتي تدعو إلى استخدام القوة المفرطة، غير المتكافئة، لهدم البنية التحتية المدنية والإضرار بالمدنيين، والتي استخدمتها "إسرائيل" في مجازرها ضدّ الفلسطينيين في غزة وكذلك ضدّ المدنيين اللبنانيين. فيما يوفر برنامج "تليبوت Talpiot" العسكري التابع لـ "الجامعة العبرية Hebrew University"، والدعم من القوات الجوية الإسرائيلية والجيش، الفرصة أمام الخريجين في الحصول على شهادات جامعية عليا في أثناء خدمتهم بالجيش، وبذلك يستغلون خبراتهم للتقدم في البحث والتطوير العسكري.³⁶

بالاستناد على ما سبق؛ أطلقت مؤسسات المجتمع المدني الفلسطيني سنة 2004 نداء يدعو إلى مقاطعة المؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية، ورفض كافة أشكال التطبيع معها. وقد لبّى النداء الكثير من الجمعيات الأكاديمية، بالذات الأمريكية، بالإضافة إلى جامعة جوهانسبورغ University of Johannesburg التي قطعت في 2011 علاقاتها مع جامعة بن جوريون University Ben-Gurion نظراً لتواطؤها في الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان، بما في ذلك سرقة المياه الفلسطينية. كما لبّت النداء

عشرات مجالس الطلبة والنقابات حول العالم، ووَقَّع آلاف الأكاديميين في كندا وجنوب إفريقيا والولايات المتحدة والبرازيل وبريطانيا وبعض الدول العربية وغيرها؛ على عرائض تؤيد المقاطعة الأكاديمية للجامعات الإسرائيلية.³⁷

عقب الحرب اندلعت العديد من المظاهرات في الجامعات الغربية، وأقيمت اعتصامات مؤيدة لفلسطين ومنذدة بالحرب الإبادية الإسرائيلية، تطالب بوقف الحرب وبسحب الجامعات استثماراتها في "إسرائيل"، فقد انتشرت المظاهرات الطلابية لتشمل الأراضي الأمريكية طوياً وعرضاً، وامتدت إلى أكثر من 24 جامعة أمريكية، شملت مؤسسات رائدة منها هارفارد Harvard وييل Yale وبوسطن Boston ومعهد ماساتشوسيتس للتكنولوجيا Massachusetts Institute of Technology في الشمال الشرقي، مروراً بجامعات برينستن Princeton وبراون Brown وكولومبيا Columbia ونيويورك New York وجورج واشنطن George Washington على الساحل الشرقي.³⁸ حيث برزت المظاهرات في جامعة كولومبيا المنادية بوقف الحرب الإبادية الإسرائيلية، والتي طالبت إدارة الجامعة بسحب استثماراتها في "إسرائيل"، وكذلك جامعة نيو هافن New Haven بولاية كونيتيكت Connecticut بالإضافة إلى جامعة ميشيغان Michigan وجامعة نورث كارولينا University of North Carolina.³⁹ وكان الطلاب قد صوتوا في جامعة "كاليفورنيا ديفيس University of California, Davis" لصالح سحب ميزانيتهم، البالغة 20 مليون دولار، من الشركات المتواطئة في الإبادة الجماعية الإسرائيلية. فيما صوّت مجلس أعضاء هيئة التدريس بجامعة "ميشيغان" في الولايات المتحدة الأمريكية لصالح سحب الاستثمارات من "إسرائيل". بينما أصدر مجلس طلبة كلية الحقوق في جامعة هارفارد قراراً يدعو فيه الإدارة وجميع المؤسسات والمنظمات في مجتمع الجامعة، إلى سحب الاستثمارات من "إسرائيل".⁴⁰

قامت خمس جامعات نرويجية بتعليق اتفاقيات التعاون مع الجامعات الإسرائيلية، كما قرر المجلس الأكاديمي لجامعة تورينو University of Turin في إيطاليا، عدم المشاركة في مشاريع البحث العلمي مع المؤسسات الإسرائيلية. واتخذ مجلس كلية الحقوق بـ "جامعة أنتويرب University of Antwerp" في بلجيكا قراراً بالإجماع بوقف اتفاقية التعاون مع جامعة "بار إيلان Bar-Ilan" الإسرائيلية بسبب دعمها العلني للإبادة الجماعية. فيما التزمت "جامعة جيرونا University of Girona"



في كاتالونيا بمراجعة كافة اتفاقياتها المبرمة مع الجامعات الإسرائيلية، أيضاً؛ ألغت جامعة "سيارا" الفيدرالية Federal University of Ceará في البرازيل "تحدي الابتكار البرازيل - إسرائيل". كما صوّتت كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية في جامعة "باتاغونيا" الوطنية سان خوان بوسكو National University of the Patagonia San Juan Bosco في الأرجنتين، لصالح الالتزام بدعوة جامعة بيرزيت لمقاطعة المؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية المتواطئة. يضاف إلى ذلك تصويت رابطة أعضاء هيئة التدريس في "جامعة مونتريال University of Montreal"، التي تمثل ما يقارب 1,400 عضو هيئة تدريس، بالإجماع لصالح قرار مقاطعة الجامعات الإسرائيلية، مما يجعلها أول رابطة هيئة تدريس في كندا تتخذ هذه الخطوة.⁴¹

أيضاً؛ أعلنت جامعة غنت University of Ghent البلجيكية قطع علاقاتها مع الجامعات والمؤسسات البحثية الإسرائيلية، وسبقها إعلان "جامعة بروكسل الحرة Vrije Universiteit Brussel" وقف تعاونها مع مؤسستين بحثيتين إسرائيليتين. بينما علّقت جامعة هلسنكي University of Helsinki الفنلندية اتفاقيات التبادل الطلابي مع الجامعات الإسرائيلية. وأصدرت جامعة كوبنهاغن University of Copenhagen الدنماركية قراراً بوقف الاستثمار في الشركات التي لها نشاط تجاري في المستعمرات الإسرائيلية بالضفة الغربية المحتلة. في حين صوتت كلية "تي إتش تشان للصحة العامة في جامعة هارفارد" بنسبة 81.5% لصالح سحب الاستثمارات من نظام الاستعمار والأبارتهايد الإسرائيلي، لتكون بذلك أول كلية صحية في الولايات المتحدة تصوّت لهكذا قرار.⁴²

ومن النجاحات أيضاً قرارات "كلية ترينيتي" الإيرلندية سحب استثماراتها بالكامل من الشركات الإسرائيلية المتواطئة والمدرجة على القائمة السوداء للأمم المتحدة، وجاء هذا القرار بعدما نصب طلبة الكلية مخيماً احتجاجياً استمر 5 ليال؛ مطالبين بقطع جميع العلاقات مع نظام الاستعمار والأبارتهايد الإسرائيلي رفضاً لجرائمه المستمرة بحق الشعب الفلسطيني.⁴³

3. على المستوى الثقافي والفني:

وظّفت "إسرائيل" الفن والثقافة كأداة ترويح للمصالح الإسرائيلية، وكبوق للسردية الإسرائيلية القائمة على تصوير "إسرائيل" كـ "الدولة الديمقراطية الوحيدة

في الشرق الأوسط“، وفي كثير من الأحيان يلعب الفنانون والمثقفون الإسرائيليون دوراً في تبييض وجه “إسرائيل”، وتبرير جرائمها بحق الفلسطينيين. فبحسب أحد المسؤولين الإسرائيليين تتعامل “إسرائيل” مع الثقافة والفن كأداة “هاسبراه” (Propaganda).⁴⁴

عقب الحرب أيدت 100 منظمة فنية أمريكية، بما يشمل دور النشر والمعارض والمجلات والمكتبات والتجمعات الفنية والمهرجانات والوكالات، المقاطعة الثقافية لـ “إسرائيل”. كما ألغت سينما “جيرونا” مهرجان السينما والتلفزيون الإسرائيلي “سيريت Seret”، الذي ترعاه السفارة الإسرائيلية ووزارة الثقافة، بعد ضغوط داخلية من مجموعات التضامن الكتلونية. فيما دعا وزير الثقافة البلجيكي وأكثَر من أربعة آلاف فنان، بمن فيهم ذلك أكثر من ألف فنان في البلد المضيف السويد، إلى منع “إسرائيل” من المشاركة في مسابقة “يوروبيجن Eurovision” الأوروبية، فيما تمّ إلغاء أكبر حفل لمشاهدة الـ “يوروبيجن” في لندن بسبب المشاركة الإسرائيلية في المسابقة. يضاف إلى ذلك مقاطعة أكثر من مئة فنان مهرجان “South by Southwest (SXSW)” في تكساس بالولايات المتحدة، بسبب شراكته مع الجيش الأمريكي ومصنعي الأسلحة الذين يمدون ماكينة الإبادة الجماعية الإسرائيلية بالذخيرة. في حين دعا عشرات الآلاف من الفنانين إلى وقف إطلاق النار في قطاع غزة، وتحقيق العدالة والمساءلة من خلال عشرات العرائض والمبادرات، بما يشمل فنانين في مجال الموسيقى، والفنون البصرية، والسينما، والأدب.⁴⁵

قد يكون من أكبر النجاحات على صعيد المقاطعة الثقافية والفنية خلال شهر أيار/ مايو 2024، انسحاب أكثر من 150 فنان من أهم المهرجانات الموسيقية الأوروبية “الهروب الكبير Great Escape festival”، وذلك استجابة لدعوات حركة المقاطعة “بي دي أس” وشركائها لمقاطعة المهرجان على إثر رعاية بنك “باركليز Barclays” المتورط باستثمارات في بنوك استيطانية له، وذلك تعبيراً عن تضامنهم مع الشعب الفلسطيني في وجه العدوان الإسرائيلي الإبادي.⁴⁶

4. على المستوى الرياضي:

تهدف المقاطعة الرياضية إلى الضغط على “إسرائيل” من ناحية وتعريضها وعزلها من ناحية أخرى، وقد حققت حركة المقاطعة عدة إنجازات في هذا المضمار عقب



الحرب على قطاع غزة، فقد أعلنت شركة الألبسة الرياضية الألمانية بوما PUMA في كانون الأول/ ديسمبر 2023 أنها لن تجدد عقدها مع الاتحاد الإسرائيلي لكرة القدم، الذي ينتهي بنهاية سنة 2024، ويمثل القرار رضوخاً لضغوط حركة المقاطعة. في حين طالب اتحاد غرب آسيا لكرة القدم (WAFF) West Asian Football Federation بعزل اتحاد كرة القدم الإسرائيلي، للضغط على العدو الإسرائيلي حتى ينهي حربه الإبادة على قطاع غزة. كما أعلنت اللجنة التنفيذية للجمباز الأوروبي أن "تل أبيب" لن تقوم باستضافة بطولة أوروبا 2025 للجمباز الفني، أيضاً أعلنت بطولة كرة الماء الأوروبية بتغيير مكان البطولة لسنة 2024 إلى خارج "إسرائيل".⁴⁷

في السياق ذاته؛ طالب أكثر من 300 نادر رياضي فلسطيني ومؤسسات أهلية فلسطينية بالضغط على اللجنة الأولمبية الدولية، لمنع "إسرائيل" من المشاركة في أولمبياد باريس 2024، فيما جمع النشطاء أكثر من 227 ألف توقيع للمطالبة بطرد "إسرائيل" من المحافل الرياضية الدولية، وطالب 26 نائباً فرنسياً اللجنة الأولمبية الدولية بفرض عقوبات على "إسرائيل". فقامت اللجنة الأولمبية الدولية في 2024/3/19، بإصدار إعلان ضدّ تسييس الرياضة، يذكّر بضرورة "تطبيق البند رقم A/RES/78/10، من الشريعة الأولمبية الدولية والتي توصي بـ "بناء عالم سلمي أفضل من خلال الرياضة". وهذا الرد يعبر عن تبني سافر لازدواجية المعايير، ويناقض موقفها من "إسرائيل" الموقف الذي اتخذته في الحالة الأوكرانية، عقب الغزو الروسي لأوكرانيا سنة 2022، إذ سارعت اللجنة الدولية إلى إدانة الغزو الروسي بعد ساعات فقط من بدئه، وكانت من أوائل المنظمات الدولية - بإقرارها - التي فرضت عقوبات على الحكومتين الروسية والبيلاروسية.⁴⁸

خاتمة:

سعت الورقة إلى مفهمة المقاطعة وتوضيح العلاقة بين المقاطعة والجانب الاقتصادي من ناحية واستخدام المقاطعة كأداة لتغيير السياسات من ناحية أخرى. مع التطرق للعوامل المساعدة لنجاح المقاطعة ومن أبرزها تنامي الرفض العربي والعالمي للممارسات القمعية الإسرائيلية، خصوصاً بعد الحرب على قطاع غزة، فقد أسهمت المشاهد المروعة للجرائم الإسرائيلية بزيادة حجم التعاطف مع الشعب

الفلسطيني، وحفزت على مقاطعة "إسرائيل" التي لم تسعفها جميع الحملات الإعلامية والبروباجندا الهادفة لتجميل وجهها القبيح. في المقابل تواجه حركة المقاطعة عدة معوقات، من أبرزها محاولة "إسرائيل" التضييق على دعاة المقاطعة ووسمهم بتهمة معاداة السامية، لكن العائق الأبرز يتمثل بحشد الدعم من حلفاء "إسرائيل"، وفي مقدمتهم الولايات المتحدة، وتوفير غطاء لجرائم الاحتلال. يضاف إلى هذه العوائق ضعف الفاعلية الفلسطينية والعربية والإسلامية، نتيجة لغياب الاستراتيجية الوطنية الجامعة لدى الفلسطينيين، وغياب الدور لدى العرب والمسلمين بسبب الانشغال بالهموم الداخلية لكل قطر، والافتقار إلى بنى مؤسساتية ونقابية فاعلة ترعى حملات المقاطعة.

تتطرق الورقة إلى تأثير المقاطعة على الجانب الاقتصادي عقب الحرب، فيتم رصد حجم الضرر والخسائر التي تعرّض لها الاقتصاد الإسرائيلي، ومن ثم يتم تناول حالة العزلة التي يعاني منها الاحتلال الإسرائيلي في المحافل الفنية والثقافية وكذلك على مستوى الأكاديميا والجانب الرياضي. مما يدفعنا للاستنتاج بتأثير المقاطعة على صورة "إسرائيل" ومصالحها الاقتصادية، وجدوى هذا النمط من الفعل الجماعي الجماهيري، ويمكننا الاستناد إلى ما يحدث على مستوى العالم من حملات تضامنية مع الشعب الفلسطيني، وبأن هذا التعاطف سيقود على المدى الطويل، إذا أحسن استثماره وتوظيفه، إلى تعزيز حالة المقاطعة لـ "إسرائيل"، ومن ثم ستشكل المقاطعة أداة مهمة للضغط عليها، ومن المرجح أن يكون لها دور مؤثر في تفكيك الكيان الاستعماري في فلسطين.



الهوامش

¹ انظر: أشرف بدر، مقاطعة "إسرائيل" عقب السابع من أكتوبر: الجدوى والتأثير، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2024/8/8.

² ماذا تعني المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات؟، انظر: موقع حركة مقاطعة إسرائيل BDS، 2024/4/19، <https://bdsmovement.net/ar/what-is-bds>

³ Kilian Heilmann, "Does political conflict hurt trade? Evidence from consumer boycotts," *Journal of International Economics*, Elsevier, 2016, n. 99, p. 179.

⁴ Ibid., p: 182.

⁵ أشرف بدر، "حركة المقاطعة العالمية BDS بين التهويل والتهوين"، في: **إعداد السياسات العامة والتفكير الاستراتيجي** (رام الله: مركز مسارات، 2015)، ص: 66.

⁶ Kilian Heilmann, "Does political conflict hurt trade? Evidence from consumer boycotts," p: 189.

⁷ Gary Clyde Hufbauer et. al., *Economic Sanctions Reconsidered*, 3rd edition (Washington DC: Peterson Institute for international Economics, November 2007).

⁸ مصطفى البرغوثي، "حركة المقاطعة وفرض العقوبات كأحد أركان الإستراتيجية الفلسطينية"، في: **مؤتمر القضية الفلسطينية والبعد الدولي الفرص والمتطلبات الإستراتيجية** (رام الله: مسارات، 2015)، ص 48.

⁹ معايير المقاطعة ومناهضة التطبيع، حركة مقاطعة إسرائيل BDS، 2024/4/19.

¹⁰ أشرف بدر، "حركة المقاطعة ومقاومة التطبيع: قراءة في المعوقات وعوامل النجاح"، في: **استراتيجية المقاطعة ضد الاحتلال الإسرائيلي ونظام الأبارتهايد: الواقع والطموح** (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018).

¹¹ ملخص عام 2023 في التجارة الخارجية لإسرائيل، موقع ميجا برو ميديا، 2024/1/16، انظر: <https://www.megapro.org.il> (باللغة العبرية)

¹² المرجع نفسه.

¹³ المرجع نفسه.

¹⁴ وصل انهيار الاستثمارات الأجنبية إلى 10 مليار، موقع واي نت نيوز، 2024/2/5.

(باللغة العبرية) <https://www.ynet.co.il/economy/article/b1spqf0q6>

¹⁵ Philip Kotler and David Gertner, "Country as Brand, Product, and Beyond: A Place Marketing and Brand Management Perspective," *Journal of Brand Management*, vol. 9, no. 4, 2002, pp. 249–261.

¹⁶ Glob Scan, Sharp Drop in World Views of US, site of Global Poll, 4/7/2017, <https://globescan.com/2017/07/04/sharp-drop-in-world-views-of-us-uk-global-poll>

¹⁷ مؤشرات تنامي تأثير حركة مقاطعة إسرائيل (BDS) في الربع الأخير من العام 2023 والربع الأول من 2024، حركة مقاطعة إسرائيل BDS، 2024/4/7، انظر: <https://bdsmovement.net/ar/BDSindicators>

¹⁸ المرجع نفسه.

¹⁹ أيرلندا تسحب استثمارات بملايين الدولارات من 6 شركات إسرائيلية، موقع الجزيرة.نت، 2024/4/5، انظر: <https://www.aljazeera.net>

- ²⁰ ثاني أكبر صندوق استثماري في النرويج يسحب استثمارات بقيمة 141 مليون دولار من شركة IBM لتواطؤها في نظام الأبارتهايد الإسرائيلي، حركة مقاطعة إسرائيل BDS، 2024/5/23، انظر: <https://bdsmovement.net/ar/storebrand>
- ²¹ مؤشرات تنامي تأثير حركة مقاطعة إسرائيل (BDS) في الربع الأخير من العام 2023 والربع الأول من 2024، حركة مقاطعة إسرائيل BDS، 2024/4/7.
- ²² نجاحات حركة المقاطعة، موقع حركة مقاطعة إسرائيل BDS على التليجرام، 2024/6/10، انظر: <https://t.me/BDSmovementAR/548>
- ²³ ضغوط حركة مقاطعة إسرائيل (BDS) وشركائها تنجح في عرقلة السفن المحملة بأسلحة الإبادة الجماعية!، حركة مقاطعة إسرائيل BDS، 2024/5/20، انظر: <https://bdsmovement.net/ar/borkum>
- ²⁴ مؤشرات تنامي تأثير حركة مقاطعة إسرائيل (BDS) في الربع الأخير من العام 2023 والربع الأول من 2024، حركة مقاطعة إسرائيل BDS، 2024/4/7.
- ²⁵ المرجع نفسه.
- ²⁶ نجاحات حركة المقاطعة، حركة مقاطعة إسرائيل BDS على التليجرام، 2024/6/10.
- ²⁷ المرجع نفسه.
- ²⁸ المرجع نفسه.
- ²⁹ المرجع نفسه.
- ³⁰ ماكديونالدز تكمل الاستحواذ على امتيازها في إسرائيل خلال شهرين تحت تأثير المقاطعة، الجزيرة.نت، 2024/4/9.
- ³¹ نجاحات حركة المقاطعة، حركة مقاطعة إسرائيل BDS على التليجرام، 2024/6/10.
- ³² أزمة العدو الاقتصادية تتفاقم.. شركة "سامسونج نيكست" توقف عملياتها في منظومة الاستعمار والأبارتهايد الإسرائيلي، حركة مقاطعة إسرائيل BDS، 2024/4/15، انظر: <https://bdsmovement.net/ar/samsung>
- ³³ مؤشرات تنامي تأثير حركة مقاطعة إسرائيل (BDS) في الربع الأخير من العام 2023 والربع الأول من 2024، حركة مقاطعة إسرائيل BDS، 2024/4/7.
- ³⁴ نجاحات حركة المقاطعة، حركة مقاطعة إسرائيل BDS على التليجرام، 2024/6/10.
- ³⁵ مؤشرات تنامي تأثير حركة مقاطعة إسرائيل (BDS) في الربع الأخير من العام 2023 والربع الأول من 2024، حركة مقاطعة إسرائيل BDS، 2024/4/7.
- ³⁶ المقاطعة الأكاديمية، حركة مقاطعة إسرائيل BDS، 2024/4/23.
- ³⁷ المرجع نفسه.
- ³⁸ ماذا كشف أسلوب تعامل السلطات الأمريكية مع الاحتجاجات الطلابية؟، موقع هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي)، 2024/4/25، انظر: <https://www.bbc.com/arabic/interactivity-68901631>
- ³⁹ جامعة كولومبيا تعلق المحاضرات والشرطة تعتقل متظاهرين في بيل على خلفية التوترات بشأن الشرق الأوسط، موقع روسيا اليوم، 2024/4/22، انظر: <https://arabic.rt.com>
- ⁴⁰ مؤشرات تنامي تأثير حركة مقاطعة إسرائيل (BDS) في الربع الأخير من العام 2023 والربع الأول من 2024، حركة مقاطعة إسرائيل BDS، 2024/4/7.
- ⁴¹ المرجع نفسه.
- ⁴² نجاحات حركة المقاطعة، حركة مقاطعة إسرائيل BDS على التليجرام، 2024/6/10.



⁴³ الحراك الطلابي ينتصر في إيرلندا.. "ترينيتي" تعلن سحب استثماراتها من الشركات الإسرائيلية،

حركة مقاطعة إسرائيل BDS، 2024/5/10، انظر: <https://bdsmovement.net/ar/Trinity>

⁴⁴ المقاطعة الثقافية، حركة مقاطعة إسرائيل BDS، 2024/4/23.

⁴⁵ مؤشرات تنامي تأثير حركة مقاطعة إسرائيل (BDS) في الربع الأخير من العام 2023 والربع الأول من

2024، حركة مقاطعة إسرائيل BDS، 2024/4/7.

⁴⁶ نجاحات حركة المقاطعة، حركة مقاطعة إسرائيل BDS على التليجرام، 2024/6/10.

⁴⁷ المرجع نفسه.

⁴⁸ بيان بخصوص اللجنة الأولمبية، موقع حملة مقاطعة داعمي "إسرائيل" - لبنان على الفيسبوك،

2024/4/22، انظر:

<https://www.facebook.com/CBSI.LB/posts/pfbid07kyNRiH6HAch2YPtE7TgyNuXfLg7Dz>

165SoJbecBYYX9AbuEMVaqaa4Aerp6cu5El

جماعة دول أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي (سيلاك CELAC) وطوفان الأقصى¹

أ. د. وليد عبد الحي

مقدمة:

في سنة 2010 تم تأسيس جماعة دول أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي (سيلاك) The Community of Latin America and Caribbean States (CELAC) واكتملت المصادقة عليها سنة 2011، وبلغ عدد الأعضاء في هذا التنظيم الإقليمي الدولي 33 دولة، وطبقاً لبيانات المنظمة فإنها تهدف إلى "تعميق التكامل بين دول أمريكا اللاتينية، والعمل على تعزيز السلام الدولي واحترام حقوق الإنسان"، إلى جانب طموح "ضمني" لعدد من الأعضاء للحد من النفوذ السياسي والاقتصادي الأمريكي في شؤون هذه المنطقة، وهو ما يظهر من سياق بعض بيانات المنظمة.²

ويبلغ مجموع عدد سكان الدول الأعضاء نحو 635 مليون نسمة، وتغطي مساحة تصل إلى قرابة 22 مليون كم²، وهي تشكل 17% من القوة التصويتية في الأمم المتحدة، ويشكل إجمالي ناتجها المحلي "على أساس المعادل الشرائي Purchasing Power Parity (PPP)" لسنة 2023 نحو 12.8 تريليون دولار، أي ما يعادل 7.8% من إجمالي الناتج المحلي العالمي، ولكن أربع دول من بين الـ 33 تحوز على ما يزيد عن 9.6 تريليون، أي قرابة 75% من إجمالي الناتج المحلي للمجموعة، كما أن عدد سكان هذه الدول الأربع يعادل 68% من إجمالي سكان جماعة سيلاك الإقليمية، كما يتضح من الجدول التالي:³



جدول رقم 1: إجمالي الناتج المحلي (المعادل الشرائي) وعدد السكان لأكبر دول
جماعة سيلاك لسنة 2023

الدولة	إجمالي الناتج المحلي (المعادل الشرائي) (تريليون دولار)	عدد السكان (مليون نسمة)
البرازيل	4.101	215
المكسيك	3.277	127
الأرجنتين	1.239	46
كولومبيا	1.016	51

موقف جماعة سيلاك من طوفان الأقصى:

يمكن وصف إقليم أمريكا اللاتينية والكاريبي بأنه الإقليم الأعلى بين أقاليم العالم في نسبة "الأنظمة السياسية اليسارية بأطيافها المتعددة"، فلو أخذنا أهم 19 دولة في الإقليم سنجد أن 12 منها تقودها حكومات ذات نزعة يسارية، نسبة 63%، كما تشكل الكتلة السكانية لهذه المجموعة من الدول ذات النظم اليسارية 92% من سكان الإقليم كله و90% من إجمالي ناتجه المحلي،⁴ وهو أمر ينعكس بشكل واضح على توجهات دول جماعة أمريكا اللاتينية والكاريبي تجاه مسألتين مترابطتين، هما الموقف من طوفان الأقصى برفض، ولو بدرجات مختلفة، للسياسة الإسرائيلية من ناحية، والنزعة الاستقلالية نسبياً عن النفوذ الأمريكي في ذلك الإقليم من ناحية أخرى.

1. مواقف جماعة سيلاك ككتلة سياسية من طوفان الأقصى:⁵

كشف المؤتمر الثامن لجماعة سيلاك في آذار/ مارس 2024 في مدينة كنفرتاون، عاصمة دولة سانت فينسنت والغرينادين، عن عدم توافق بين أعضاء المجموعة تجاه طوفان الأقصى، وبالرغم من الصياغة التوفيقية في بيان المؤتمر فإن 27 دولة وافقت عليه بينما اعترضت عليه 6 دول،⁶ واشتمل القرار في نصّه على:⁷

أ. إدانة قتل المدنيين من الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي وضرورة العمل على حماية المدنيين طبقاً للقانون الدولي.

ب. تأييد دعوة وقف إطلاق النار الصادرة عن توصية الجمعية العامة للأمم المتحدة
General Assembly.

ج. إطلاق سراح الرهائن بشكل فوري ودون شروط.

د. إيصال المساعدات الإنسانية للمناطق المتضررة في قطاع غزة.

هـ. الدعوة لحل سلمي يقوم على أساس حل الدولتين.

2. مواقف الدول المركزية في جماعة سيلاك:⁸

يمكن اعتبار الدول ذات النزعة اليسارية هي الأكثر مساندة للموقف الفلسطيني، وتتضح مؤشرات ذلك في التصريحات التي أطلقها قادة هذه الدول، فالرئيس الفنزويلي نيكولاس مادورو Nicolás Maduro انتقد ”الموقف الدولي من الإبادة التي تجري في غزة، مشيراً إلى أن العدالة الدولية موجودة فقط لحماية مصالح الأمريكيين والأوروبيين والإمبريالية الغربية وبهدف إخفاء المجازر الموجهة ضد العائلات الفلسطينية“، وتناغم مع هذا الموقف الرئيس البرازيلي لولا دا سيلفا Lula da Silva الذي طالب ”القوى دائمة العضوية في مجلس الأمن بتنحية خلافاتهم جانباً لوضع حدٍّ للإبادة الجماعية في غزة“، ثم أكد على تأييده لوقف فوري لإطلاق النار الذي ورد في بيان مؤتمر الجماعة الأمريكية اللاتينية في المؤتمر الثامن، ناهيك عن محاولة البرازيل مساندة قرارات مجلس الأمن الدولي Security Council لوقف القتال في قطاع غزة لولا استخدام الولايات المتحدة حق النقض (الفيتو Veto)، أما الرئيس الكولومبي غوستافو بيترو Gustavo Petro، فقد رأى أن كلاً من الولايات المتحدة وأوروبا ”يؤيدان الإبادة الجماعية التي تقوم بها إسرائيل“، وتناغم الموقف النيكاراغوي مع هذه التوجهات.

وبشكل عام، يمكن تقسيم مواقف دول جماعة سيلاك خصوصاً القوى الكبرى منها إلى ثلاثة مواقف كما يتضح في الجدول التالي:⁹



جدول رقم 2: مواقف دول جماعة سيلاك من الحرب في غزة

تأييد "إسرائيل"	الوسطيون (إدانة هجوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر وإدانة السلوك الإسرائيلي)	تأييد فلسطين
السلفادور	المكسيك	كولومبيا
الأرجنتين	الإكوادور	البرازيل
غواتيمالا	هندوراس	فنزويلا
كوستاريكا		نيكاراغوا
بنما		كوبا
أورغواي		بوليفيا
الدومينكان		بليز
برغواي		تشيلي
البيرو		

أ. الدول الأقرب للموقف الإسرائيلي: يمكن الإشارة إلى أن هذه المجموعة تتباين بينها في درجة المساندة للطرف الإسرائيلي، وهو ما يمكن إيضاحه من خلال المؤشرات التالية:

- يكاد أن يكون الموقف السلفادوري هو الأكثر شراسة ضدّ الفلسطينيين، بالرغم من أن الرئيس السلفادوري نجيب بوكيلة Nayib Bukele مسيحي من أصل فلسطيني، وهو من دعاة "زوال المقاومة الفلسطينية"، وهو يتوازى مع موقف باراغواي التي كانت من ضمن القلة من الدول التي وصفت المقاومة الفلسطينية بـ"الإرهاب"، بل أعلنت نيتها نقل سفارتها من تل أبيب إلى القدس، كما أن موقفها من المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة اتّسم بعدم الإدانة في الأمم المتحدة، كما يغلب على مواقفها الامتناع عن التصويت في الأمم المتحدة عندما يكون القرار المطروح فيه مساندة لحق فلسطيني.
- يشكل دور الأقلية اليهودية في الأرجنتين عاملاً مهماً في التأثير على الحكومة، ففي الأرجنتين يوجد ما بين 300-400 ألف يهودي؛ وهي المجموعة اليهودية الأكبر في

أمريكا اللاتينية وتحتل المرتبة الخامسة عالمياً في عدد يهودها، كما أن وقوع بعض الهجمات على مؤسسات يهودية في الأرجنتين خلال الفترة 1992-1994، وربط هذه الهجمات بإيران التي يتم الترويج بأنها من أهم داعمي المقاومة الفلسطينية، كان له أثر في توجهات الحكومة بالرغم من معارضة حزب جبهة اليسار العمالية الأرجنتينية Worker's Left Front – Unity المساندة لفلسطين.

• كانت غواتيمالا هي أول دولة أمريكية لاتينية تنقل سفارتها إلى القدس، وتمثل غواتيمالا، نحو 18 مليون نسمة، أحد مراكز الثقل للمسيحية الإنجليكانية الأكثر تعاطفاً مع الصهيونية.

ب. الدول التي اتخذت موقفاً وسطاً بين الطرفين، أي محاولة التعبير عن مواقف تجمع بين التأييد في جانب والمعارضة في جانب آخر لكل من طرفي الصراع:

• انتقدت كل من المكسيك والبرازيل هجوم 2023/10/7 على "إسرائيل"، ولكنها اتخذت رد فعل رافض وبقوة لرد الفعل الإسرائيلي.

• يلاحظ في دبلوماسية كل من البرازيل والمكسيك نوعاً من توزيع الأدوار، فمن ناحية كانت الرئاسة فيهما تتخذ مواقف أكثر وضوحاً من مواقف وزارتي الخارجية في البلدين، إذ طغت اللغة الدبلوماسية على وزارات الخارجية فيهما.

• لم تقطع المكسيك العلاقات مع "إسرائيل" ولكنها وجهت عبر كلمات ممثلها في الأمم المتحدة انتقادات حادة لحكومة "إسرائيل".

• يمكن اعتبار الإكوادور ضمن هذه المجموعة نظراً لمحاولتها إرسال نائبة الرئيس الإكوادوري "فيرونيكّا آباد Veronica Abad" للسعي لتسوية سلمية بين المقاومة الفلسطينية و"إسرائيل" في تشرين الأول/نوفمبر 2023، كما أن الإكوادور ساندت طلب العضوية الكاملة لفلسطين في كل من مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة، ولكنها دانت بشكل واضح الهجوم الذي قامت به المقاومة في تشرين الأول/أكتوبر 2023.

ج. الدول الداعمة للحقوق الفلسطينية، هي دول في معظمها ذات توجهات يسارية، واتسمت سياساتها بما يلي:



- أبدت نيكاراغوا تأييداً لا لبس فيه للموقف الفلسطيني، بل واستقبلت بعض القيادات الفلسطينية بعد الحرب.
- شكلت كولومبيا موقفاً واضحاً ومسانداً بقوة لفلسطين، وتمثل كولومبيا الدولة الأكثر حدة في نقدها للسياسات الإسرائيلية، وبلغت ذروة موقفها في الإعلان عن قرار قطع العلاقة مع "إسرائيل"، ثم توجيه انتقادات حادة للسياسة الإسرائيلية في غزة والتي وصفها الرئيس الكولومبي غوستافو بيترو بأنها "إبادة جماعية". ومن الضروري الإشارة إلى أن موقف كولومبيا يتجاوز "بعض المصالح المشتركة بين إسرائيل وكولومبيا"، فمعلوم أن كولومبيا تعتمد على "إسرائيل" في بعض التجهيزات العسكرية لمواجهة بعض جماعات المعارضة المسلحة وبعض جماعات تهريب المخدرات، إضافة لوجود اتفاقية تجارة حرة بين الطرفين منذ سنة 2020، ناهيك عن سلسلة اتفاقيات بين الطرفين منذ إقامة العلاقات بينهما سنة 1957، وتشير البيانات التجارية المتوفرة إلى أن التجارة بين "إسرائيل" وكولومبيا تراجعت بعد طوفان الأقصى بنحو 53% مقارنة بسنة 2022.
- شكّل الموقف الكوبي والفنزويلي استمراراً لموقفهما التقليدي المساند للحق الفلسطيني، وبررت كوبا الهجوم الفلسطيني في 2023/10/7 بأنه ردٌّ فعل على 75 عاماً من اضطهاد الفلسطينيين.
- لم تُدِنْ بوليفيا الهجوم الفلسطيني في تشرين الأول/أكتوبر، وتركزت بياناتها على عدم التصعيد في الموقف بين الطرفين، ولكن عدم الاستجابة لدعواتها من طرف "إسرائيل" دفعها لإعلان قطع العلاقات معها ومساندة جنوب إفريقيا في الدعوى ضدّ "إسرائيل" في محكمة العدل الدولية (ICJ) ودعم الدعوى أمام المحكمة الجنائية الدولية (ICC)، وتعزز الموقف من "إسرائيل" بقيام كل من كولومبيا وبليز بقطع العلاقة مع "إسرائيل"، واللافت للنظر أن بوليفيا تعرضت في الأسبوع الأخير من حزيران/يونيو 2024 إلى محاولة انقلابية فاشلة، مما أثار شكوكاً باحتمال أن يكون للولايات المتحدة و"إسرائيل" دوراً في هذا الأمر انتقاماً من الموقف البوليفي الواضح من الحرب على غزة.¹⁰

- من الواضح أن وزن الجالية الفلسطينية في التشيلي، وهي الأكبر في أمريكا اللاتينية ويصل عددها إلى قرابة نصف مليون من ذوي الأصول الفلسطينية، أسهم بقدر ما في التأثير على السياسة التشيلية، ويتضح ذلك في القرار الذي اتخذته لجنة حقوق الإنسان التابعة لمجلس الشيوخ التشيلي بمنع الشركات من استيراد السلع المنتجة في المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وهو ما وصفه مسؤول في وزارة الخارجية الأمريكية بأنه قرار "يستهدف إسرائيل بشكل غير عادل".¹¹
- أبدت هندوراس بعض التراخي في تأييدها لـ "إسرائيل" بعد الهجمات الإسرائيلية على المدنيين، مما دفع الحكومة لاستدعاء السفير الإسرائيلي لتقديم الاحتجاج على الهجمات، مع الإشارة إلى أنها كانت من ضمن أوائل الدول التي نقلت سفارتها من تل أبيب إلى القدس سنة 2021، بعد كل من غواتيمالا وبرغواي سنة 2018، إلا أن غواتيمالا أعادت السفارة بعد شهور إلى تل أبيب. ومن الممكن تفسير التطور النسبي في الموقف الهندوراسي بالتحول في قيادة الدولة من اليمين إلى اليسار بعد فوز السيدة زيومارا كاسترو Xiomara Castro بالرئاسة في سنة 2022.
- منذ بداية الحرب، تطورت مواقف دول أمريكا اللاتينية المساندة لفلسطين في المستويات الدبلوماسية بشكل خاص، وبدأت عمليات قطع العلاقات واستدعاء السفراء من "إسرائيل"، وهو ما بدأت كل من تشيلي وكولومبيا وهندوراس، في حين قطعت بوليفيا وبليز العلاقات الدبلوماسية مع "إسرائيل" تماماً، وكانت بوليفيا واحدة من الدول الخمس التي أحالت الوضع في غزة إلى المحكمة الجنائية الدولية للتحقيق فيه في تشرين الثاني/نوفمبر 2023، وفي الإحالة، تستشهد بوليفيا بأدلة على ارتكاب جرائم ضدّ الفلسطينيين بما في ذلك القتل، والتعذيب، والمعاملة اللاإنسانية، والاضطهاد، والفصل العنصري، والترحيل القسري، وتدمير التراث الثقافي الفلسطيني، وقد فعلت المكسيك وتشيلي الشيء نفسه في كانون الثاني/يناير 2024، في حين أصدرت وزارتا الخارجية البرازيلية وكولومبيا بيانات تدعم قضية الإبادة الجماعية التي رفعتها دولة جنوب إفريقيا في محكمة العدل الدولية، وكان الموقف البرازيلي هو الرائد في هذا المجال، وهو ما تسبب في توتر العلاقة بين البرازيل و"إسرائيل" بالرغم من جهود الكونفيدرالية البرازيلية الإسرائيلية



(CONIB) Brazilian Israelite Confederation لرأب الصدع بين الطرفين، ولكن تصريحات الرئيس البرازيلي حول ”أن ما يجري في غزة لم يحدث مثله في التاريخ إلا من قبل هتلر [Hitler] مع اليهود“،¹² وتأكيد وزارة الخارجية البرازيلية تأييدها لاعتراف دول أوروبية بفلسطين كدولة وتأييدها لحل الدولتين عزز من الموقف البرازيلي ضد السياسات الإسرائيلية.

تصويت جماعة سيلاك في الأمم المتحدة:

بمراجعة قرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن الدولي يتبين أن الدول الأكثر عداء لمساندة القرارات المؤيدة للمطالب الفلسطينية هي غواتيمالا وبارغواي والأرجنتين تليها هاييتي وأورغواي وبنما والسلفادور، إذ تجنح هذه الدول في أغلب الحالات إلى المعارضة أو الامتناع عن التصويت، وتمثل الأرجنتين الدولة الأهم بين الدول القريبة من السياسة الإسرائيلية، بعدد سكاني يقارب 46 مليون نسمة، تليها غواتيمالا بنحو 18 مليون نسمة، ثم بارغواي بنحو 7 مليون نسمة، وبنما 4.5 مليون نسمة، وأخيراً أورغواي بنحو 3.5 مليون نسمة، كما تحتل الأرجنتين المرتبة الثالثة بين دول جماعة سيلاك من حيث إجمالي الناتج المحلي والرابعة من حيث عدد السكان.

ويمكن الربط بين سياسات الأرجنتين تجاه الحقوق الفلسطينية وبين التحوّل السياسي الذي أحدثه الرئيس خافيير ميلي Javier Milei الذي يسعى إلى الاندماج مع الكتلة الرأسمالية الغربية في توجهاته السياسية الخارجية،¹³ فالأرجنتين لم تؤيد قرار الجمعية العامة لوقف إطلاق النار في كانون الأول/ ديسمبر 2023، وعارضت قرار منح فلسطين العضوية الكاملة في الأمم المتحدة، ويمكن تفسير الموقف الأرجنتيني بالأسباب التالية:¹⁴

أ. النزوع الديني للرئيس خافيير ميلي نحو اليهودية، وقد ظهر ذلك في صلاته عند حائط المبكى في القدس قبل ثلاثة أعوام مع أحد الحاخامات اليهود، وهو الحاخام شيمون أكسل واهنيش Shimon Axel Wahnish سنة 2021 والذي تمّ تعيينه لاحقاً سفيراً لـ ”إسرائيل“ في بيونس آيرس، وبالرغم من أن الرئيس الأرجنتيني ينتمي للمسيحية الكاثوليكية فقد أشارت بعض المصادر إلى نزعة لديه للتحوّل نحو اليهودية، ولكن مصادر أخرى تُشير إلى أن الرئيس ميلي يسعى بهذه النزعة اليهودية للتعبير عن توبته وطمس اتهام وجه له في فترة سابقة بإخفاء أحد مؤيدي النازية.

ب. رغبة الرئيس الأرجنتيني في التقرب من الأقلية اليهودية في الأرجنتين والتي أشرنا لها سابقاً، ولكن نحو أربعة آلاف من نخبة المثقفين اليهود في الأرجنتين حذروا من "استخدامه السياسي لليهودية"، وقد كان ذلك الاستخدام بادياً بأنه كان من أوائل رؤساء العالم الذين زاروا "إسرائيل" بعد اشتعال الحرب، وأثنى بشكل كبير على سياسات بنيامين نتنياهو Benjamin Netanyahu واعداً بنقل سفارة الأرجنتين من تل أبيب إلى القدس.

واللافت للنظر أن الرئيس الأرجنتيني كشف عن انحياز مطلق لـ "إسرائيل" عندما قطع زيارته للدنمارك بعد الهجوم الإيراني على "إسرائيل" في نيسان/ أبريل 2024 رداً على الهجوم الإسرائيلي على القنصلية الإيرانية في دمشق، ثم قام الرئيس ميلي بعقد لجنة خاصة وبحضور السفير الإسرائيلي في الأرجنتين، وبدأ وزير أمنه في انتقاد مواقف دول أخرى في الجماعة اللاتينية مثل بوليفيا والتشيلي واصفاً إياها بأنها "بؤر إسلامية" وأنها تستضيف عناصر من حزب الله، ومنقداً الاتفاقية الدفاعية التي عقدها إيران مع بوليفيا في تموز/ يوليو 2023.

ج. أيديولوجية خافيير الاقتصادية، وهو أستاذ اقتصاد جامعي، التي تقوم على مبادئ أقصى اليمين ومعاداة البيرونية Peronism ذات النزعة اليسارية في الأرجنتين، وهو ما جعله الأكثر سعياً لتوطيد العلاقة مع الولايات المتحدة وبالتالي "إسرائيل".

د. يلاحظ أن العلاقات التجارية بين "إسرائيل" والأرجنتين تتصاعد بشكل ملحوظ، فالصادرات الإسرائيلية للأرجنتين ارتفعت منذ سنة 2017 إلى نهاية سنة 2022 بمعدل إجمالي يصل إلى 15.2% سنوياً، وبلغت سنة 2022 نحو 156 مليون دولاراً، كما تزايدت الصادرات الأرجنتينية إلى "إسرائيل" بمعدل سنوي يصل إلى 25.2% ليصل سنة 2022 إلى 200 مليون دولار.

3. توجهات الرأي العام في دول جماعة سيلاك:

تُشير الدراسات الكمية الخاصة بحصول المجتمعات على المعلومات والبيانات من مختلف المصادر إلى أن دول أمريكا اللاتينية تقف على رأس أقاليم العالم في الاعتماد على وسائط التواصل الاجتماعي للحصول على المعلومات والتشارك فيها، وهو ما أثر على صورة "إسرائيل" لدى الرأي العام في هذا الإقليم.¹⁵



وتدل استطلاعات الرأي العام في أمريكا اللاتينية أن درجة الرضا في دول جماعة سيلاك عن أداء الرئيس الأمريكي جو بايدن Joe Biden في حرب غزة متواضع، فطبقاً لعينة في ست دول كبرى من أمريكا اللاتينية دلّت النتائج على ما يلي:¹⁶

جدول رقم 3: نسبة تأييد المجتمع في أمريكا اللاتينية لسياسات بايدن تجاه طوفان الأقصى

الدولة	يؤيد سياسة بايدن تجاه الحرب في غزة (%)	يعارض سياسة بايدن تجاه الحرب في غزة (%)
كولومبيا	32	56
الأرجنتين	32	43
البرازيل	30	53
البيرو	25	58
المكسيك	20	71
التشيلي	18	59

والملاحظ، أن معدل الرضا في الدول الست عن سياسة بايدن تجاه الطوفان هو نحو 26%، وهي نسبة متدنية، بينما يُشير الاستطلاع ذاته إلى أن معدل المعارضة لها في هذه الدول هو أكثر من ضعف المؤيدين، حيث يصل المعدل إلى نحو 57%.

من جانب آخر، عبّرت شعوب دول جماعة سيلاك عن تضامنها مع فلسطين بعد الطوفان، وبرز ذلك في المظاهرات التي شارك في بعضها رؤساء سابقون وهيئات المجتمع المدني إلى جانب القطاعات الشعبية والاتحادات الكروية والفنانين والجامعات، خصوصاً في كل من البرازيل، وفنزويلا، وبوليفيا، والمكسيك، وأورغواي، والبيرو، والأرجنتين... إلخ.

خلاصة:

يمكن اعتبار "عدم استقرار" التوجهات السياسية تجاه القضايا الدولية سمة أساسية في إجمالي سياسات دول الجماعة اللاتينية، ويعود ذلك إلى عدم استقرار النظم السياسية والتحولات التي تترتب على ذلك. وعند تتبع مواقف دول أمريكا اللاتينية من الصراع العربي الإسرائيلي، تبدو أربعة عوامل هي الأكثر تحديداً لطبيعة هذه العلاقة:¹⁷

1. التغير في النظم السياسية بين تيارات يسارية ويمينية؛ سواء نتيجة انقلابات أم عبر انتخابات رئاسية، والملاحظ أن هذه الدول تقع في معظمها ضمن مجموعة الدول "غير المستقرة" وخصوصاً الدول الأكبر في هذه المجموعة، البرازيل والمكسيك والأرجنتين وكولومبيا، وهو ما ينعكس على مواقف هذه الدول من الصراع العربي الإسرائيلي، حيث تميل أغلب النظم اليسارية نحو تأييد فلسطين خلافاً لخصومهم من اليمينيين الذين يساندون "إسرائيل".
 2. تؤثر المواقف الأمريكية بشكل واضح على مواقف هذه الدول من "إسرائيل"، فتحاول بعض هذه الدول مجارة الموقف الأمريكي والاستجابة له خوفاً من الضغوط الأمريكية، وهو الأمر الذي بدأ منذ مبدأ مونرو Monroe Doctrine في السياسة الخارجية الأمريكية سنة 1823.
 3. تزايد التحول بين المسيحيين الكاثوليك باتجاه الإنجليكانية الأقرب في توجهاتها الدينية إلى الموقف الإسرائيلي.
 4. التغلغل الإسرائيلي خصوصاً في الجانب التكنولوجي في الاقتصاد الأمريكي اللاتيني، ففي الدول الأمريكية اللاتينية الأكبر، البرازيل والمكسيك والأرجنتين وكولومبيا، هناك أكثر من 450 شركة إسرائيلية تعمل في هذا القطاع.
- إن المعطيات التي تناولناها تستوجب من قوى المقاومة التنبه لأهمية هذه المنطقة من حيث:

1. بالرغم من وجود انقسام واضح بين دول أمريكا اللاتينية في التفاعل مع طوفان الأقصى وتداعياته، إلا أن الكفة راجحة بقدر لا بأس به لصالح أنصار المقاومة بفعل تنامي النزعة اليسارية في هذا الإقليم خصوصاً في دوله الكبرى، وقد جرت



تظاهرات في هذه المنطقة؛ في البرازيل، وبوليفيا، وفنزويلا، وكوبا، والبيرو، والتشيلي تأييداً لفلسطين.

2. لعل قطع العلاقات مع "إسرائيل"، أو استدعاء السفراء منها، أو الانضمام إلى الدعاوى ضدها في كل من محكمة العدل الدولية أو المحكمة الجنائية الدولية من قبل دول الجماعة الأمريكية اللاتينية هو الأكثر وضوحاً وأهمية من حيث دلالاته السياسية، وهو الأمر الذي يقتضي المتابعة وتزويد هذه الدول بالمعلومات وبكل ما يعزز هذا التوجه.

3. إن توجهات الرأي العام في هذه الدول، على الرغم من النزعة الإنجليكانية فيها، يُشير إلى تعاطف واضح مع المعاناة الفلسطينية يفوق بكثير من الضعف لدرجة التعاطف مع "إسرائيل"، وهو ما تعكسه نتائج الاستطلاعات للموقف من سياسات الرئيس بايدن المنحاز لـ "إسرائيل"، مما يستدعي التواصل مع القوى اليسارية في هذه المنطقة من منطلق التلاقي في النزعة التحررية.

4. عند المقارنة بين حجم التجارة الأمريكية اللاتينية مع "إسرائيل"، 6 مليار دولار سنة 2022، وبين حجم التجارة العربية مع هذا الإقليم يتبين أن حجم التجارة الخليجية وحدها تعادل أكثر من ثلاثة أضعاف التجارة مع "إسرائيل"، ولكن الوزن السياسي لهذه العلاقات التجارية مع العالم العربي ما زال متواضعاً.¹⁸

5. من الضروري إيلاء أربع دول من دول الجماعة اللاتينية الاهتمام الأكبر في الدبلوماسية العربية والفلسطينية، وهي البرازيل والمكسيك والأرجنتين وكولومبيا، نظراً لتقلهم السياسي والاقتصادي والسكاني في هذا التنظيم الدولي.

الهوامش

¹ انظر: وليد عبد الحي، جماعة دول أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي (سيلاك CELAC) وطوفان الأقصى، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2024/8/1.

² CELAC/ Zone of Peace: “A key step to countering the globalization of militarism” – UN Expert, site of The Office of the High Commissioner for Human Rights, 3/2/2014, <https://www.ohchr.org/en/press-releases/2014/02/celac-zone-peace-key-step-countering-globalization-militarism-un-expert>

³ World Economic Outlook Database: October 2023, site of International Monetary Fund, [⁴ Latin America’s left-wing experiment is a warning to the world, site of *The Economist* newspaper, 18/5/2023, <https://www.economist.com/the-americas/2023/05/18/latin-americas-left-wing-experiment-is-a-warning-to-the-world>](https://www.imf.org/en/Publications/WEO/weo-database/2023/October/weo-report?c=311,213,314,313,316,339,218,223,228,233,238,321,243,248,253,328,258,336,2; GDP, PPP (current international $) - Latin America & Caribbean, site of World Bank Group, https://data.worldbank.org/indicator/NY.GDP.MKTP.PP.CD?locations=ZJ; and List of Latin American and Caribbean countries by GDP (PPP), site of Wikipedia, https://en.wikipedia.org/wiki/List_of_Latin_American_and_Caribbean_countries_by_GDP_(PPP)#cite_note-1</p>
</div>
<div data-bbox=)

⁵ للاطلاع على الخلفية التاريخية للعلاقات الإسرائيلية مع أمريكا اللاتينية يمكن العودة إلى: وليد عبد الحي، “العلاقات الإسرائيلية مع أمريكا اللاتينية”، موقع مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، نيسان/ أبريل 2021، في: https://www.alzaytouna.net/arabic/data/attachments/AcademicArticles/PA_Walid-AbdalHay_Relations_LatinAmerica-Israel_4-21.pdf

⁶ تباينت التقديرات في هذا المجال، لكن الأرجح أن الرقم للموقعين هو 27، انظر: CELAC member states divided over Israel-Gaza war stance, site of SEARCHLIGHT, 5/3/2024, <https://www.searchlight.vc/front-page/2024/03/05/celac-member-states-divided-israel-gaza-war-stance; and Brazil, 23 other Celac countries call for immediate ceasefire in Gaza, site of Agencia Brasil, 4/3/2024, https://agenciabrasil.ebc.com.br/en/internacional/noticia/2024-03/brazil-23-other-celac-countries-call-immediate-ceasefire-gaza>

⁷ CELAC summit fails to take unanimous position on Gaza, site of iWitness News, 2/3/2024, <https://www.iwnsvg.com/2024/03/02/celac-summit-fails-to-take-unanimous-position-on-gaza>

⁸ Latin American peace, anti-imperialism, and Gaza at the heart of CELAC, site of Al Mayadeen English, 1/3/2024, [268](https://english.almayadeen.net/news/politics/latin-american-peace--anti-imperialism--and-gaza-at-the-hear; Oliver Stuenkel, The Israel-Hamas War Is Inflaming Polarization in Latin America, site of Americas Quarterly (AQ), 16/11/2023, https://www.americasquarterly.org/article/the-israel-hamas-war-is-inflaming-polarization-in-latin-america; Ecuador VP says she will go to Israel amid spat with president, Reuters News Agency, =</p>
</div>
<div data-bbox=)



28/11/2023, <https://www.reuters.com/world/middle-east/ecuador-vp-says-she-will-go-israel-amid-spat-with-president-2023-11-28/>; and At CELAC, Lula extols the potential of Latin Americans and Caribbeans as an integrated bloc, site of Planalto, 5/3/2024, <https://www.gov.br/planalto/en/latest-news/2024/03/at-celac-lula-extols-the-potential-of-latin-americans-and-caribbeans-as-an-integrated-bloc>

⁹ يمكن العودة للمراجع التالية للتعرف على تفاصيل المعلومات والبيانات الخاصة بمواقف دول جماعة سيلاك فرادى أو ككتلة، انظر:

Rogelio Núñez Castellano and Carlos Malamud, Latin America and the Gaza crisis, site of The Elcano Royal Institute, 24/11/2023, <https://www.realinstitutoelcano.org/en/analyses/latin-america-and-the-gaza-crisis/>;

Enrique Reina (@EnriqueReinaHN), site of X (Twitter), 3/11/2023, 10:01, <https://x.com/EnriqueReinaHN/status/1720531624289575107>; Brazil's president withdraws his country's ambassador to Israel after criticizing the war in Gaza, site of Associated Press (AP), 29/5/2024, <https://apnews.com/article/brazil-lula-israel-ambassador-withdrawn-af9d295d989a86c4fcd8ca4531350f42>; Colombia breaks diplomatic ties with Israel but its military relies on key Israeli-built equipment, AP, 3/5/2024, <https://apnews.com/article/colombia-israel-diplomatic-ties-military-equipment-0c04009ccfc6110e20ee358403509500>; President Milei's surprising devotion to Judaism and Israel provokes tension in Argentina and beyond, AP, 3/6/2024, <https://apnews.com/article/milei-judaism-hezbollah-israel-hamas-war-netanyahu-d8831369a6bc8a96205d4080d2b2045b>; Argentina demands that Bolivia explain its new defense agreement with Iran, AP, 25/7/2023, <https://apnews.com/article/argentina-bolivia-iran-defense-mou-2cb8c5917fdb6d3e01af4c67af969797>; Israel/ Argentina, site of Observatory of Economic Complexity (OEC), <https://oec.world/en/profile/bilateral-country/isr/partner/arg>; Latin America divided and nuanced on Israel-Hamas conflict, site of Buenos Aires Times, 1/11/2023, <https://www.batimes.com.ar/news/latin-america/latin-america-divided-and-nuanced-on-the-israel-hamas-conflict.phtml>; Marta Tawil Kuri, Perspectives from the Global South: Latin America's Fragmented Approach to Palestine, site of Arab reform initiative (ARI), 15/12/2023, <https://www.arab-reform.net/publication/perspectives-from-the-global-south-latin-americas-fragmented-approach-to-palestine>; IntelBrief: Leaders in Latin America Speak Loudly on Gaza, site of The Soufan Center (TSC), 1/3/2024, <https://thesoufancenter.org/intelbrief-2024-march-1>; Honduran president in Israel for opening of Jerusalem embassy, site of i24NEWS, 24/6/2021, <https://www.i24news.tv/en/news/israel/diplomacy-defense/1624517565-honduran-president-in-israel-for-opening-of-jerusalem-embassy>; Angeline Montoya, In Honduras, the mixed track record of President Xiomara Castro, site of Le Monde, 10/2/2023, https://www.lemonde.fr/en/international/article/2023/02/10/in-honduras-the-mixed-track-record-of-president-xiomara-castro_6015218_4.html; Latin America countries hold rallies in support of Palestine, site of Anadolu Agency (AA), 4/3/2024, <https://www.aa.com.tr/en/americas/latin-america-countries->

hold-rallies-in-support-of-palestine/3154305; Latin America: Demonstrations expressing support= for Palestinians scheduled in several regional cities Oct. 20–22, site of Crisis24, 20/10/2023, <https://crisis24.garda.com/alerts/2023/10/latin-america-demonstrations-expressing-support-for-palestinians-scheduled-in-several-regional-cities-oct-20-22>; Gaza solidarity sweeps across Latin America, site of Middle East Monitor (MEMO), 23/10/2023, <https://www.middleeastmonitor.com/20231023-gaza-solidarity-sweeps-across-latin-america>; Alejandro Santos Cid, University Gaza solidarity protests extend to Mexico: ‘We are urgently calling for an end to genocide’, site of EL PAÍS, 4/5/2024, <https://english.elpais.com/international/2024-05-04/university-gaza-solidarity-protests-extend-to-mexico-we-are-urgently-calling-for-an-end-to-genocide.html>; site of PRIMICIAS, 7/10/2023, <https://www.primicias.ec/noticias/politica/ecuador-condena-ataque-hamas-israel> (in Spanish)

¹⁰ انظر حول هذا الموضوع: الليثيوم أم قطع العلاقات مع إسرائيل أم التقارب مع روسيا؟.. ما كلمة السر في الانقلاب البوليفي الفاشل؟، موقع روسيا اليوم، 2024/6/28، انظر: <https://arabic.rt.com/world/>؛ وتركيا وبوليفيا: تجارب مقاومة الانقلابات في عالم متغير، موقع ترك برس، 2024/6/29، في: <https://www.turkpress.co/node/102003>

Patricia Garip, What Does Latin America Think About the Israel-Hamas War?, site of Foreign Policy, 29/1/2024, <https://foreignpolicy.com/2024/01/29/israel-hamas-gaza-war-latin-america-chile-argentina-colombia-mexico-genocide/>

Lazar Berman, Israel livid as Brazil’s Lula says Israel like ‘Hitler,’ committing genocide in Gaza, site of Times of Israel, 18/2/2024, <https://www.timesofisrael.com/israel-livid-as-brazils-lula-says-israel-like-hitler-committing-genocide-in-gaza/>

Argentina shifts historic position on Palestine as UN member state, Buenos Aires Times, ¹³ 10/5/2024, <https://www.batimes.com.ar/news/world/argentina-shifts-historic-position-on-palestine-as-un-member-state.phtml>

AP and TOI STAFF, Argentinian president’s surprising devotion to Judaism and Israel provokes ¹⁴ tension, Times of Israel, 3/6/2024, <https://www.timesofisrael.com/argentinian-presidents-surprising-devotion-to-judaism-and-israel-provokes-tension/>; and Argentina/ Israel, OEC, <https://oec.world/en/profile/bilateral-country/arg/partner/isr>; and Israel/ Argentina, OEC, <https://oec.world/en/profile/bilateral-country/isr/partner/arg>

4 Trends Among Latin American Internet Users That Will Impact the Market in 2022, site of ¹⁵ Americas Market Intelligence (AMI), 9/1/2022, <https://americasmi.com/insights/trends-latin-american-internet-users-marketing/#:~:text=In%20Latin%20America%2C%2083%25%20to,websites%2C%20broken%20down%20by%20country>; and Annie Pforzheimer, Latin American Views on the Gaza War Are in Flux, site of *The Jerusalem Strategic Tribune* journal, November 2023, <https://jstribune.com/pforzheimer-latin-american-views-on-the-gaza-war-are-in-flux>

¹⁶ تمّ إجراء الاستطلاع في ربيع سنة 2024، انظر:

Majorities disapprove of the way Biden is dealing with the Israel-Hamas war, site of Pew Research Center, 10/6/2024, https://www.pewresearch.org/global/2024/06/11/how-well-is-biden-handling-international-issues/gap_2024-06-11_us-image-2024_5_06

Gian Luca Gardini (ed.), *External Powers in Latin America: Geopolitics between Neo-extractivism and South-South Cooperation* (Routledge, 2021), pp. 153–163; and Political stability - Country rankings, site of TheGlobalEconomy.com,

https://www.theglobaleconomy.com/rankings/wb_political_stability/Latin-Am

Chase Harrison, Explainer: Latin America's Relationship with Israel and Palestine, site of ¹⁸ Americas Society (AS), Council of the Americas (COA), 16/11/2023, <https://www.as-coa.org/articles/explainer-latin-americas-relationship-israel-and-palestine>; and "Cultivating Ties: Deepening trade and investment between Latin America and the GCC," site of Economist Impact, The Economist Group, 2022, https://impact.economist.com/perspectives/sites/default/files/economist_impact_dcci_latam_report_10th_march_2022_english_web.pdf

Academic Papers on Operation al-Aqsa Flood and the Israeli Aggression on Gaza Strip

هذا الكتاب

يسعى مركز الزيتونة إلى تقديم الدراسات الاستراتيجية والسياسية الجادة، خصوصاً تلك المتعلقة بالشأن الفلسطيني؛ وينشر بانتظام سلسلة أوراق علمية تُركّز على المواضيع ذات الطبيعة المستجدة والساخنة، وتناقشها بطريقة علمية منهجية. وتخضع هذه الدراسات للتحكيم العلمي الداخلي من الجهة العلمية المختصة في المركز، ويشرف أ. د. محسن محمد صالح على تحريرها، وتُنشر على موقع مركز الزيتونة.

ونظراً للتأثير الهائل الذي أحدثته معركة طوفان الأقصى، فإنه يسرّنا تقديم 13 ورقة علمية تتعلق بهذه المعركة والحرب الإسرائيلية على قطاع غزة؛ راجين أن تشكل هذه الأوراق إضافة نوعية لدراسة هذه اللحظة الفارقة في تاريخ فلسطين.

ISBN 978-614-494-047-1



9

786144

940471

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص.ب.: 14-5034 بيروت - لبنان

تلفون: +961 21 803 644 | تليفاكس: +961 21 803 643

info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

